بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

"أكرم هنية: دراسة في قصصه القصيرة"

إعداد الطالب

عبدالله محمد مصطفى العوض

إشراف

الأستاذ الدكتور عادل مصطفى الأسطـــة

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"أكرم هنية:
دراسة في قصصه القصيرة"

إعداد الطالب
عبدالله محمد مصطفى العوض

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ2003/9/21 وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة:

1ـ الأستاذ الدكتور عادل الأسطة (رئيسا)

2_الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشة (عضواً)

3ـالدكتور فتحي أبو عصبة (عضواً)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى روح والدي الطاهرة .

إلى أمي الحنون.

إلى أخي العزيز الذي قدم لي الدعم والمساندة.

إلى زوجتي وأولادي الذين تحملوا الكثير من أجل مواصلة تحصيلي العلمي .

إلى عشاق العلم والأدب.

إلى روح من ضحوا بأرواحهم من أجل عزة بلادهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان إلى الدكتور عادل الأسطة ، الذي تابع معي رحلتي في هذا البحث، وأضاء لي مجاهل ما كنت لولاه أدركها ، فكان ينبوعا غرفت من منهله ،من خلال التوجيهات والملاحظات التي قدمها لي ،وكان له أثر عظيم في الدراسة.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للأخ أكرم هنية ،لما قدمه لي من بعض مصادره القصصية. وبعض المراجع والدراسات.

ولا أنسى في هذا المقام أساتذتي في جامعة النجاح الوطنية وخاصة الدكتور عادل أبو عمشة الذي شارك في مناقشة هذه الدراسة ، وأساتذتي في جامعة القدس المفتوحة وأخص بالذكر الدكتور فتحي أبو عصبة الذي شارك هو الآخر في مناقشتها ،وأساتذتي في جامعة بيرزيت، وزملائي في مكتب التربية والتعليم ،وكل من أفادني وأنار دربي ...فلهم مني كل الشكر والتقدير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
العنوان	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ت
فهرس المحتويات	ث
الملخص	خ
المقدمة	1
الفصل الأول:	4
- حياته	5
- واقع القصة القصيرة الفلسطينية حتى صدور مجموعات القاص	7
- أكرم هنية في ميزان النقاد	14
الفصل الثاني:	25
دراسة العناوين	26
مكونات عناوين المجموعات ودلالاتها	31
1_طقوس ليوم آخر	32
2_السفينة الأخيرة ... الميناء الأخير	34
3_هزيمة الشاطر حسن	35
4_وقائع التغريبة الثانية للهلالي	36
5_عندما أضيء ليل القدس	38
6_أسرار الدوري	39
مكونات العناوين الفرعية	40
سمات مكونات العناوين	48
الفصل الثالث:	51
_الموضوعات :	52
1_الموضوع العربي	52
أ_علاقة المثقف بالسلطة	52

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
ب_واقع القمع في البلاد العربية	56
2 _الأنظمة العربية و الثورة الفلسطينية	58
ج _الواقع الفلسطيني تحت الاحتلال	62
أ_التشبث بالأرض ومقاومة الاستيطان	62
ب_قسوة الحياة وصعوبتها وتعثرها	69
ج_موقف الفلسطيني من الاحتلال	75
1_النموذج المقاوم	76
2_النموذج السلبي	79
3_النموذج العادي	82
3_المرأة في قصص أكرم هنية	83
أ_نموذج الفتاة الجامعية و المثقفة	83
ب_المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال	86
4 – صورة اليهودي	87
الفصل الرابع:	91
الخصائص الفنية	92
أ_طرق القص(العرض)	92
1_ أسلوب الحكاية	92
2_السرد و التقرير من خلال استخدام ضمير المتكلم	94
3_طريقة السرد الذاتي	96
4_تيار الوعي	99
أ_الارتجاع الفني	100
ب_ الحوار الداخلي (المونولوج)	103
5_التجريب في الشكل القصصي:	105
أ_أسلوب القطع	106
ب_توظيف المذكرات و الرسائل	109
ب_ ظواهر فنية في قصص أكرم هنية :	111

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
1_ الرمز:	111
أ_ الرمز الجزئي	112
ب_الرمز التاريخي	114
ج_السيرة التراثية	116
2_المخيلة واللامعقول	119
3 _اللغة في قصص اكرم هنية:	121
أ_اللغة السردية	122
ب_لغة الحوار	125
ج_الحوار الداخلي	128
4_المكان في قصص الكاتب:	129
1 _المدينة:	130
أ_المدينة غير محددة الاسم	131
ب_المدينة العربية محددة الاسم	137
ج_المدينة الفلسطينية:	140
1_المدينة غير محددة الاسم	140
2_المدينة الفلسطينية محددة الاسم	143
2_ القرية	149
3_السجن	156
4_غياب المخيم	159
5_النهايات القصصية في قصص الكاتب	160
الخاتمة	166
قائمة المراجع والمصادر:	168
أ_المصادر	168
ب_المراجع	168
ج_الدوريات	172
د_الصحف	173
الملخص	B

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

هذه الدراسة محاولة لإلقاء الضوء على جوانب من فن القاص الفلسطيني أكرم هنية، على اعتبار أنه أحد أهم كتاب القصة في فلسطين، وقد قسمت إلى أربعة فصول على النحو الآتي:
الفصل الأول، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث: تناول الأول حياته، بينما اختص الثاني بدراسة واقع القصة القصيرة الفلسطينية حتى صدور مجموعاته، في حين تناول المحور الثالث أهم الدراسات النقدية التي تناولت أدب الكاتب.ووجدت أن معظمها تدور حول مغزى القصة، وقليلة هي الدراسات التي تناولت العنوان أو الشكل الفني أو اللغة أو المكان .

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه دراسة عناوين المجموعات القصصية ،حيث افردت جانبا لدراسة عناوين المجموعات القصصية وعناوين قصصه ،وجانبا آخر تناولت فيه مكونات العناوين وسماتها ، ووجدت الكاتب يختار عنوان قصة من قصصه لتؤشر على المجموعة وفق اعتبارات خاصة به ،في حين تراوح العنوان بين الشكل التقليدي والشكل الحداثي.

أما الفصل الثالث فقد تناول أهم الموضوعات التي برزت في قصص الكاتب ،ووجدت أن الموضوع الوطني هو الطاغي عليها.وقمت بتقسيمه إلى أربعة محاور:تناولت في المحور الأول الموضوع العربي ،وفي الثاني الواقع الفلسطيني تحت الاحتلال ،بينما تناول المحور الثالث المرأة في قصص الكاتب،أما المحور الأخير فقد أبرز صورة اليهودي.

وجدت أن الكاتب أتى على تصوير واقع القمع والملاحقة في العالم العربي ،وبين موقفه السلبي من هذا الواقع، و أتى على تصوير قسوة الحياة وصعوبتها تحت الاحتلال وكشف ممارسات الاحتلال في السيطرة على الأرض الفلسطينية ؛ لهذا أبرز صورة سلبية لليهودي ، واقتصرت هذه على الجندي الذي يشهر سلاحه في وجه الفلسطيني ويدمر الأرض ويستولي عليها،و لم تتغير هذه الصورة في قصصه حتى بعد توقيع الاتفاقيات مع الجانب الإسرائيلي.

أما الفصل الرابع فقد تناول دراسة الخصائص الفنية، وقد اشتمل على مبحثين: الأول تناول طرق القص، بينما اختص الثاني بدراسة بعض الظواهر الفنية في قصصه.ووجدت أن الكاتب نوّع في أساليب القص، فلم يعتمد الشكل التقليدي في بناء قصصه وحسب بل بحث عن صيغ وطرق حداثية جديدة ؛لذا عمد إلى التجريب من خلال أسلوب القطع والإفادة من العمل الصحفي ،ولجأ إلى الرمز، فوظف التاريخ والتراث ،واستخدم أسلوبا غرائبيا في التنبيه لما سيحدث . أما اللغة القصصية فقد راوح الكاتب في استخدامها بين اللغة الفصحى العادية، واللغة الشفافة الرومانسية التي تقترب من روح الشعر.

أما المكان في قصص الكاتب، فوجدت أن المدينة حضرت أكثر من حضور القرية، في حين غاب فضاء المخيم ،وبرز المكان الذي ينتمي إليه الكاتب بشكل حميمي إيجابي ،في حين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برز المكان الذي لا ينتمي إليه بشكل سلبي .

وآمل أن تكون دراستي هذه أضافت شيئا إلى الأدب الفلسطيني وأن تكون فاتحة لإعادة الاهتمام بالقصة القصيرة الفلسطينية بعد التراجع الملحوظ من الكتاب والأدباء في الوقت الحاضر بعكس مرحلة الثمانينيات، وخاصة أنها أكثر قدرة واتساعا لمواكبة الأحداث الجسيمة التي تواكبها المنطقة العربية والفلسطينية بشكل خاص.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة

توطدت علاقتي بالأدب الفلسطيني منذ أيام الدراسة الجامعية الأولى، عندما درست مساق القصة العربية، فأنار الدكتور محمود العطشان لي الطريق حول كيفية الإفادة من المراجع والمصادر، ومساق(حلقة بحث) الذي تناول دراسة الرواية الفلسطينية ضمن خطة طموحة رأى فيها الدكتور عيسى أبو شمسية محاولة لدراسة النصوص الروائية الفلسطينية. وعندما التحقت ببرنامج الدراسات العليا، لفت انتباهي الطريقة الجديدة في دراسة النقد الأدبي من خلال المحاضرات التي تتلمذت فيها على يد الدكتور عادل الأسطة حول الرواية والقصة، فشدني إلى أهمية دراسة القصة الفلسطينية مستنيرا بطريقته في البحث والدراسة، ووقع اختياري على القاص أكرم هنية.

فبدأت أبحث عن قصصه ومجموعاته، فوجدت مجموعاته القصصية قليلة لا تزيد عن عدد أصابع اليد الواحدة، فقرأتها، وحينئذ تذكرت مقولة مارون عبود حين تناول دراسة آثار بديع الزمان الهمذاني، حين استصغر حجمها فوجدها دسمة، حيث كتب:"ليس الأدب كالحطب ليباع بالقناطير، وهو لا يقاس بالكيلو مترات كالصحاري، فهذه الآثار على صغرها، بوّأت الرجل منزلته العليا في الأدب العربي، فكان بعيد الأثر فيه..وكان له الإبداع والخلق في المقامات، والتفوق في الرسائل، والسوق الماشية في الشعر." ([1])فوجدت هذه المقولة تنطبق على أعمال الكاتب أكرم هنية.نعم خمس مجموعات فقط بوّأته مكانة مرموقة في الأدب الفلسطيني من خلال جدية موضوعاتها وواقعيتها وأسلوبها الفني الجديد الذي دفع القصة القصيرة الفلسطينية إلى الأمام وهي تحاول البحث عن طريق جديدة.

وأرمي من وراء هذه الدراسة إلى لفت الاهتمام إلى قاص فلسطيني، خرج نتاجه إلى النور في أحلك الظروف، فقاوم بلسانه وقلمه وقدم التضحيات فسجن وأبعد في سبيل أفكاره التي يؤمن بها على طول مشوار نضالات شعبنا العظيم.لكن كتاباته لم تحظ بما تستحق من اهتمام نقدي، على الرغم من أنها حققت مستوى لا بأس به من الحضور الأدبي على صعيد القصة المحلية من خلال، تجريب بعض الطرق الجديدة التي لم تألفها القصة الفلسطينية، والتنويع فيها، فأسهم مساهمة فاعلة في دفع القصة القصيرة إلى الأمام.

---

[1] ــ ينظر: الهمذاني، أحمد بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، تقديم وشرح فاروق سعد، ط1، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1982، ص22/21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد نبه الدكتور عبد اللطيف عقل -رحمه الله- منذ منتصف الثمانينات إلى ضرورة إخضاع أدب أكرم هنية للدراسة لتوضيح أبعاده المختلفة ، لما رأى فيه من بعد إنساني وذوق أدبي رفيع يعبر عن التجربة الفلسطينية تحت الاحتلال، والحاجة الماسة"لتوضيح القضايا التي تطرق إليها في قصصه كافة حيث صنف أكرم هنية في قائمة الأدباء الفلسطينيين المرموقين."([1]) وشعرت بأنني حققت رغبته حينما أخضعت أدبه للدراسة والتحليل، وتسهيلا للبحث فقد عرضته في أربعة فصول هي:

1_ الفصل الأول:

عرضت فيه لحياة الكاتب، وواقع القصة القصيرة الفلسطينية حتى صدور مجموعاته، وتناولت الدراسات الأدبية التي تعرضت لأدبه، من خلال مقالات كتبها أصحابها في المجلات والصحف، ودراسات عرج فيها أصحابها على نتاج الكاتب أثناء دراستهم للقصة الفلسطينية، فاختاروا بعض قصصه كنماذج على صعيد الموضوعات والشكل الفني، بشكل جزئي، وركزوا على زاوية معينة في القصة، وغلب الاهتمام بالشخصية الرئيسة أو بمغزى القصة.

2_ الفصل الثاني :

استعرضت فيه عناوين المجموعات القصصية وعناوين القصص وعوامل اهتمام الكاتب بعناوينه القصصية، والاعتبارات التي تم وفقها اختيار الكاتب لعناوين مجموعاته وقصصه، من خلال الربط بين العنوان وجسد النص.واعتمدت على الدراسات السيمائية في تحليل مكونات العناوين، ثم أتيت على استعراض أبرز سمات مكونات العناوين لدى الكاتب.

3-الفصل الثالث:

وقد تناولت فيه أبرز الموضوعات التي ظهرت في قصصه، وجمعت بين القصص التي تتشابه في موضوعاتها، فأتيت على أبرز قصصها وفق الترتيب الزمني لصدور المجموعات، ووجدت أنها تدور وفق أربعة محاور: المحور الأول صور فيه واقع القمع في العالم العربي، وعلاقة الثورة الفلسطينية بالأنظمة العربية.أما المحور الثاني، فقد تناولت فيه صورة الواقع الفلسطيني تحت الاحتلال، من خلال إبراز القصص التي تناولت التشبث بالأرض ومقاومة الاستيطان، وقسوة الحياة وصعوبتها، وموقف الفلسطيني منه، من خلال عرض النماذج الإيجابية المقاومة. وتناولت كذلك علاقة الفلسطيني بالصهيوني و كيف بدت صورة اليهودي في نتاجه، ولم أنس نظرة هنية لواقع المرأة العربية والفلسطينية كما تجلت

---

[1] -ينظر :مقالته في كتاب" الدخول إلى حبر الروح:دراسات في أدب أكرم هنية"، جمع وتقديم :المتوكل طه، ط1، القدس، دار العودة للدراسات والنشر، (آب-1990)، ص 139.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في بعض قصصه.وتتبعتها تتبعا تاريخيا، بإيجاز، ووقفت على أبرز قصة تناولت هذا الموضوع.

4- الفصل الرابع:

تعرضت في هذا الفصل لطرق القص عند الكاتب، من خلال الشكل التقليدي، وأبرزت بعض القصص التي تمثل هذا الجانب وخاصة أسلوب الحكاية، ثم تناولت أسلوب الترجمة الذاتية وتوظيف تيار الوعي من خلال الاسترجاع والمونولوج، ووقفت على أبرز القصص التي تمثل كل أسلوب من هذه الأساليب.

أما النزوع للتجريب فقد حظي بنصيب وافر، من خلال دراسة طرق التجديد والتجريب التي انتهجها الكاتب في تنويع قصصه، وقد تجلت في استخدام أسلوب القطع والتوظيف الجزئي لأسلوب الرسائل. ثم تناولت في هذا الفصل بعض الظواهر الفنية مثل :الرمز والإفادة من التراث الشعبي والتراث التاريخي واللامعقول، ثم أفردت جانبا لدراسة اللغة القصصية، والمكان وبعد ذلك درست نهايات قصصه ووجدت أنها تراوحت بين النهايات التشاؤمية والنهايات التفاؤلية.

وقد اعتمدت في دراستي على قصص الكاتب، وأفدت من الدراسات الأدبية التي تنتمي إلى القصة القصيرة والرواية، ومن الدراسات المختلفة التي كتبها أصحابها حول مجموعات الكاتب.

وفي هذا العرض، أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور عادل الأسطة، لما أبداه من أناة وروية وسعة صدر أثناء إعداد هذه الدراسة، فكان خير مساعد ومعين. وأساتذتي في جامعة النجاح الوطنية، وكل من ساهم وأشرف على هذه الدراسة، فلهم مني كل التحية والتقدير، والله الموفق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حياته:

ولد " أكرم عبد السلام عبد الحميد هنية عام 1953 م، في مدينة رام الله."([1]) "لأب وأم لجآ من قرية أبو شوشة قرب الرملة، بعد حرب 1948، واستقرا هناك". ([2])"وكان الرابع بين أخوته. درس وتعلم في مدارس رام الله، وحصل على الشهادة الثانوية العامة عام 1971، بمعدل 91 % الفرع الأدبي ".([3])

وأرسل في بعثة من وزارة التربية والتعليم الأردنية إلى القاهرة، وتخرج في قسم الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة، عام 1976.([4]) " بدرجة الشرف ".([5])

"وفي فترة ما بين عامي 1976 –1978 عمل في المدارس الأردنية، مدرسا للغة الإنجليزية، حتى أنهى التزامه. وكان في هذه الفترة يعمل في جريدة "الشعب " الأردنية، سكرتيرا للتحرير، ثم عاد بعد إغلاق الجريدة عام 1978 م إلى الضفة الغربية. وعين لمدة عام مديرا للعلاقات العامة في جامعة بيرزيت، بالإضافة إلى عمله المسائي محررا في صحيفة " الشعب " المقدسية.وبعد ذلك " انتقل إلى صحيفة الشعب حيث أصبح رئيس التحرير بالوكالة".([6]) ولقد نجح في عمله صحفيا، حيث ارتفعت مبيعات جريدة الشعب بجهوده، و"شجع على شراء آلات طباعة جديدة، وتحديث الصحيفة."([7])

وفي عام 1980، انتخب رئيسا لرابطة الصحفيين العرب لمدة أربع سنوات، وكان من الهيئة التأسيسية للرابطة.

"اعتقل أكرم هنية مرتين: الأولى عام 1981 لمدة 33 يوما، وبعدها فرضت عليه الإقامة الجبرية لمدة سنتين ونصف منذ عام 1981 وإلىأواسط عام 1983، في مدينة رام الله.والثانية عام1986 في سجن جنيد لمدة 55يوما. ([8])"أمضى معظمها في الحبس الانفرادي ".([9]) و"أصدر قرار الإبعاد قائد المنطقة الوسطى، الجنرال (إهود براك) بحجة وجود تقارير ومعلومات، تفيد بأن هنية نشيط كبير في حركة "فتح "، وعضو في اللجنة المركزية

---

[1] – ينظر: الدخول إلى حبر الروح، ص153.

[2] _ السابق، ص162.

[3] _السابق، ص152.

[4] _ السابق، ص152.

[5] ___ السابق، ص175.

[6] ___ السابق، ص152.

[7] _ السابق، ص175

[8] _ السابق، ص152.

[9] _ السابق، ص136.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للحركة في الضفة الغربية، وأنه كان يعمل حتى اعتقاله على "تعزيز البنية التحتية للمنظمات الفلسطينية في الأراضي المحتلة، بهدف المحافظة على وحدة الصف ...، إضافة إلى قيامه بدور نشط في لجنة التوجيه الوطني، وشنه حملة ضد إقامة علاقات دبلوماسية بين مصر وإسرائيل سنة 1980.والقيام بدور الوسيط بين حركة فتح وبين المسلمين الأصوليين في قطاع غزة".([1]) "وقد وصلت التهم الموجهة إليه(311) تهمة.([2])

وقد علق هنية، في مقابلة مع صحيفة "اللموند " الفرنسية، على الحجج والذرائع والأسباب التي تتخذها سلطات الاحتلال الإسرائيلي لإبعاد أي فلسطيني قائلا:"لأنه فلسطيني أولا، ولأنه يطالب بحق شعبه، وفي تقرير مصيره، وبناء دولته المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ".([3])

وقد تم إبعاد أكرم هنية إلى مدينة (جنيف)، ثم إلى (باريس)، ثم غادرها إلى الجزائر. ولقد صاحب إبعاده شجب واستنكار عدد من الدول والمنظمات الإنسانية.واندلعت المظاهرات الجماهيرية في المدن الفلسطينية، على أثر قرار الإبعاد، وجُرِح شابان." ([4]) كما واحتجبت صحيفتا الشعب والفجر عن الصدور، تضامنا معه."([5]) وبقي هنية يعيش في المنفى حتى قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية، حيث" عاد عام 1994، ليؤسس جريدة الأيام في مدينة رام الله ".([6])

ولقد كان له عدد من المساهمات في مجالات متعددة غير الصحافة، فقد شارك في مؤتمرات ولقاءات سياسية مهمة، "ربما كان أشهرها اجتماعات (كامب ديفيد) ضمن الوفد الذي شكله الرئيس ياسر عرفات، وقد أصدر كتابا بهذا الخصوص لم يلبث أن ترجم إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وهو"أوراق كامب ديفيد."([7])

أما إبداعاته الأدبية والإبداعية، فقد تجلت في فن القصة القصيرة. حيث أصدر عددا من المجموعات القصصية، منها :"السفينة الأخيرة...الميناء الأخير"(1979)و "هزيمة الشاطر

---

[1] _ ينظر: الدخول إلى حبر الروح، ص151.

[2] _ السابق، ص 149.

[3] _ السابق، ص136.

[4] – السابق، ص134.

[5] – السابق، ص130.

[6] – شاهين، أحمد عمر، موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين، ج1، ط2، غزة– فلسطين، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق، 1999، ص112.

[7] _ دحبور، أحمد، "أكرم هنية يسرد قصص "أسرار الدوري"، الحياة الجديدة، فلسطين، السنة الرابعة، (2001/10/3)، ص14.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسن "(1980) و "وقائع التغريبة الثانية للهلالي "(1981).وبعد ذلك بخمس سنوات خرجت المجموعة الأخيرة " عندما أضيء ليل القدس "، ضمن كتاب "طقوس ليوم آخر "(1986)، الذي ضم إليه المجموعات القصصية السابقة، وآخر مجموعاته القصصية هي"أسرار الدوري"(2001).

ونشر القاص مقاطع من رواية لم تنشر حتى الآن، وعنوانها "المكاتيب لا تصل لعناوينها".([1])

واقع القصة القصيرة الفلسطينية حتى صدور مجموعات القاص:

يكاد يجمع كثير من الباحثين والنقاد على أن القصة العربية وفدت إلينا من خلال رافدين:

الأول: تراثي، يتصل بروح الأمة وثقافتها وحضارتها من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث الذي ظهر من خلال أيام العرب وأخبارها في ذلك العصر، والقص القرآني في صدر الإسلام، والشعر القصصي في العصر الأموي، والقصص العلمية والفلسفية والفكاهية وفن المقامة وألف ليلة وليلة في العصر العباسي، وقصص البطولة الشفوية في العصر المملوكي والعصر العثماني، حتى بداية النهضة العربية في القرن التاسع عشر.([2])

وبهذا"يتبين أن للعرب في المجال القصصي تراثا عظيما لا ينكره إلا من ينكر الشمس في وضح النهار ".([3])

الثاني :أجنبي، بفعل التواصل والاتصال مع الأجانب من خلال البعثات التعليمية والإرساليات التبشيرية والكتب المترجمة وانتشار الصحافة.

وعليه، وجدنا هذا الفن، يفد إلينا من الغرب بمقومات فنية جديدة تختلف عن تلك المقومات التي ألفناها في التراث العربي. ومن هنا كانت مناطق الاحتكاك في العالم العربي هي السباقة في هذا الفن، فكان شرف الريادة لكل من مصر ولبنان.

ولقد ظهرت التجليات الأولى للقصة القصيرة الفلسطينية عند خليل بيدس، ومجلته النفائس سنة(1908)، "فكان جديرا بهذه المدرسة القصصية التي أرسى قواعدها وأقام

---

[1] ــ الفجر الأدبي، ع18، السنة الثانية، (آذار1982)، ص12

[2] ــ ينظر:علي، فردوس نور حسين، القصة في الأدب العربي حتى العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1966.

[3] ــ السابق، ص84.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصولها "، ([1])فكانت بدايات القصة بدايات تمهيدية، ساهم فيها عدد من القاصين الفلسطينيين من خلال القصة المترجمة والموضوعة الهادفة إلى الوعظ والإرشاد والنصح والتعليم والترفيه وكجزء سلعي من أجل ترويج الصحيفة وجذب القارئ تجاهها.ونظر عدد من القاصين إلى هذا الفن "فأكدوا على أهمية الفن القصصي لمجتمعهم الفلسطيني المعاصر".([2])

كما "تعثر على إشارات لمجلة أسبوعية هي مجلة الفجر الأسبوعية(1935) التي أصدرها محمود سيف الدين الإيراني."([3]) وإلى جانب هاتين المجلتين أسهمت الصحف التي صدرت في هذه المرحلة في العناية بالأدب والقصة، وهي صحف كثيرة صدرت في مختلف مدن فلسطين، وكثير منها لم يدم طويلا، لكنها بمجملها أدت دورا واضحا في هذا المجال.([4])

واستمر النتاج القصصي بالظهور، عبر الصحف والمجلات، من خلال القصص المترجمة والموضوعة بخطوات بطيئة، "فلم تكن القصص المترجمة قبل عام 1948ذات أثر أدبي عظيم يعتد به، إنما هي في الواقع أسهمت إسهاما بسيطا خجولا في إيقاظ النفوس، ولكن مع هذا فقد وجد المثقف الفلسطيني في القصة المترجمة متنفسا يحاول به وضع أساس، ولو متواضع لبناء فن قصصي صاعد".([5])

لقد كان للهزة التي أصابت الأرض الفلسطينية بعد نكبة1948 آثارها المدمرة على الشعب والأرض الفلسطينية، وهذا بدوره أثر على الحركة الأدبية، وخاصة القصة القصيرة باتجاهين:

الاتجاه الأول :سلبي، نتج عنه تمزيق أواصر الوطن الواحد، وشطر الحركة الأدبية الفلسطينية إلى جزأين، حيث هاجر عدد من الأدباء الفلسطينيين إلى الدول العربية :كجبرا والإيراني.أما الجزء المتبقي، فقد عزل عن بعضه البعض، فكان كتاب المناطق المحتلة عام (1948) منعزلين عن أخوتهم في بقية فلسطين والعالم العربي يعيشون في قمقم، " فحرب عام 1948 وترحيل القسم الأعظم من أبناء شعبنا العربي الفلسطيني وتفريغ المدن والقرى

---

[1] ــ ياغي، عبد الرحمن، حياة الأدب الفلسطيني : من أول النهضة...حتى النكبة، ط2، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1981، ص 435.

[2] – الجيوسي، سلمى الخضراء، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، ج1، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ، 1997، ص41.

[3] _ عبيدالله، محمد، القوس والحنين، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، (د.ت)، ص17.

[4] _السابق، ص17.

[5] _ شريح، محمود، القصة الفلسطينية القصيرة(1948_ 1985)، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني(الدراسات الخاصة)، المجلد الرابع، ط1، بيروت، 1990، ص200.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكبرى من المثقفين والمتعلمين ...أبقانا بقية مشتتة في الجليل والمثلث والنقب داخل قمقم يشد علينا ويكاد يسحقنا ".([1])

الاتجاه الثاني:إيجابي، حيث كان يمثل مرحلة النضوج الفني للأدب الفلسطيني، وفن القصة القصيرة، التي امتازت " بالنضوج الفني في أدب القصة وإتقان العمل القصصي وبارتفاع مستوى الذوق الفني في بناء القصة، وبالتقاء المستويات الرفيعة في المضامين والأشكال والانسجام الملحوظ بين الشكل والمضمون في أعمال هذه المرحلة ".([2])

وبرز من كتاب القصة والرواية "من نعتز ونفتخر بهم من أمثال غسان كنفاني اميل حبيبي وجبرا إبراهيم جبرا وغيرهم "([3])

أما المرحلة التالية _مرحلة الخمسينات والستينات_، فقد كان الفن القصصي في فلسطين يتطور إلى الأمام"لذلك نلمس من خلال المجموعات القصصية التي صدرت بعد نكبة 1948 أثر الأحداث التاريخية في الواقع الاجتماعي كما نلمس الانتقال من رؤية عامة غيبية إلى رؤية واقعية متقدمة" ([4])ويعود هذا التطور لعدد من العوامل أهمها:

1-ازدياد الوعي القومي، وظهور الكثير من الحركات القومية والاشتراكية التي بدأت تحاول التعبير عن الواقع العربي والفلسطيني، بكل تجلياته.وقد كانت هذه تؤمن بدور الأدب المشارك في العملية الثورية.

2-انطلاق الثورة الفلسطينية كان عاملا أسهم في ضرورة تحدي الواقع الجديد الذي أفرزته النكبة الفلسطينية، مما أعطى حوافز كثيرة للعديد من الكتاب، للالتزام بالقضية الوطنية عبر موضوعاتهم.

3-إطلاع العديد من القاصين الفلسطينيين على الإسهامات العربية، في مجال القصة والرواية والذين دفعوا الحركة القصصية إلى الأمام.

4- الارتفاع المتزايد في أعداد الصحف والدوريات التي ظهرت في ذلك الوقت، واهتمام هذه الصحف بالقصة القصيرة التي بدأت تزاحم الشعر والرواية.

5-ظهور المدارس النقدية الحديثة، وهضم العرب ما أنتجته القريحة العالمية في ذلك الوقت.

ولو تتبعنا نهضة القصة القصيرة في ذلك الوقت- ولو أخذنا -مثلا – مجلة الأفق الجديد – لوجدنا الكم الهائل من هذه القصص حيث بلغت" (117) قصة موضوعة ...وأسهم في كتابتها

---

[1] _ القاسم، نبيه، دراسات في القصة المحلية، عكا القديمة، الأسوار للطباعة والنشر، 1979، ص5.

[2] _ ياغي، عبد الرحمن، حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص491.

[3] _ شريح، محمود، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني(الدراسات الخاصة)، المجلد الرابع، 140.

[4] _ السابق، ص200.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(46) قاصا عربيا من الأردن وفلسطين وبعض البلدان العربية المجاورة." ([1]) كما أننا نجد ظهور أسماء جديدة في الضفة الغربية مثل : ماجد أبو شرار ونمر سرحان وأمين شنار ومحمد أبو شلباية ولطفي ملحس ويوسف العظم وخالد الساكت ومحمد سعيد، ...بالإضافة إلى توقيعات مستعارة بأسماء كتاب غير معروفين".([2])

أما على صعيد الاهتمام بالقصة القصيرة، فقد تمَّ " عقد الندوات واللقاءات مع القاصين والنقاد حول فن القصة.وإصدار عدد خاص بها، وإعلان مسابقة القصة القصيرة ".([3]) "وبهذا نستطيع القول إن القصة القصيرة الفلسطينية قد ضربت جذورها قبل هزيمة 1967 على صعيد البناء والشكل بحيث نستطيع الاطمئنان إلى أن فن القصة القصيرة قد أصبح أكثر واقعية والتزاما وجدية على صعيد الموضوعات، وعلى صعيد الشكل الفني بحيث تهيء للفترة القادمة الأرضية الخصبة للإبداع." ([4])

أما على صعيد الموضوعات، "فقد بدت أكثر التزاما بالواقع المعيش بحيث حاولت التخلص من البدايات الرومانسية ومحاولة رسم ملامح المأساة الفلسطينية وعواملها ووصف مأساة اللاجئ الفلسطيني في ديار الغربة والتحرر من الخرافات والتفكير جماعيا."([5])

وجاءت هزيمة 1967 وكانت الإجراءات الصهيونية أكبر من هذا التفاؤل حيث تمَّ حصار الكتاب وإبعادهم وسجنهم وتعذيبهم وتصفية العديد منهم، وهذا كله كان شاهدا على تلك المعوقات التي كانت تقف في طريق نهوض القصة القصيرة الفلسطينية في المناطق المحتلة.

لقد حالت الظروف السياسية دون تشكيل خط صاعد للقصة الفلسطينية في الضفة والقطاع، ويعود ذلك إلى الخصوصية الفلسطينية التي جزأت الأدب الفلسطيني إلى ثلاثة أجزاء حيث كان لأدب الداخل 1948 خصوصيته التي تختلف عن أدب الشتات وأدب الأرض المحتلة1967، وقد حالت الظروف فيها دون أن يصل هذا الأدب إلى مستوى الأدبين السابقين مما دفع مفيد دويكات إلى القول:" أن القصة القصيرة عندنا هي التي بدأت وانتشرت بمنتهى العصامية وبدون الاعتماد على الآباء والأجداد".([6])

---

[1] _ عبيدالله، محمد، القوس والحنين، ص43.

[2] _السابق، ص43/44.

[3] -السابق، ص43-44. حيث تناول دراسة الإبداع القصصي الخاص بالقصة القصيرة، والذي ظهر على صفحات مجلة الأفق الجديد منذ صدورها حتى توقفها عن الصدور.

[4] - عباس، نصر محمد إبراهيم، الفن القصصي في فلسطين، الرياض، دار العلوم، 1982، ص546 .

[5] _ شريح محمود، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، ص200_203.

[6] __ دويكات، مفيد، الشعب، (1977/10/20).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا ما أشار إليه عادل الأسطة في دراسته حول القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام 67-1981، حيث خلص إلى أن الظروف "حالت دون أن يشكل فن القصة القصيرة في المناطق المحتلة عام 1967 خطا تصاعديا لحركة القصة القصيرة قبل هذا العام، كما حالت دون أن يشكل خطا موازيا لفن القصة الفلسطينية في المنفى وفي المناطق المحتلة عام 1948".([1])

لقد تراجعت الحركة الأدبية لعدة سنوات داخل الضفة الغربية وقطاع غزة إلا أنها بدأت " مسيرتها المظفرة مع بداية عام 1972، وتعززت هذه المسيرة مع نهاية عام 1975".([2]) ويرى محمد أيوب، من خلال ندوة أقيمت حول القصة القصيرة في الأراضي المحتلة، أن أسباب هذه الانطلاقة الجديدة بعد مرحلة الصمت التي استمرت خمس سنوات يرجع إلى ثلاثة عوامل، هي:"

1-الذهول الذي أصاب الإسرائيليين وبالتالي اهتزاز ثقتهم بحكومتهم وأنفسهم بعد حرب 1973.

2-عودة الثقة لإنساننا الفلسطيني في الإنسان العربي بعد تلك الحرب، هذه الثقة التي اهتزت بعد حزيران 1967.

3-انفتاحنا على عرب الأرض المحتلة عام 1948حيث تعلمنا منهم الكثير، فبالرغم من محاولات التغريب والضم برز أميل حبيبي وسميح القاسم ومحمد علي طه وتوفيق زياد وأولئك الذين أنارو الطريق في أحلك الساعات ". ([3])

وإن كنت أتفق معه في السببين الأخيرين، فإنني لا أجد في السبب الأول حافزا للتطور، والعكس هو الصحيح، حيث زادت الإجراءات التعسفية ضد الفلسطينيين، ووجدنا القصة القصيرة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة محاصرة هي الأخرى كالإنسان الفلسطيني على أرضه ؛لأنها كانت "تحاول جهدها استلهام الواقع والتحريض عليه"([4]).

---

[1] - الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة(1967-1981)، نابلس، 1993، ص159.

[2] _ينظر :ندوة القصة القصيرة في الأرض المحتلة :الفجر الأدبي، ع22، (تموز-1982)، ص132.

[3] _السابق، ص134.

[4] _ شريح، محمود، القصة الفلسطينية القصيرة(1948_ 1985)، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، ص200.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن رغم هذه المعوقات، إلا أننا وجدنا في تلك الفترة(منتصف السبعينات)، والفترة اللاحقة لها نشاطا لحركة القصة القصيرة حيث تبوأت مكان الصدارة بين غيرها من الفنون الأخرى، ولعل ذلك يرجع إلى عدة عوامل منها :

1-ظهور الصحف والمجلات المحلية المتعددة مما شجع الحركة الأدبية من خلال تخصيص زوايا خاصة للأدب، أومن خلال إفراد أعداد خاصة كما هو حال صحيفة الفجر، حيث أفردت ملحقا خاصا للأدب تحت عنوان الفجر الأدبي (1980).([1])

2-ظهور دور النشر المتعددة.حيث أُنشئت دور نشر وطنية، أخذت على عاتقها نشر ما يصل إليها من كتب عربية عبر أوروبا.([2])

3- طبيعة القصة القصيرة نفسها، حيث أن حجمها ساعد هو الآخر على تربعها على صفحات المجلات والصحف، وقدرتها على مواكبة الحدث، والواقع الآني اللحظي ؛مما منحها قدرة مواكبة الأحداث السياسية والاجتماعية المتسارعة على الساحة الفلسطينية.

4-ظهور عدد كبير من المواهب التي رفدت القصة القصيرة، ففي دراسة للكاتب جمال بنورة حول ملامح القصة المحلية من خلال مسيرة الكاتب في سنة يرصد لنا " أربعين قصة قصيرة لسبعة وعشرين كاتبا.وأول ما يلفت النظر أن معظم هؤلاء الكتاب أسماء جديدة في عالم القصة المحلية "([3]) أما مجلة البيادر فقد نشرت خلال سنة"مائة وثماني قصص لأربعة وخمسين قاصا منهم أربعة وأربعون قاصا فلسطينيا"([4]) في حين "بدأنا نسمع بالكثير من الأسماء المناهضة[للمحتل] المعبرة عن آلام شعبنا وطموحاته مثل: جمال بنورة، محمد جبر، غريب عسقلاني، أكرم هنية مفيد دويكات، محمد أيوب، سامي الكيلاني، فضل ريماوي، صبحي حمدان، عبدالله تايه، إبراهيم جوهر، عادل الأسطة ..."([5])

---

[1] ينظر: الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة(1967-1981)، ص18_27.

[2] _ينظر:الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، ص464.لقد عمدت سلطات الاحتلال في ما بين عامي 1973_1978إلى تسهيل منح التراخيص لإصدار الصحف في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ومنحتها هامشا من حرية التعبير لتحقيق عدة أهداف: أولها :إضفاء الطابع الليبرالي للاحتلال الإسرائيلي أمام الرأي العام المحلي، وثانيها :إضعاف مبررات صدور النشرات السرية المعادية للاحتلال الإسرائيلي، وثالثها :محاولة تطبيع العلاقات بين سكان الضفة والقطاع وبين الاحتلال.

[3] _الكاتب، ع3، السنة الثانية، (نيسان_1981)، ص2.

[4] _ صالح، فخري، واقع القصة القصيرة الفلسطينية تحت الاحتلال، البيادر، ع7، السنة الثالثة، (أيلول_1978)، ص3.

[5] _ سالم، عفيف :الجبهة الثانية:الأدب في لمواجهة:دراسة لواقع الحركة الأدبية في المناطق المحتلة ما بين السنوات67_1979، (د.ت)، ص39/38.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك نجد عددا من الكتاب الذين نشروا مجموعاتهم القصصية في تلك الفترة، أمثال:سامي الكيلاني في مجموعته "أخضر يا زعتر "، صبحي الشحروري" المعطف القديم "، جمال بنورة "حكاية جدي "، أكرم هنية "السفينة الأخيرة ...الميناء الأخير" "هزيمة الشاطر حسن" "وقائع التغريبة الثانية للهلالي"، حسن أبو لبدة "جراح في الزمن الرديء"،...بالإضافة إلى الكثير من القصص التي نشرت عبر الصحف والمجلات والتي لم تجمع على شكل مجموعات.

ومن هنا نجد أن القصة القصيرة أصبحت الصوت المميز في حمل الهم الفلسطيني ومقارعة الاحتلال، من خلال كثرة عدد كتابها، والاهتمام بها كفن يعبر عن صوت الفئة التقدمية في النضال الفلسطيني ضد الاحتلال.

5-نمو الحركة النقدية الأدبية ([1])، ولقد تجلى ذلك عبر مشاركة أساتذة الجامعات، وإقامة الندوات الخاصة الأدبية، ونشر هذه الندوات عبر الصحف والمجلات. كالندوة الخاصة حول القصة القصيرة في الأرض المحتلة والتي شارك فيها عدد من النقاد والقاصين في محاولة لتطوير فن القصة.([2]) وكذلك إقامة المهرجانات الثقافية كالمهرجان الثقافي الأول للقصة القصيرة عام 1975، ثم المهرجان الوطني الثاني للأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة سنة (1983) تحت شعار" الأدب في المعركة"([3]) إضافة إلى الدراسات النقدية المتعددة للقصة القصيرة.

7_الاستفادة من التجارب العربية والعالمية في موضوعات القصة وشكلها . ولقد ظهر ذلك عبر اتجاه التجريب الذي بدأ يظهر في نتاج قصاصي الأرض المحتلة، ومحاولة النسج على منواله، ضمن الواقع الفلسطيني.ولقد صرح أكثر من قاص بتأثره بالنماذج العربية والعالمية، فأكرم هنية وفي لقاء معه، يقول : "وأعتقد أنني تأثرت في هذا المجال بمجموعات الكتاب المصريين الشبان".([4]) كما أن عددا من النماذج القصصية العالمية والعربية، قد ظهرت مترجمة على صفحات الفجر الأدبي والكاتب والبيادر، وغيرها من الكتب المترجمة مما يؤكد مثل هذا التأثر.ناهيك عن دراسة بعض القصاصين في الخارج أمثال: أكرم هنية وحسن أبو

---

[1] _ينظر: الخطيب، حسام، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، ص 388_390.حول دور أساتذة الجامعات والكتاب في المساهمة في دفع حركة النقد الأدبي الفلسطيني.

[2] _ينظر :ندوة العدد، القصة القصيرة في الأرض المحتلة، الفجر الأدبي، ع22، (تموز_1982)، ص132_142.وكذلك ندوة العدد حول الحركة الأدبية المحلية، الفجر الأدبي، ع18، (أذار_1982)، ص115_132.

[3] -الخليلي، علي :"الأدب في المعركة"، الفجر الأدبي، العدد23، (آب-1982)، ص7.

[4] _ ينظر :اللقاء الذي أجراه الأسطة ، عادل مع الكاتب ضمن كتاب، الدخول إلى حبر الروح، ص108.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لبدة وعادل الأسطة وعزت غزاوي، ...مما أتاح لهم الالتقاء والتأثر بالآداب العالمية والعربية، وزيادة حصيلتهم ورؤاهم حول هذا الفن. فشرعوا بوضع أساسيات نظرية للقصة القصيرة حول الشكل الفني، ونجد ذلك من خلال الدراسة التي قام بها عادل الأسطة في كتابه "القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة".وما تحدث به عزت الغزاوي في دراسة له بعنوان: "أساسيات القصة القصيرة "، ([1])وكذلك دراسات فخري صالح وأحمد حرب وجمال بنورة.مما كان يبشر بالارتقاء بهذا الفن ودفعه إلى الأمام من خلال توظيف الرمز وأسلوب التقطيع واستخدام تيار الوعي والاسترجاع وتوظيف الحكاية الشعبية والتراث والاتكاء على التاريخ والفنتازيا.وعليه يمكن القول إن القصة القصيرة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة حتى بداية خروج مجموعات القاص أكرم هنية للنور، كانت تعيش محاولات التجريب، وتستند على ذخيرة قصصية قد خطها جيل منتصف السبعينات الذي ينتمي إليه، مما يشكل أرضية صلبة في التبشير بمحاولات جادة نلمسها في نتاج القص والتي ساهمت في دفع القصة القصيرة إلى الأمام. وهذا ما نأمل أن نصل إليه من خلال دراستنا هذه على صعيد الموضوعات القصصية والشكل الفني.

أكرم هنية في ميزان النقاد:

يعد القاص أكرم هنية كاتبا بارزا من كتاب القصة القصيرة الفلسطينية. وما أن خرجت مجموعته القصصية الأولى للنور "السفينة الأخيرة ...الميناء الأخير "، حتى تلقفها عدد من النقاد والكتاب، بالنقد والتحليل والدراسة.ولم تخل أكثر مختارات القصة القصيرة التي صدرت في فلسطين المحتلة وخارجها من إبراز نص قصصي من قصصه.

ولقد كان لدار الكاتب العربي في مدينة القدس فضل الريادة في نشر عمله الأول "السفينة الأخيرة ...الميناء الأخير"، سنة 1979.والثاني "هزيمة الشاطر حسن"، سنة 1980 ، والثالث"وقائع الغريبة الهلالية الثانية "، سنة 1981. أما مجموعته "عندما أضيء ليل القدس "، فقد صدرت في قبرص، ضمن سلسة كتاب الكرمل ، عن مؤسسة "بيسان برس " للصحافة والنشر والتوزيع، سنة 1986.وقد شمل الكتاب بالإضافة إلى المجموعة الأخيرة

[1] _ الغزاوي، عزت، الفجر الأدبي، العدد34، السنة الثالثة، (تموز-1983)، ص36 -40.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجموعاته الثلاث السابقة تحت عنوان "طقوس ليوم آخر :قصص قصيرة من الأرض المحتلة".([1])

وبهذا أسهم القاص في إخراج أربع مجموعات امتدت بين سني 1979_1986. بالإضافة إلى فصل من رواية عنوانها " المكاتيب لاتصل لعناوينها"، نشر مقاطع منها في ملحق الفجر الأدبي.وقد وعدت المجلة بصدورها قريبا إلا أنها لم تصدر فيما بعد.([2])ومن خلال لقاء معه، أجرته وداد البرغوثي في أيلول 1982.سألته عن أسباب عدم نشر روايته، فأجاب:"أنا لم أنجزها بعد وأعتقد أنها ستكون قصة طويلة أو رواية قصيرة وهو الشكل الذي أعتقد أنه سيكون أكثر الأجناس الأدبية رواجا وتأثيرا في الوطن العربي خلال السنوات القادمة.وآمل أن أتمكن من إصدار " المكاتيب لا تصل لعناوينها " خلال العام القادم وربما كان من أسباب تأخر إنجازها أنها تجربتي الأولى في هذا المجال." ([3])

ولكن للأسف لم يكمل هذه الرواية، ولم تخرج للنور، وبذلك توقف إنتاجه الأدبي بعد صدور مجموعته الأخيرة سنة(1986)، حيث تفرغ للعمل السياسي إلى أن عاد ونشر مجموعته الأخيرة"أسرار الدوري"سنة(2001) بعد انقطاع دام خمس عشرة سنة.([4])

لقد حظيت مجموعات القاص بعناية خاصة على صعيد الكتب والأبحاث الصادرة داخل الأرض المحتلة وخارجها، أو التي أسهم في كتابتها كتاب ونقاد من الأراضي المحتلة، فلم يغفلوا الدور الريادي الذي اضطلع به القاص.وقد ظهر ذلك، من خلال الدراسات النقدية في الصحف والمجلات المحلية: كالكاتب والبيادر والفجر الأدبي، وغيرها. أو من خلال الكتب التي تناولت الأعمال القصصية، على صعيد الأرض المحتلة، بالنقد والتحليل.

نجد بواكير هذه المتابعة، في كتاب خليل السواحري، "زمن الاحتلال :قراءة في أدب الأرض المحتلة".حيث تعرض للمجموعة الأولى من أعمال القاص، ولفت انتباهه الطريقة التجريبية، وأسلوب الرمز الذي استخدمه القاص في نتاجه خلافا للنهج الذي يتبعه زملاؤه من القاصين في المناطق المحتلة."([5])

---

[1] _ شريح، محمود، فهرس القصة الفلسطينية القصيرة، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدرسات الخاصة، المجلد الرابع، ص231.

[2] _الفجر الأدبي، ع18، السنة الثانية، (آذار_1982).ص12.

[3] _ ينظر: اللقاء الذي أجرته ضمن كتاب، الدخول إلى حبر الروح، ص124/123.

[4] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، ، 2001.

[5] _ السواحري، خليل، زمن الاحتلال :قراءة في أدب الأرض المحتلة، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العربي، 1979، ص35.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك نجد عفيف سالم، في دراسة قصيرة له، عنوانها:" الأدب في المواجهة :دراسة لواقع الحركة الأدبية في المناطق المحتلة ما بين السنوات 1967-1979، يبشر بالتحول الذي أدخله القاص على صعيد التجديد في الأداة الفنية الأدبية، ورفعها إلى مستوى أرقى، وإلى مرحلة متقدمة في مجموعته الأولى.إلى جانب محمود شقير، وعادل الأسطة".([1])

لقد حظي القاص بنشر قصة من قصصه في مجموعة "قصص قصيرة من الوطن المحتل" قدم لها علي الخليلي، وصدرت المجموعة عن جمعية الملتقى الفكري في مدينة القدس، سنة 1981. ولعل عادل الأسطة الأكثر متابعة لنتاج القاص منذ صدور مجموعته الأولى "السفينة الأخيرة ...الميناء الأخير"حيث نجد له دراستين ([2])و مجموعة من المقالات تناول فيها نتاج القاص([3]) ، ففي جريدة الشعب المقدسية نعثر له على مقالتين تناول فيهما قصة"وقائع التغريبة الثانية للهلالي"، حيث تطرق إلى ما أضافه أكرم هنية في هذه المجموعة مقارنة بالمجموعتين السابقتين.ومقالة بعنوان :"قراءات نقدية: طقوس ليوم آخر "، حيث تناول فيها التطور الفني في المجموعة الأخيرة مقارنة بمجموعاته السابقة على صعيد الموضوعات، والشكل الفني".([4])

وتناول بعض قصصه عبد الله عوض الخباص في دراسته وأتى على قصة "القرار" كقصة ورد فيها اسم القدس.([5]) وقصة "بعد الحصار قبل الشمس بقليل "، وتمثل بها كنموذج على الاتجاه الذي يغلب عليه الحس الوطني في التعامل مع مدينة القدس.([6])

أما إبراهيم خليل في كتابه" انطولوجيا القصة القصيرة الفلسطينية "، فقد عرض لحياة القاص وضمّن كتابه قصة" أبو القاسم يشارك في النهوض الجماهيري".([7])ولفت انتباهه التوجه الفني الذي حاول فيه الكاتب الإخلاص لحسه القصصي المفعم بالواقعية ومحاولة البحث عن تقنيات فنية جديدة دون الانسلاخ عن الشكل المعروف للقصة القصيرة، وهذا

---

[1] _ سالم، عفيف، الجبهة الثانية :الأدب في المواجهة، ص39/38.

[2] _أثرت تأخير دراسة كتاب "القصة في الضفة الغربية وقطاع غزة(1967-1981)، واعتمدت على سنة نشره 1993، على الرغم من أن هذا الكتاب قدم كرسالة ماجستير عام 1982.

[3] _جمعت هاتان المقالتان في كتاب لهذا قدمتها، ولم ادرسها ضمن المقالات.ينظر : الأسطة، عادل، دراسات نقدية، المثلث، مطبعة البسار، ، 1978.

[4] _السابق، ص56/45.

[5] _ الخباص، عبدالله عوض، القدس في الأدب العربي الحديث في فلسطين والأردن، عمان_ الأردن، دار النفائس، 1995، ص154-158.

[6] _السابق، 171-175.

[7] – خليل، إبراهيم، انطولوجيا القصة القصيرة الفلسطينية، ط1، عمان، دار الكرمل، 1990، 49-52.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكثر ما يتجلى في قصة "أبو القاسم".([1]) ونجد مثل هذا الانتباه في الموسوعة الفلسطينية، حيث نجد في الفهرسة ذكرا لمجموعاته القصصية. ([2])وإظهارا لدوره القصصي على صعيد الشكل الفني في دفع القصة القصيرة الفلسطينية إلى الأمام وخاصة مجموعته الأولى "السفينة الأخيرة ...الميناء الأخير "، ([3])على الرغم من أنها لم تكن الأفضل في نتاجه، وكانت محاولته الأولى.

ونجد عادل الأسطة ومن خلال دراسة "القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة سنة 1967-1981 "، تناول بعض أعمال القاص كظواهر في القصة الفلسطينية على صعيد الموضوعات والشكل الفني.([4]) ومن خلال الدراسة السابقة للأسطة نجد إعجابه بقصص أكرم هنية، وتثمين دوره على صعيد الشكل والمضمون، ورفد القصة المحلية بعطاء جديد، ودفعها إلى الأمام.

كما أن سلمى الخضراء الجيوسي عرضت لحياته، وأثبتت له قصة "بعد الحصار... قبل الشمس بقليل".([5])ورأت أن مجموعته الأولى، " قد لفتت الأنظار إليه ".ونجدها في الموضع نفسه تقول : "وأكرم هنية كاتب يستحق الاهتمام...فهو على جانب كبير من الأصالة". ([6])

أما نبيه القاسم في كتابه "مراودة النص :دراسات في الأدب الفلسطيني ".وهو كتاب صدر حديثا، فقد أفرد فصلا خاصا بعنوان "أكرم هنية وطقوسه لليوم الذي جاء والذي سيجيء"، عرض فيه لمجموعات القاص الأربع ومضامينها عرضا سريعا، ورسم طرق التحول في المضامين القصصية نحو الإيجابية، وقام كذلك بعرض النواحي الفنية في قصصه فأشار إلى العفوية والأبطال العاديين ومكان الحدث والسرد القصصي واللغة المطواعة والرمز الشفاف وتوظيف التراث والنبوءة.([7])وختم قوله حول القاص كما بدأه: "قد يطول الكلام حول قصص أكرم هنية ...وقد يكون تناولي لمجموعته القصصية جاء متأخرا لكني، وكما قلت في بداية كلامي الأدب الحقيقي هو الذي كلما أعدنا قراءته تكشف لنا

---

[1] _ خليل، إبراهيم، انطولوجيا القصة القصيرة الفلسطينية، ص15.

[2] _الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الرابع، ص210.

[3] -السابق، ص207.

[4] _ ينظر : الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة (1967-1981)،.

[5] – الجيوسي، سلمى الخضراء، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، ج1، ص192-197.

[6] -الجيوسي، سلمى الخضراء، موسوعة الدب الفلسطيني المعاصر، ج2، ص192.

[7] – القاسم، نبيه، مراودة النص:دراسات في الأدب الفلسطيني، ط1، شفا عمر، المشرق، 2001، ص 100-120.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن عوالم جديدة ورؤى نبوئية لم نلحظها في المرات السابقة وشدنا إليه بخيوط سحرية لم يكن لها وجود من قبل." ([1])

أما الكتاب الذي تناول مجمل نتاج القاص حتى سنة نشره، فهو كتاب "الدخول إلى حبر الروح " وهو مجموعة مقالات في أدب أكرم هنية نشرت في المجلات والصحف، أو بعض الدراسات التي تطرق إليها بعض الكتاب من خلال كتبهم المنشورة.([2]) وأهم هذه الدراسات دراسة عبد الرحمن ياغي وتناول فيها المجموعتين الأولى والثانية، حيث تحدث عن البدايات لدى القاص في هاتين المجموعتين. ([3]) ورأى:" أن البداية لديه دائما إما حركة مثيرة ...وإما انفعال مؤثر ...وإما خبر لافت..وإما تقرير يثير الدهشة وإما حادثة غير عادية.."ورغم الإعجاب الذي يكيله لأكرم هنية في طريقة القص، والانتفاع بالأسطورة والإشارات الذكية إلا أنه خالفه الرأي في بعض قصصه، مثل: قصة "أمنيات محمد العربي " و"تلك القرية ذلك الصباح"وقصة "النابغة الذبياني يهجو النعمان بن المنذر" و"قصة "شهادات واقعية حول موت منى.ل"التي عمل المستحيل لإنقاذها من أبعادها الرومانسية ولكنه ظل رومانسيا من أولها إلى آخرها. ولكنها ممتلئة بالمواقف الاجتماعية والسيكولوجية غير أنها انتهت بالكوابيس التي نرفضها."([4])

وعلى الرغم من ملاحظات ياغي إلا أنه يرى أن القاص "يظل ممتعا مثيرا ...نخالفه كثيرا ولكن يبقى ممتعا لدينا ويظل قادرا على إثارة محاور حارة نحس بمدى أهميتها...وإن نكن معه على غير اتفاق تام ...فنظل نعجب به ولكن نخالفه في بعض المواقف." ([5])

وقد تناول عزت غزاوي المرأة في قصص الكاتب.([6])وخلص إلى أن الكاتب "قد بنى صورة مشوشة للمرأة الفلسطينية ولم تكن صورة الرجل أكثر وضوحا لأن كلتا الصورتين

---

[1] – القاسم، نبيه، مراودة النص:دراسات في الأدب الفلسطيني، ص120.

[2] _هذا الكتاب يضم معظم المقالات الأدبية والسياسية وتعليقات الصحف العربية والأجنبية واللقاءات التي تمت مع أكرم هنية أو دارت حول حياته السياسية والأدبية والتي نشرت في الصحف أو المجلات.قام المتوكل طه بالتقديم لها، وبما أن هذه المقالات لا تحيل على اسم المرجع التي أخذت عنه ولا سنة نشره،لهذا سأقوم بعرضها حسب ترتيبها في الفهرس وإذا وجد لكاتب واحد أكثر من مقال سوف أدرسها معا.

[3] –ينظر: الدخول إلى حبر الروح، ص9-175.

[4] –ينظر :الدخول إلى حبر الروح، ص16.

[5] –السابق، 15.

[6] –السابق، ص17-21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقطهما الكاتب في فترة تاريخية مشوهة فيها الكثير من الظلم والقهر. ولم يستطع الرجل والمرأة إلا أن يريا نفسيهما من خلال وطن مقتول."([1])

كما تناول إبراهيم جوهر الموضوع نفسه الذي تناوله الغزاوي.([2])حيث تساءل جوهر:" كيف عبر أكرم هنية عن المرأة ؟ وما إسهامها الفعلي في عالمه الفني ؟ ([3])ولقد أجاب عن هذه الأسئلة في خلاصة مقالته ورأى أن هنية" اقترب كثيرا من عالم المرأة ونقل لنا كقراء نماذج متعددة من المرأة ومن الأعمال الجليلة التي تقوم بأدائها.ولقد كانت "المرأة " ضمن أولويات الكاتب حينما أراد تقديم شخوصه.وعلى ذلك فإن الكاتب قد نقل لقرائه، نماذج غنية من مواقع المرأة في ميدان وفي معمعان الحياة ".([4])

ولقد أسهم إبراهيم العلم في دراسة المجموعتين الأولى والثانية.([5]) وتناول النقلة السريعة الفنية بين المجموعتين وخلص إلى أن "الثمرات الفجة التي التقينا بها في بواكير قصصه كانت خطوة أولى على درب الأصالة والإبداع الذي ارتضاه أكرم هنية بالرغم مما يحفه من مشقة التجريب وعناء الجوس في طرق مجهولة ".([6])

وتناول المجموعة الأولى القاص زكي العيلة حيث قسم موضوعاتها الى ثلاثة.وتحدث عن الشكل الفني، ورأى "أن أهم ما يتسم به أسلوب –أكرم هنية –من خلال مجموعته تلك القدرة على تجاوز الأطر والأشكال الكلاسيكية..ومحاولة الرؤية بلا حواجز ...اللغة العصرية المكثفة والمتوترة..المناخات الإيجابية المسايرة للشكل والمحتوى، فيما عدا قصة "ليل بارد واحتمالات أخرى".([7])

أما علي بن عاشور، فقد تناول هو الآخر المجموعة الأولى، ورأى أن الصراع بين الموت والحياة هو المحور الذي تدور حوله المجموعة القصصية، "وكثيرا ما نجد الحياة عنده تتقدم عبر الشوك والنار بخطى[خطا] أولي العزم..لتتغلب بالنهاية على نقيضها: الموت ".([8])

ولقد أثار انتباه حسن أبو لبدة الطريقة التجريبية في المجموعة الأولى.حيث تطرق إلى أهم ما يميزها عن مثيلاتها من القصص في الضفة الغربية، ورأى أنها "تستوقف أي دارس

---

[1]- الدخول إلى حبر الروح، ص21.

[2] -السابق، ص22-32.

[3] - السابق، ص22.

[4] - السابق، ص32.

[5] - السابق، ص33-36.

[6] - السابق، ص36.

[7] _ينظر الدخول إلى حبر الروح، ص46.

[8] _السابق، ص49.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمسيرة الأدب الفلسطيني هنا من حيث كونها محاولة للخروج على التقليد والمألوف في أسلوب الطرح والمعالجة لمختلف الموضوعات، وكونها تفجر الشكل الفني السائد في مجال القصة القصيرة في الأرض المحتلة".([1])

أما الكاتب نبيل علقم، فقد تناول موضوعات القصص، ونهايات بعضها وأبدى إعجابه بموقف القاص من حيث التزامه بالواقع، ورؤيته الواضحة وذهب إلى أن "الأدب لا يصبح أدبا إن لم يكن قادرا على شق الطريق والتبشير لاجتياز الواقع القاسي نحو المستقبل المشرق. وهذا ما نجح فيه هنية في مولوده البكر."([2])

أما محمد فرحات، فقد ركز على الدور النضالي لقصص أكرم هنية واستعارته من رواد القصة واستفادته منهم، ومن تجارب زكريا تامر، ومن أفلام سينمائية." أما الخاصية الفنية لديه، فهي ضائعة بين تجربته الخاصة وتجارب غيره من القصاصين لعلها خطوة البدء في البحث عن لون خاص في كتابة القصة القصيرة ".([3])

ونجد مساهمة نشرت في مجلة الدوحة حيث ركز كاتب المقالة على المحاولة الناجحة التي سجلها القاص في الخروج على أسلوب السرد التقليدي السائد في الأرض المحتلة.وكذلك على صعيد المضامين التي "تعتبر شديدة المعاصرة ...وهي تشكل قفزة في مضامين القصة في المناطق المحتلة".([4])

وأسهم كل من الكاتبين محمد الأمين وعيسى السعيد في الكتابة حيث تم اختيار نموذجين من أدب الأرض المحتلة لكل من أكرم هنية وزكي العيلة ؛للرد على بعض الأصوات الحاقدة والمغرضة التي تحاول النيل من أدب الأرض المحتلة، وتأخذ عليه بساطته ومباشرته. ([5])

أما احمد حرب، فقد تناول المجموعة الثانية ونظر الى التطابق والتكامل بين ثلاث قصص منها. ورأى أنها تشكل حلقة قصصية يمكن فصلها عن باقي المجموعة لتشكل وحدة مستقلة موضوعيا وفنيا. ([6]) يقول حرب: "لو جاء ترتيب القصة الرابعة في مجموعة "هزيمة الشاطر حسن ". لأكرم هنية بدل القصة الثالثة "وردتان للزميلة ندى " لكانت القصص

---

[1] – الدخول إلى حبر الروح، ص52.

[2] – السابق، ص60.

[3] –السابق، ص63، لم يرد في الدراسة اسم كاتب المقال.

[4] _ينظر :الدخول إلى حبر الروح.ص64.

[5] _السابق، ص74.

[6] _السابق، ص74.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثلاث الأولى "هزيمة الشاطر حسن "، القرار"، "مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما "تشكل حلقة قصصية، يجمعها القرار الجماعي الإيجابي.([1])

وأسهم سمير شحادة في دراسة قصة "مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما "من المجموعة الثانية، حيث رأى أن الجماهير هي البطل فيها. وأن "أكرم هنية"ككاتب واقعي ثوري ملتزم يوحد في كتاباته بين الأنا الفردية والأنا الجماعية، فهو حينما يتحدث عن شخص بعينه يتحدث عنه ويتعامل معه من واقع ارتباطات هذا الفرد بالجماهير ومن واقع حركته في إطار الجماعة".([2])

وتقترب وجهات النظر حول مجموعة "هزيمة الشاطر حسن" لكل من عفيف سالم، ([3]) وجمال بنورة، ([4])ونبيل علقم، ([5]) حيث تناولوا موضوعات المجموعة التي تعبرعن هموم شعبنا وتطلعاته. ونزوع الكاتب للتجريب" مما يجعلها تبشر بقفزة واضحة لدى الكاتب لتوافر الإمكانات المطلوبة للقاص المبدع ".([6])

أما الأسطة فقد تناول المجموعة الأولى"السفينة الأخيرة ...الميناء الأخيرة"من الناحية الفنية وذهب إلى أن أكرم هنية ومن خلال "ثماني قصص قصيرة استطاع التعبير عن مشاكل وهموم الإنسان الفلسطيني بالإضافة إلى قضايا يعاني منها الإنسان المعاصر الذي يعيش في ظل أنظمة قمعية أينما وجد الإنسان وأينما وجدت مثل هذه الأنظمة..وكان القاص يعبر عن هذا الواقع من خلال رمزية تبدو فيها القصة شبه غامضة لغياب عنصر مهم هو المكان.وهو في أسلوبه يبتعد عن الحشو والوصف والسرد التقليدي، وهذا يضفي على المجموعة ميزة خاصة.([7])، ونستطيع اعتبار قصص أكرم هنية خطوة إلى الأمام في مجال القصة القصيرة في الضفة والقطاع إلى جانب إخوانه القاصين".([8]) أما مجموعة"هزيمة الشاطر حسن"، فقد تناولها من خلال دراسته للنموذج الإيجابي والسلبي حيث قارن بين المجموعتين من الناحية

---

[1] _ الدخول إلى حبر الروح، ص74.

[2] -السابق، ص91.

[3] -السابق، ص93-95.

[4] -السابق، ص96-98.ينظر كذلك : بنورة، جمال، دراسات أدبية، ط1، عكا، دار _الأسوار، 1987، 69-76.

[5] -السابق، ص100-103.

[6] -السابق، ص103.

[7] -ينظر :الدخول إلى حبر الروح، ص103.

[8] - السابق، ص56.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفنية، ومن حيث التعامل مع الواقع.([1]) هذا مجمل ما ورد في كتاب" الدخول إلى حبر الروح" من مقالات تم جمعها.

وما أن نشر القاص مجموعته الأخيرة "أسرار الدوري " حتى تتبعها النقاد والكتاب بالنقد والدراسة، ونجد بواكير هذه المتابعة من الأسطة فقد تناول مفاجأة أكرم هنية في إصدار مجموعته الأخيرة، وذهب إلى أن هذه المفاجأة مزدوجة. الأولى أنه عاد ليكتب القصة بعد اعتقاد أنه هجر عالم الأدب كليا، والثانية أن نصه القصصي نص يدور أكثره في عالم انتفاضة الأقصى، يستوحيها ويكتب عن أحداثها، في وقت لم نقرأ فيه قصصا كثيرة عن هذا الحدث. ورأى أن بعض قصص هنية تحيلنا من حيث الموضوع إلى بعض قصصه السابقة، كما تحيلنا إلى نصوص معروفة في الأدب الفلسطيني.ورأى كذلك تماهي القاص مع بعض الرواة في بعض قصصه وإن اختلفت بعض الجزئيات بينهما داخل النصوص القصصية.وأبدى إعجابه بطريقة القص التي استخدمها هنية في مجموعته هذه.([2])

أما أحمد دحبور، فقد عرض موضوعات مجموعة"أسرار الدوري" من حيث العادي وغير العادي التي تطرقت إليها هذه المجموعة وذهب في نهاية مقالته إلى أن "المقولة التي انتظمت المجموعة من الغلاف إلى الغلاف، إن هذه الشخصيات المنهكة المغتربة، كان من حقها أن تعيش حياة عادية، وأن تقول كلمتها في الحياة.لكن الظلم التاريخي هو الذي جعل العادي غير عادي.([3])

أما وليد الشرفا، فقد تناول المجموعة من خلال "الواقع والرمز وجها لوجه في استحضار النص" وذهب إلى أن مجموعة أكرم هنية القصصية الجديدة، تكشف منذ السطر الأول عن إجهاد ترميزي حاول المؤلف تجنيده بعد خمسة عشر عاما من مراقبة المشهد الفلسطيني، والأدبي العالمي، وكذلك الإنساني بعيون عدة.وتجلى ذلك من خلال الإجهاد اللغوي الترميزي الذي حاول المؤلف تجنيده في معالجة الواقع الفلسطيني وعناصر المغامرة الفنية، وهي خلق خليط متداخل بشكل صارخ بين الواقع الطبيعي والواقع القصصي المتجسد

---

[1] – الدخول إلى حبر الروح، ص53.

[2] – الأسطة، عادل:نحو إعادة الاعتبار لفن القصة القصيرة"، الأيام، رام الله، ع2073، السنة السادسة، (2001/9/25)، ص20.وقد توسع الكاتب في هذه المقالة ونشر دراسة موسعة تحت عنوان "النص وصلته بالنصوص الأخرى، ونشرت الدراسة في كتاب أعده الغزاوي، عزت تحت عنوان "تأملات نقدية في نماذج من الأدب الفلسطيني المعاصر"رام الله، 2001.ص82_102.

[3] – دحبور، أحمد:أكرم هنية يسرد قصص "أسرار الدوري"، الحياة الجديدة–فلسطين، السنة السابعة، (2001/10/3)ص14.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المكان، ثم مزج الأزمنة الواقعية بالأزمنة المتخيلة لخلق واقع يتصارع فيه الواقع والرمز من أجل الوصول إلى مرحلة البلاغة وإيصال الخطاب.([1])

ولعل فيما قدمنا من دراسات ومقالات يظهر حجم الاهتمام الذي أبداه الكتاب والنقاد حول مجموعات القاص، وتلك الشهادات التي تظهر مدى الإسهام الذي قام به في دفع القصة القصيرة الفلسطينية إلى الأمام على صعيد الشكل الفني وعلى صعيد الموضوعات.على الرغم من أن معظم هذه الدراسات والمقالات انصبَّت على المجموعتين الأولى والثانية بحيث حظيتا بنصيب الأسد من الدراسة والنقد، أما المجموعتان الأخيرتان، فلم تحظيا بمثل هذا الاهتمام والمتابعة على الرغم من أنهما تمثلان قفزة نوعية في عمل القاص. ولعل شهادة إميل حبيبي للمجموعة الثالثة، من خلال الكلمة التي ألقاها في المهرجان الوطني الأول للأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة، يؤشر على مدى الأهمية لدراسة مثل هاتين المجموعتين، حيث يقول :" لم أستطع قبل إعداد هذه الكلمة، سوى مراجعة كتابين صدرا مؤخرا في الأرض المحتلة:الأول هو "وقائع التغريبة الثانية للهلالي "بقلم أكرم هنية والثاني "أخضر يا زعتر "لسامي الكيلاني.كلاهما جابه هذا الهم.أما أكرم هنية، فقد حاول مجابهته.وأما سامي كيلاني فلما إلتقاه تهرب منه ".([2])

وبعد استعراض آراء الدارسين السالفة الذكر لا بد أن أشير إلى الملاحظات التالية : أولا _إنها دراسات صغيرة لا تتجاوز ست الصفحات من الحجم المتوسط، يعرض فيها الكاتب المجموعات مجتمعة، أو المجموعة القصصية الواحدة. ولا يعقل أن نحكم على مجموعات قصصية، أو مجموعة قصصية بهذا الاقتضاب الذي قد لايضيء العمل النقدي والأدبي على حد سواء.

ثانيا–ويتبع القضية السابقة قضية أخرى تمت لها بصلة الوئام والالتحام، وهي خروج الأحكام النقدية التلخيصية السريعة.([3])

---

[1] – الشرفا، وليد، "أكرم هنية في مجموعته أسرار الدوري "الحياة الجديدة، ع2209، (2001/10/11)، ص10.

[2] _ حبيبي، اميل:المهرجان الوطني الفلسطيني الأول للأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة (15–18آب)، القدس، ص14.

[3] –ينظر:الدخول إلى حبر الروح، ص62.نجد محمد فرحات_مثلا_ قد أعطى حكما على المجموعة الأولى من خلال صفحتين من الحجم المتوسط. حيث عرض مكان صدور القصة والتقديم لها(6) سطور، وبلغ حجم الاقتباس من المجموعة (28)سطرا، والحكم النقدي لخصه في النهاية بسطرين ونصف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا-اهتمام معظم الدراسات بالمضمون والفكرة، أو الهدف من القصة دون الولوج إلى فنية القصة. وهذا ما ظهر على الكثير من المقالات السابقة، حيث كان الاهتمام ينصب على الموضوعات وتلخيصها أو البحث عن القصدية من وراء العمل القصصي.

أما الشكل الفني، فكان نسيا منسيا في كثير من المقالات؛ ([1]) لأن المضمون كان يفرض هيمنته. فلن تجد في هذه الدراسات دراسة عن المكان أو الزمان، أو طرق السرد، أو دراسة في العناوين.وإذا تعرض الباحث لمثل هذه القضايا، فتكون لمحات سريعة عامة عبر سطر، أو سطرين، أو فقرة قصيرة؛ وبصورة عامة مادحة أو قادحة.

رابعا-كما أن بعض الكتاب مارس مهنة النقد، وما هو بناقد، بل من المعجبين بمثل هذا العمل القصصي ؛مما غيب المنهجية النقدية في تناولهم للأثر الأدبي.([2])

خامسا- ولقد فتح بعض محاكمات للنص، أو بعض مفرداته، أو قصد الكاتب، أومحاكمة بعض الألفاظ داخل القصة ([3])، أو محاكمة بعض الشخصيات، أو طبيعة تصرفاتها كما يجب أن تكون في الواقع الأرضي، وليس داخل واقعها الأدبي الذي يجب أن تتحرك به في علاقاتها. أو الانطلاق من فكر ثوري ومحاكمة العمل الأدبي بقدر ما يتفق والرؤيا التي يحملها الكاتب.([4]) مما أدخلهم في باب النقد القيمي الذي يهدف إلى تبسيط العمل الأدبي أو شرحه أو استعراضه.

3-نعثر على بعض الدراسات التي أصدر أصحابها أراء نقدية بعيدة عن الإعجاب، مثل : حرب، أحمد حيث تنبه إلى قضية العمل القصصي المدور داخل المجموعة الثانية، حين قال :"لو جاء ترتيب القصة الرابعة في مجموعة" هزيمة الشاطر حسن" لأكرم هنية بدل القصة الثالثة "وردتان للزميلة ندى" لكانت القصص الثلاث الأولى "هزيمة الشاطر حسن، "القرار"، "مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما" تشكل"حلقة قصصية قصيرة".وكذلك الأسطة، عادل الذي تناول الشكل الفني في كتابه"القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967 _1981."

[2] _الدخول إلى حبر الروح، ص57.نجد علقم ، نبيل في دراسته للمجموعة الأولى يقول:" لست هنا في مجال نقد هذه المجموعة فالنقد له مناهجه ومدارسه التي لا أعرفها معرفة تمكنني من دراستها دراسة نقدية، ولكن رأيت أن من واجبي كقارئ استمتع بهذه القصص أن أسجل بعض الملاحظات حولها."

[3] -ينظر: الدخول إلى حبر الروح، ص94.نجد سالم ، عفيف يحاكم كلمة القاص التي وردت في النص "علينا أن نواصل اللعبة حتى نهايتها". حيث يقول: النضال ليس لعبة بل مسيرة.

[4] الدخول إلى حبر الروح، ص47.نجد العيلة، زكي يحتج على رؤية أكرم هنية حين اختار الشعراء طليعة الجماهير، حيث يقول :"تصور الشعراء والمطربين طليعة الجماهير يعود إلى هواجس المثقفين الخاطئة ...، فالطبقة العاملة هي الطليعة وهي قابلة للتطور التاريخي ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دراسة العناوين:

سوف أتناول في هذا الفصل موضوع العنوان في قصص اكرم هنيـــة. ســأدرج ابتــداء العناوين في الرسم التالي، ثم سأقوم بدراستها مستفيدا من الدراسات السيميائية التي تناولــت العنوان، وبخاصة الدراسات التي قام بها دارسون عرب.

أولا:عناوين المجموعات

السـفينة الأخيـرة ...الميناء الأخيـر 79	هزيمة الشاطر حسن 1980	وقائع التغريبة الثانية للهلالي 1981	عندما أضيء ليل القدس 1986	أسرار الدوري 2001

ثانيا:عناوين القصص

عبر النافذة	هزيمة الشاطر حسن	وقت وشموس كثيرة	يوم قتل إبراهيم الأقرع	"سحر الحب"
السـفينة الأخيـرة الميناء الأخير	القرار	لماذا لم أذهب لمقابلـة صديقتي؟	شمال شرق ديـر اللطرون	يوم عادي
ليل بارد واحتمالات أخرى	وردتان للزميلة ندى	موت في صباح باكر	كل شيء ...وهذه النظرة بالذات	بوح سريري
أمنيـات محمـد العربي	مؤتمر فعاليات القرية يصـدر نداء هاما	وقائع التغريبة الثانيـة للهلالي	صلاة في المرحلة السادسة	"فلاش باك"
تلك القريـة ذلـك الصباح	المرحلة		تحولات الرجـل الثالث	أسرار الدوري
ذات مـوت ذات مدينة	أبـو القاسـم يشـارك فـي النهـوض الجماهيري		ظهيرة يوم رجـل حزين	أربع شرفات و أحلام زائدة
النابغـة الـذبياني يهجو النعمان بـن المنذر	شهادات واقعية حـول مـوت المواطنـة "منى.ل "		أم محمود تشارك في اعتصام نسائي	.. يومان فقط
بعد الحصار قبـل الشمس بقليل			عندما أضيء ليل القدس	فاصل طويل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الرغم من وجود العناوين منذ القدم إلا أن مجال الاهتمام بها كان ضئيلا.ولم نجد أحدا من الدارسين أو الباحثين القدامى قد أولى هذه القضية اهتمامه، على الرغم من أن قضية العنونة كانت تفرض نفسها فيما وصل إلينا من نصوص أدبية ودينية، ولم أعثر في حدود ما قرأته أو اطلعت عليه على كتاب دون عنوان، كما لم يصلنا كتاب غير معنون.

فتجاهل العنوان لم يكن لعدم وجوده في الإرث الثقافي الإنساني، بل لعدم الفطنة إلى تلك الخاصية، فالعنوان موجود منذ القدم في النصوص النثرية ومن خلال ما وصل إلينا من أساطير وملاحم قديمة، "فقد كان الكتبة في حضارة وادي الرافدين يعنونون النصوص الأدبية المدونة في الألواح الطينية بانتزاع أول سطر أو عبارة أو شطر من مستهل القصيدة ويتخذونه عنوانا"، ([1]) كما أننا نجد خاصية العنونة في الكتب السماوية، كالتوراة والإنجيل والقرآن.

٥٨٧٧٨٤

لكن الوعي بالعنوان لم يظهر في معطيات المنهجيات النقدية الحديثة إلا متأخرا، "فقد كان طرفا التواصل المبدع والمتلقي كلاهما لا يلتفتان إلى وظيفة العنوان في إنتاج الدلالة فلم يكن العنوان عندهم إحدى شفرات النص التي تنطوي على مُوجّهات في فعل القراءة والتأويل، وكان المؤلف يؤسس عنوانه بالحدس والذائقة والحساسية."([2])

و"على الرغم من الإغفال الملموس لهذا الجانب، عربيا، ضمن الدراسات النقدية الحديثة، في أفق الاهتمام الشغوف الذي عرفته الحقول الثقافية الغربية_فرنسا وانجلترا خصوصا_أو ما أطلق عليه بالبحث في العتبات."([3])إلا أن مجال الاهتمام به حديث العهد.ولقد بدا الاهتمام بالعنوان بالتدرج "ضمن العلم السيميائي (الدلالي)؛لأنه علامة أو إشارة تواصلية له وجود مادي، وهو أول لقاء مادي محسوس يتم بين المرسل (الناص) والمتلقي أو مستقبل النص".([4]) وبدون العنوان يكون النص عرضة للذوبان في نصوص أخرى، "وعليه فان العنوان علامة أو إمارة تشير إلى النص، ويكون أشبه بالهوية."([5])

---

[1] ___ عبد الوهاب، محمود، "بنية العنوان في قصيدة السياب الموقع والتحولات"، الأقلام، ع6، السنة34، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1999، ص23.

[2] _ السابق، ص23.

[3]- ينظر: حليفي، شعيب، النص الموازي للرواية(استراتيجية العنوان)، مجلة الكرمل، ع46، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1992، ص83_89.

[4] _ قطوس، بسام موسى، سيمياء العنوان، ط1، عمان، وزارة الثقافة، ، 2001، ص63.

[5] – أحمد، مرشد، المكان والمنظور الفني في روايات عبد الرحمن منيف، ط1، حلب _سوريا، دار القلم، 1998، ص11.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هنا نجد أهمية الوعي بالعنوان وطبيعته ووظيفته، "فالعنوان ليس عنصرا زائدا، وإنما هو عتبة أولى من عتبات النص، وعنصر مهم في تشكيل الدلالة، وتفكيك الدوال الرمزية، وإيضاح الخارج قصد إضاءة الداخل ...ليس العنوان حلية، وإنما هو عنصر موازٍ ذو فعالية في موضعة النص في الفضاء الاجتماعي للقراءة، أي الخارج النصي، ومتجاوب، قبل ذلك، مع البناء النصي بطريقة تتطلب الكشف."([1])وعليه نجد أن دراسة العنوان أضحت القضية الأولى في دخول الدراسة النقدية، لما يمتاز به العنوان من أهمية داخل العمل الأدبي بل أضحى متطلبا أساسيا لأية دراسة نقدية لأن القاص حين يختار عنوانه يكون في ذهنه شيء.وأن اختيار العنوان هو مهمة تضاهي مهمة كتابة القصة ذاتها، وربما تكون مهمة اختيار العنوان جزءا من صلب العمل القصصي، "فعن طريق العنوان تتجلى جوانب أساسية أو مجموعة هامة من دلالات النص الأدبي وإشاراته الرمزية.ومثل هذا قد يحدث في بقية النصوص الصحفية، مما يجعل العنوان فيها عنصرا موسوما ومكثفا.وليس معنى هذا أن جميع التحليلات النصية لابد أن تشمل العنوان، بل على العكس من ذلك نجد أن اختيار العنصر الموجه للدلالة يمثل تحديا للمحلل واختبارا لاستراتيجيته."([2])

ولكن هل يدرك القاص أهمية العنونة ؟وهل اختيار هذا العنوان يتم بقصد من المؤلف حتى يكمل الجنس الأدبي الذي يكتبه؟ ولماذا يتم اختيار عنوان قصة ليكون عنوان مجموعة قصصية، دون غيره من العناوين؟ وأين الموقع الذي يحتله العنوان داخل الفضاء القصصي؟وما طبيعة العنوان ومكوناته ووظيفته التي توخاها القاص ؟ هذه الأسئلة المشروعة نتوقع أن تكون هاجسا للقاص في تعامله فيما ينتجه من عمل إبداعي يقدمه إلى المتلقي الذي يعد طرفا ثانيا من أطراف العملية الأدبية .

والقاص أكرم هنية يعد من الأصوات المعدودة في القصة الفلسطينية التي انتبهت إلى مثل قضية العنوان وأثرها في العمل القصصي. كما أن الطريقة الجديدة التي قدم بها عناوين مجموعاته وقصصه، لفتت النظر إلى مثل هذا الاختيار الدقيق، ومدى الاهتمام بالعنوان داخل عمله القصصي. ويظهر ذلك من خلال اللقاء المبكر جدا الذي أجراه عادل الأسطة مع القاص حول عناوين القصص، حيث سأله: " المتتبع لأعمالك القصصية في مجموعتيك يلمح نقطة هامة تتمثل في عنوان القصص ".([3]) فأجاب هنية:"عنوان القصة هو جزء من بنائها

---

[1] – قطوس، بسام موسى، سيمياء العنوان، ص53/54.

[2] – فضل، صلاح، مناهج النقد المعاصر، ط1، القاهرة، دار الآفاق العربية، 1997، ص160.

[3] _ ينظر :الدخول إلى حبر الروح، ص107.كان اللقاء أجري بعد صدور مجموعته الثانية.ولم تكن الدراسات العربية النظرية قد أسس لهذا الجانب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفني، ومضمونها. وهكذا يجب أن يكون. وباختيار عنوان مناسب للقصة يمكن مساعدة القارئ -أحيانا- على إدراك مغزاها الرئيسي أو أن يهيئ له المناخ الذي يسود القصة نفسها، ويجذبه لقراءتها، وهو - أي العنوان -ينبغي أن يكون مرتبطا بمضمون القصة، وشكلها ومستجيبا لسماتها."([1])

أما القضية الأخرى التي تؤكد اهتمام القاص ومواكبته لتيار الحداثة في القصة العربية فهي نهجه نهج بعض الأصوات الحداثية في القصة المصرية، وهذا ما صرح به: "أنني تأثرت في هذا المجال بمجموعات الكتاب المصريين الشبان وان كان بعضهم يتجه إلى المغالاة في وضع عناوين قصصه ".([2])

كما أن عمله الصحفي كان يملي عليه الدقة في اختيار العناوين، وبالتالي كان يعي أهمية العنوان من حيث الوضوح والاختصار وجذب القارئ. والصحفي يهتم بالأحداث وجمعها واستقصائها، وبالتالي إدراجها تحت عنوان جذاب، وهذا ما يصبو إليه المحرر المسؤول. ولعل هاجس العنوان لديه يعود إلى عدد من العوامل، منها:

أولا_طبيعة الأحداث التي عاصرها القاص وأثرت في حياته حيث كان العنوان يؤرقه ويقلقه شأنه في ذلك شأن كل فلسطيني فقد الكثير من العناوين المكانية والشخصية والعيش في مهجر ضنين وقاس، وشأن شعب عاش رجاله في الشمس، ولعقوا الحنظل في السفر والترحال والعيش في غربة داخلية وخارجية، فرضتها الظروف السياسية. ويظهر هذا الهاجس من حالة القلق والتوتر والموت والفقد والحصار التي كانت تفرض واقعها على نفسية القاص ضمن الواقع الذي كان يعيشه، وضرورة تجاوز هذا الواقع، وأسئلة يحاول أن يجد لها حلا ضمن هذا الواقع المعيش.

ثانيا_ لفظة عنوان كمفردة، حيث تكررت في عمله القصصي بشكل لافت للنظر. ولو قمنا بعملية كشف داخل مجموعاته القصصية لهذه المفردة، لوجدنا القيمة والدلالة التي توضح الفهم الوظيفي لها، وبالتالي سنعرضها في الإطار الذي صيغت فيه كدلالة أسلوبية توضح مثل هذه الأهمية الوظيفية وتكشفها.ففي قصة "يوم قتل إبراهيم الأقرع "، وردت لفظة عنوان ضمن السياق التالي :"كتبت على الورقة عنوانا يقول "شهيد الأرض " شعرت أنني على وشك كتابة خطاب انفعالي حماسي فمزقت الورقة، وقذفتها إلى سلة المهملات، كتبت على ورقة

---

[1] - الدخول إلى حبر الروح، 108.

[2] _السابق. 108.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرى "يوم القتل في بديا".قلت "ستشطبه الرقابة". قررت أن أبدأ بكتابة المقال أولا، ثم أضع عنوانا له ". ([1])

وهنا يبدو أن للعنوان أهمية فيما يحمله من خطاب، ودوره على المستوى النفسي والانفعالي، وما يرتبط به من حالة اضطراب وقلق ناجمة عن الكيفية في اختيار العنوان الذي يناسب الحدث، ويحدث تأثيره في المتلقي ويمكن أن يخرج للنور.

كما أن العنوان لديه أداة إثارة لجذب انتباه المتلقي، ووسيلة لدفع القارئ للتشبث بالعمل الأدبي، من خلال الطريقة التي يُقدَّم فيها العنوان. ويتضح ذلك في قصة "شهادات واقعية حول موت المواطنة منى.ل"، حيث يقول :"كنت أحلم بتحقيق مثير يغطي صفحة كاملة من جريدة لثلاثة أيام متتالية بعنوان "الحقيقة وراء انتحار شاعرة"...أو لماذا اختارت منى"ل" الرحيل المبكرعن عالمنا." ([2]) والعنوان كذلك سؤال بحاجة إلى إجابة من المتلقي الذي يؤمن بدوره في بلورة وعي المشاركة الأدبية في العمل القصصي.

ثالثا_ التفات القاص إلى أهمية العنوان كوسيلة إعلامية لها تأثيرها على الجماهير، وظهر ذلك من خلال اختيار العناوين المباشرة التقريرية حيث العنوان يكشف ما تحته من موضوعات تمت له بصلة ولقد لجأ غالبا إلى العناوين الطويلة أو التي تتكون من جملة حتى يفهم المتلقي المضمون من خلال العنوان، وهذه العناوين في معظمها كانت تظهر أثناء معالجة واقع الاحتلال داخل الضفة الغربية وقطاع غزة حيث كانت حمولتها كالبيان السياسي، الدعوة إلى المشاركة في عمل ما أو التحذير من أمر ما أو نبذ سلوك غير مرغوب فيه، ولكن "ليس معنى هذا أن العنوان دائما يقود إلى المعنى بسهولة، ...فسرعان ما تكشف قراءة النص، إما عن تثبيت هذا المعنى أو عن نفيه وإحباطه وكسر توقعه ومن هنا كانت أهمية الحدس الفني في اختيار العنوان من قبل المبدع".([3])

رابعا_ إن العناوين لديه لم تسر على وتيرة واحدة في مكوناتها بل كانت متنوعة وجذابة في كثير من الأحيان وتعتمد على مرجعيات تاريخية وتراثية وشعبية وواقعية.

خامسا_إن القاص لم يكتف باختيار عناوين المجموعات الأربع بل منح الشاعر محمود درويش حرية اختيار عنوان خاص لمجموعاته القصصية السابقة، وكأنه بذلك يؤمن بدور

---

[1] _أكرم هنية، طقوس ليوم آخر، ص14.

[2] –السابق، ص113.

[3] – قطوس، بسام، سيمياء العنوان، ص41.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتلقي الجيد بقدرته الإشارة إلى نتاجه، من خلال الانطباع العام الذي يخرج به بعد الانتهاء من قراءة نتاجه القصصي.([1])

وهذه العوامل مجتمعة تدفعنا دفعا لقراءة العنوان عند القاص ؛لأن العنوان لديه خطاب مفكر فيه، وله دلالات تساهم في توضيح العمل القصصي، ولا يمكن لأي دارس تجاوز مثل هذه الظاهرة لديه.

مكونات عناوين المجموعات ودلالاتها:

عند الوقوف على عناوين المجموعات الأربع، نجد أن القاص قد جعل عنوان قصة من قصص المجموعة عنوانا للمجموعة نفسها، " فالسفينة الأخيرة..الميناء الأخير "تحمل عنوان القصة الثانية داخل المجموعة، أما "هزيمة الشاطر حسن"، فتحمل عنوان القصة الأولى في المجموعة في حين تحمل مجموعة "وقائع التغريبة الثانية للهلالي " عنوان القصة الأخيرة. أما مجموعة "عندما أضيء ليل القدس"، فتحمل عنوان القصة الثامنة.وكذلك مجموعة "أسرار الدوري "تحمل اسم القصة الخامسة.ومن هنا نجد أن القاص لم يخضع عنونة المجموعات إلى ترتيب نسقي ترتيبي في اختيار عناوين مجموعاته. أي انه لم يختر القصة الأولى دائما ليكون عنوانها عنوان المجموعة.

وإذا أمعنا النظر في حجم القصة المختار عنوانها عنوانا للمجموعة نجد أنه يختلف، فلا يتجاوز حجم قصة "السفينة الأخيرة ...الميناء الأخير "ثلاث صفحات من الحجم المتوسط والشيء ذاته نجده في المجموعة الثانية، أما المجموعة الثالثة فكان حجم القصة يحتل حيزا كبيرا ليس داخل المجموعة نفسها، بل على صعيد الحيز القصصي، حيث تصل إلى ما يقارب ثماني عشرة صفحة، أما المجموعتان الأخيرتان فتقتربان من بعضهما في الحيز حيث بلغ حجم القصتين حوالي عشر صفحات.ومن هنا نجد أن القاص لم يعر طول الصفحات وحجم الحيز الذي تشغله القصص داخل المجموعة ليكون عاملا ضاغطا باتجاه اختيار العناوين.

وإذا أمعنا النظر كذلك في عنوان القصة التي اختارها المؤلف لتكون عنوانا للمجموعة، فإننا نجد أن الكاتب لم يكن موفقا دائما في اختيار عنوان قصة ما لتكون عنوانا للمجموعة. ينطبق هذا على عنوان قصة "السفينة الأخيرة ...الميناء الأخير".وهي قصة رأى فيها محمد

---

[1] – هذا ما صرح لي به الكاتب في أثناء زيارتي له في مقر جريدة الأيام 21/ 1/ 2001، حيث قال:عندما كتبت مجموعة "عندما أضيء ليل القدس"، وكان حجمها صغيرا، استشارني الشاعر محمود درويش بنشر هذه المجموعة مع باقي المجموعات السابقة لها في كتاب واحد، وقد اختار عنوان"طقوس ليوم آخر" ليؤشر على مجمل نتاجي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرحات"خطوة البدء "، ([1]) ورآها خليل السواحري "خواطر غامضة لا قيمة لها"، ([2]) ورغم ذلك نجد القاص يختارها عنوان المجموعة القصصية، على الرغم من أنها ليست أفضل قصص المجموعة.كما ينطبق هذا الكلام على المجموعة الثانية"هزيمة الشاطر حسن".حيث لم تكن الأفضل من بين المجموعة كذلك، وشهد النقاد والكتاب لغيرها على صعيد البناء الفني و"أسرار الدوري" التي أرى لو أن القاص اختار قصة "سحر الحب"لتؤشر على المجموعة لكان أفضل ؛لأن هذه القصة تعتبر مفتاحا لباقي المجموعة.

ومن هنا نستنتج أن القاص لم يعر قضية شكل القصة وجودة موضوعها التفاتا كاملا في تصدير عناوين المجموعات، بل تم بطريقة خاصة ([3])، "ومن الصعب، أن نتصور أن الكاتب لا يتدخل في الأمر. وتدخله لافتتاح المجموعة بقصة معينة يعني_أولا_ انه يفرد لهذه القصة مكانة خاصة، وثانيا _أنه يجعلها توجه المجموعة، سواء أكانت مأساوية، أم كوميدية، أم واقعية، الخ..." ([4]) وهذا ما نأمل أن نستشف كنهه من خلال تناول عناوين المجموعات التي اختارها القاص لتتصدر الحيز العنواني لديه.

1 _ طقوس ليوم آخر:

كان الفضل في هذا العنوان_كما أشرنا سابقا_ للشاعر الفلسطيني محمود درويش الذي اختاره ليؤشر على مجمل نتاج الكاتب قبل صدور مجموعته "عندما أضيء ليل القدس"، فجاء هذا العنوان بعد قراءة درويش لنتاج الكاتب، في حينه، ولم يكن للكاتب فضل في اختياره، ولهذا لم يكن هذا العنوان عنوانا لقصة من قصصه، أو عنوانا من عناوين مجموعاته الأربع.

والعنوان يتكون من مقطعين: المقطع الأول، يتكون من مكون حدثي، أما المقطع الثاني، فيتكون من مكون زمني، دخل عليه حرف الجر الذي يفيد شبه الملكية أو التخصيص،

---

[1] _ينظر :مقالته في كتاب "الدخول الى حبر الروح"، ص63.

[2] -السابق، ص37.

[3] - ينظر : عبد الوهاب، محمود، ثريا النص:مدخل لدراسة العنوان القصصي، بغداد-العراق، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية، 1995، ص62. هناك عدة اعتبارات يمكن أن يكون لها كبير الأثر في اختيار القاص عناوين مجموعاته، وخاصة عند الاستعانة باسم إحدى الأقاصيص لعنونة المجموعة-فمثلا القاص عبد المجيد الربيعي -ذهب إلى أبرز الاعتبارات في اختيار عناوين مجموعته والتي تتجلى في:"أن تكون تلك القصة التي اختير عنوانها للمجموعة أحدث قصة لكاتبها، أو اكثر قصصه تطورا من الناحية الفنية، أو لأنها أشهر قصصه أكثرها ذيوعا، أو لأن عنوانها يتسم بعنصر جمالي أو دلالي يؤهله أن يكون بمثابة عنوان دال على المجموعة بكاملها.وقد ينصرف القاص عن هذه الاختيارات كلها، إلى اختيار آخر متماثل. "

[4] - الأسعد، سامية، "القصة القصيرة وقضية المكان"، فصول، المجلد الثاني، ع4، القاهرة، 1982، ، ص189.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأضيفت إليه كلمة "آخر"، والإضافة –هنا– تفيد التخصيص وليس التعريف، بحيث يكون "يوم آخر" هو الذي تخصه مثل هذه الطقوس التي تقام من أجله. وتحيل كلمة طقوس، للمؤمن، للوهلة الأولى إلى الشعائر الدينية ([1])، ولكن القارئ بعد أن يقرأ المجموعة كاملة يرى أن هذه الطقوس ليست دينية إلا نادرا، فقليلة هي القصص التي ترتبط بالبعد الديني، للمسيحي أو المسلم، ويكاد المرء يعدها على أصابع اليد الواحدة. وأكثرية القصص تشير إلى طقوس دنيوية يمارسها الفلسطيني، وهي مقاومة المحتل الإسرائيلي.

والعنوان هو عنوان اختراقي، بمعنى أنه لا يتصل بالمجموعات الأربع فقط، بل يمتد إلى كل قصة من قصص المجموعات. ويظهر ذلك من خلال العنوان الفرعي الذي يظهر على الغلاف "قصص قصيرة من الأرض المحتلة"، إضافة إلى أن العنوان يمتد إلى أحداث القصص وشخصياتها وافتتاحياتها حتى يصل إلى أواخر القصص التي تنبض بالأمل والتفاؤل وتزف البشرى والخلاص والتطلع نحو المستقبل والغد الأفضل.

ومن هنا نجد أن درويش كعادته نحا إلى الاستعارة والانزياح في العنوان([2])، ليؤكد على أهمية ما ينطوي تحته من أحداث.حيث يشد القارئ ؛لأن العنوان لديه لا يؤشر عند سماعه إلى جنس أدبي(القصة)، بل يرتبط بما هو ديني وقدسي.وبذلك" يكسر هيمنة العنوان الحرفي الاشتمالي ليؤسس عنوانا تلميحيا ".([3]) حيث نجد العنوان لا يقول كل شيء، كما أن الإيهام والنقص يواكبان العنوان ليختبرا ذكاء القارئ، ويضمنا شراكته الأدبية ليسد الثغرات ويملأ الفراغات النكرات حتى يحولها إلى معارف بعد تناول النص، وذلك يتجلى من خلال مكونات العنوان التي تتسم بالنكرة وعدم التحديد، فكلمة "طقوس " هي نكرة تجعل القارئ يتساءل :ما هي هذه الطقوس ؟ ومن الذين يقومون بها ؟ولماذا تؤدى ؟ولمن تقدم؟ وإلى غير ذلك من الأسئلة الباحثة الذهنية. وكلمة "ليوم آخر "تحيل على المستقبل، فالنقص في هذا الواقع يقابله التمام والكمال في يوم آخر يأمله القاص. ومن هنا نجد أن العنوان هو دافع للقراءة جذاب لا يلخص العمل الذي يدرج تحته بل يؤمن بسلطة المتلقي واستراتيجياته القرائية لتضفي على العمل الإبداعي إسقاطاته الخاصة.

ويسهم الغلاف الخارجي بإضاءة خارجية لمساعدة المتلقي، حيث يظهر عليها اسم القاص "أكرم هنية "، وتحته وبخط غامق عريض "طقوس ليوم آخر". ولما كان العنوان مرتبطا بما

---

[1] –ينظر :مادة (طقس)المعجم الوسيط، ص561.وكذلك:المنجد، ص468.

[2] – ينظر : يحياوي، رشيد، الشعر العربي الحديث:دراسة في المنجز النصي، بيروت_لبنان، أفريقيا الشرق، 1998، ص125–136.

[3] – حليفي، شعيب، "النص الموازي للرواية، استراتيجية العنوان "، ص83.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو ديني _كما ذكرنا _ وجدنا العنوان الفرعي يوضح العنوان الرئيس ليؤشر على جنس العمل الأدبي "قصص قصيرة من الأرض المحتلة".وبالتالي يقدم هذه الطقوس "الكتابية " من أجل يوم آخر أفضل، يوم الخلاص من الاحتلال الصهيوني، وتحرير الأرض المغتصبة.

2_السفينة الأخيرة... الميناء الأخير

يعتمد هذا العنوان، عندما يواجه المتلقي، للوهلة الأولى، على الحذف المضموني والحذف النحوي. بحيث لا يمكن أن يستشف منه معنى موحٍ ذو دلالة، ولا يعطي جملة مفيدة تامة يمكن الركون إليها في تفسير العمل الأدبي.أما على صعيد البناء التركيبي، فهو أما أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف، أو يكون مبتدأ وخبره محذوف، أو إجابة عن تساؤل يطرحه الكاتب داخل النص، أو جوابا لسؤال يطرحه النص.كل تلك الاحتمالات يحملها العنوان ؛لأن العنوان رامز وغامض.وبالتالي سألجأ إلى تفكيك بنياته، وارتباطه بالنص الأصلي الذي يحيل عليه، وعلاقاته مع بقية نصوص المجموعة من أجل استكناه الدلالة التي يحيل عليها.

يتكون العنوان من مقطعين هما :السفينة الأخيرة والميناء الأخير، يفصلهما فراغ نقطي. و"السفينة" مكون شيئي ومكاني أيضا، وكلمة "الأخيرة" هي نعت للسفينة، والسفينة ترتبط بالسفر والترحال. أما المقطع الثاني فهو يتألف من مكون مكاني "الميناء" الذي يكون محطة رسوّ السفينة و"الأخير" صفة للميناء،. ومن هنا نجد أن الصفة"الأخير/ة" تحيل على الزمن الذي يربط بين المكونين كصفة تهديديه.

وإذا كان المكان الذي كانت ترسو فيه السفينة داخل النص هو مكان يسود فيه الظلم والقمع، فان الأشياء داخل هذا المكان غير مرغوب فيها، يحس اتجاهها الراوي بالضياع والقلق وعدم التوحد، في مدينة غير محددة المعالم لكنها مدينة عربية _وإن لم يصرح بها_يحكمها نظام قمعي يدوس كل من يحاول التفكير بالوطن.

أما الزمن، "فهو زمن الانهيارات "، ([1]) زمن يحمل في طياته الخوف والقلق والألم والضياع كذلك، مما يدفع الراوي إلى الهرب من المدينة و إعلان رغبته في الخروج منها والبحث عن ميناء آخر لتجاوز هذا الزمن نحو زمن أفضل.

أما الشخصية، فهي شخصية المثقف الثوري الذي يشعر بالضياع والحيرة والقلق، وجاء إدراكه لحقيقة الأحداث متأخرا.

ومن هنا تتكشف لنا دلالة العنوان، فالسفينة هي وسيلة السفر لتجاوز المكان والزمان؛ للبحث عن الحقيقة والرغبة في التحول ؛لأن السفينة فيها مبتغى الراوي وتطلعاته، وهذا ما يفسر سبب ركض الشخصية للحاق بالسفينة التي أقلعت في عرض البحر، وأمله في اللحاق بها،

[1] – هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص131.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أجل الوصول إلى الميناء كمحطة أخيرة للتخلص من التردد والحيرة والضياع التي يعيشها في ظل واقع قمعي يلغى فيه دور الإنسان والمكان والزمن من أجل الإرساء على موقف محدد "سأجد هناك ما يعوضني "، وبما أن الرؤية غير واضحة لدى المثقف الثوري، فلن يصل إلى الميناء في ظل هذا الواقع القمعي وغير العادي، وهذا ما يفسر عدم لحاق الراوي بالسفينة رغم العزيمة وقوة الشكيمة التي أبداها للحاق بها.

كما أن القصة التي اختارها القاص لتكون عنوان المجموعة تشترك مع كثير من القصص الأخرى في المجموعة التي تعبر عن أزمة النظام، ورغبة الجماهير في تحقيق أمنياتها.مما يؤكد أن السفينة هي وسيلة الخلاص من واقع المكان والزمان والأحداث التي تدور في فلكهم للوصول إلى ميناء آخر(محطة أخرى) تتضح فيها الرؤية ويأخذ المثقف دوره النضالي برؤية واضحة في تحديد الأمور.

ومن هنا نجد أن العنوان يتسم بالغموض والحذف، ويثير الكثير من التساؤلات ويشترك مع نصه في الترميز مما يجعل عملية الوصول إلى حقيقته خاضعة للتأويل.

3_ هزيمة الشاطر حسن

يفصح العنوان للوهلة الأولى عن ثلاث قضايا تتجلى في :

1_ استيحاء الكاتب عنوانه من الحكاية الشعبية"الشاطر حسن"، وبذلك يتناص العنوان مع نص خارجي سابق.

2_ تعارض العنوان مع عنوان النص التراثي.

3_ أنه وسيلة إثارة لإغراء المتلقي للبحث عن أسباب الهزيمة للشاطر حسن؛ لأنه يخلخل مرجعيته الثقافية التي عهدها لشخصية الشاطر حسن البطولية.

وعند ربط العنوان بجسد النص، يجد المرء أن الشاطر حسن يهزم بالفعل، ويعجز عن تحقيق رغباته ورغبات شعبه، وبذلك يتشابه العنوان مع مصادره التكوينية من حيث تلخيص مضمون القصة، وظهور الشخصية الرئيسة في العنوان، لكن المرء يبدأ في البحث عن أسباب التعارض بين القصة المتناصة ومصادرها التكوينية؛ لأن الخلفية المرجعية التي يعرفها في المصادر التكوينية للحكاية الشعبية"الشاطر حسن"، هي أن الشاطر حسن لم يهزم، وهو رجل الحلول، والمهمات الصعبة، وهو المخلص وقت الشدائد، وفي جعبته السحرية الكثير الكثير من المعجزات الفردية القادرة على تجاوز أي واقع، ولو تتطلب حلها معجزة أو تدخلا غيبيا. فلماذا يهزم أكرم هنية الشاطر حسن ؟

الإجابة هي الدافعة للولوج إلى عالم النص الذي يثيره العنوان منذ البداية، للبحث عن أسباب الهزيمة للشاطر حسن ؛إنه العمل الفردي، على الصعيد الفلسطيني، أو على الصعيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربي. يرى القاص، أو هكذا تقول قصته، إن زمننا ما عاد زمن بطولات فردية، والـذي يريد أن ينجز شيئا فلا بد من أن يعمل ضمن مجموعة ما. ومن هنا نجد أن العنوان يحمـل حالة فكرية.

والعنوان، في الوقت نفسه، صادم لأنه يحمل تناقضين و تعارضين: الأول "هزيمة"، والثاني "الشاطر ". والشاطر في التراث الشعبي لا يهزم.يرى نمر سرحان أن"مهمة البطـل الشعبي هي الكشف عن الطريق المؤدي إلى النجاح وإن كان وعرا ".([1])ومن هنـا نجـد أن العنوان يحمل في طيا ته ثنائية ضدية تواجه، المتلقي وتجذبه وتدفعه لقراءة العمل القصصي من أجل استخلاص العبرة ويذهب إلى بعد تعليمي وعظي _كما أشرنا سابقا_من خلال التأكيد على أهمية العمل الجماعي الذي نعثر عليه في نهاية القصة.

وعليه، نجد أن العنوان يتناص مع عنوان الحكاية الشعبية، ولكن القاص يوظفه برؤية جديدة معاكسة ومفارقة للرؤية في الحكاية الشعبية، إذ كان البطل الخير فيها يحظى بـالنعيم في النهاية، إلا أن أكرم هنية حكم عليه بالسجن مدى الحياة رغم سعيه الحثيث لخلاص شعبه، كما نجد العنوان يلخص القصة، ويضفي عليها بعدا تعليميا، إضافة إلى عنصر التشـويق الذي يتقاطع مع سمات الحكاية الشعبية في محاولة لتجاوز أسباب الهزيمة وطرق الـتخلص منها عبر العمل الإيجابي.

4ـ وقائع التغريبة الثانية للهلالي

يتناص ([2]) هذا العنوان مع عنوان السيرة الشعبية التراثية لتغريبة بنـي هـلال([3])، وهو يترك انطباعا فوريا للمقارنة معها والمشابهة بها واستدعاء وقائعها ومرجعها. وإذا ما حاول المرء أن يعثر على أوجه الشبه والاختلاف بين مكونات العنـوانين، يجـد أن

---

[1] _ سرحان، نمر، الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1974.ص45.

[2] -ينظر: حمداوي، جميل :السيموطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، 1997ع3، مج25، 1997، ص103.حيث ميـز بين "خمسة أنماط من التعاليات النصية التي حددها جنيت: 1-التناص :ويقصد به تلاقح النصـوص عبـر المحـاورة والاستلهام والاستنساخ بطريقة واعية أو غير مقصودة. 2- المناص:وهو عبارة عـن عنـاوين، وعنـاوين فرعيـة ومقدمات وذيول وصور وكلمات الناشر.3_الميتانص :وهو علاقة التعليق الذي يربط نصا بآخر يتحدث عنـه دون أن يذكره أحيانا.4- النص الاحق :عبارة عن علاقات تحويل ومحاكاة تتحكم في النص (ب)كنص لاحق بالنص "أ"كـنص سابق.5_معمارية النص."

[3] -ينظر:تغريبة بني هلال ورحيلهم الى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة، تقـديم عمـر أبـو نصـر، ط1، بيروت_لبنان، دار الكتب العلمية، 1998، حيث اعتمدت على هذه الطبعة في دراستي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العنوان التراثي لسيرة بني هلال يتكون من: "تغريبة "كمكون حدثي، و"بني هلال" كمكون شخصي.في حين يتكون عنوان المجموعة المتناصة من "وقائع " كمكون حدثي، و"التغريبة الثانية" كمكون حدثي أيضا، و"الهلالي" كمكون شخصي، ومن هنا يبرز الاختلاف والتشابه بين المكونات من حيث :

أ- التشابه في طبيعة المكون الحدثي (التغريبة)، والشخصي"الهلالي" أو "بني هلال".

ب- الاختلاف في مجرى الأحداث بين النصين.

فهل هذا الاختلاف والتشابه جاء من باب الصدفة، أم أن هناك دلالات أراد القاص أن يوظفها لخدمة عمله الأدبي ؟

أشرنا منذ البداية إلى أن أكرم هنية يعير العنوان أهمية خاصة، وبالتالي لا يمكن أن تكون الصدفة هي وليدة مثل هذا العنوان، بل أن دلالات خفية تقف خلف هذا التشابه والاختلاف.

أما التشابه بين العنوانين، فيكمن في كلمة "التغريبة "، فهي مكون حدثي تعني الاتجاه نحو الغرب الذي اتجه بنو هلال صوبه "بلاد المغرب "، أما في عنوان هنية، فهي _أيضا_ مكون حدثي يحمل معنى الغربة والابتعاد عن الوطن والعيش في المنفى بعيدا عن أرض الوطن، إضافة إلى الغربة النفسية التي يعاني منها الفلسطيني بين أبناء أمته وعلى الأرض العربية.

كما أن طبيعة الغربة وهدفها لدى الطرفين مختلفة، فبنو هلال تركوا أرضهم لأهداف معيشية، نتيجة الجدب الذي أحاق بها ([1])، بعكس هجرة الفلسطيني التي كانت قسرية بفعل عوامل سياسية قهرية، لهذا ظل الفلسطيني يحن إلى فردوسه المفقود ؛خلافا لبني هلال الذين رضوا بفردوسهم في المهجر، وان لم يعيشوا بعد انتصارهم على الزناتي حياة وادعة، إلا أن أحدا منهم لم يعد إلى وطنه الذي خرج منه في حين وجدنا أزمة الغريب لدى هنيه :هي الابتعاد عن الوطن والحنين الدائم إليه.

ويتشابه النصان _كما أشرنا _في بروز المكون الشخصي "بني هلال"و"الهلالي". والهلاليون عرفوا ببأسهم وقوتهم الجبارة، في حين نجد الكاتب يستعير هذه الشخصية ليرمز

---

[1] -المصدر السابق:ص11_13."كانت منازل بني هلال في أيامها الأولى وقبل أن تبدأ قصتنا هذه بسنوات عديدة، وفي حوالي القرن الخامس الهجري غزيرة المياه كثيرة الأعشاب والخيرات حتى نزلت بها المجاعة...فاجتمع مشايخ القبيلة وقصدوا مضارب الأمير حسن بن سرحان، وتحدثوا إليه بما آلت إليه الأحوال، وطلبوا منه مغادرة الأرض إلى مكان خصب تتوفر فيه المياه والخيرات قبل أن يموت أفراد القبيلة من الفقر والحرمان..."، "فاتفق رأيهم الإجماعي على الرحيل من تلك الأطلال بالأهل والعيال إلي بلاد المغرب".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الثورة الفلسطينية، وهذا ما عكسته القصة، حيث برز الهلالي القوة الجبارة الذي خاض معارك كثيرة ضد الزناتي خليفة وعسسه (رمز الحكام العرب)، وبذلك استعار فكرة البطولة التي تشكل الإطار المرجعي المولّد للدلالة ليسحبها على الثورة الفلسطينية.

كما أننا نجد كلمة "الهلالي "جاءت بصيغة المفرد، (رمز الثورة الفلسطينية)، في حين نجد هذه الكلمة في عنوان النص القديم بصيغة الجمع "بني هلال"، وهذه المفارقة بين صيغة الإفراد والجمع لها دلالتها على أرض الواقع، ففي حين يترك الفلسطيني وحده يصارع مصيره مع العدو الصهيوني، وتتخلى الأنظمة العربية عن قضيته العادلة، وتمنع جيوشها من المشاركة في المعركة من أجل تحرير فلسطين، نجد الهلاليين وقادتهم في الماضي مجتمعين ومتحدين في مواجهة مصيرهم وفي تحقيق رغباتهم، فلا غرابة أن نجد القاص آثر الأفراد النحوي لما له من مدلول وظيفي ونفسي يكشف عن المأساة الفلسطينية في الوقت الحاضر مع الأنظمة العربية.مع دلالة "ياء النسبة"الواضحة لدخول الفلسطيني إلى ذاته والنسب إلى نفسه.

5_عندما أضيء ليل القدس

يتألف العنوان من مكونين زمنيين هما : "عندما "، و"ليل "، ومكون حدثي"أضيء"، ومن مكون مكاني "القدس ".والمكون الحدثي "أضيء"يحمل بظلاله أجواء تفاؤلية، حيث الضوء رمز للحرية والحياة والأمل بعكس الليل الذي هو رمز للظلم والاحتلال والتشاؤم. والعنوان ما أن يواجهه المتلقي حتى يبدأ بالتساؤل :من الذي أضاء ليل القدس؟ وكيف أضيء ليل القدس؟وماذا حصل حين أضيء ليل القدس ؟فالعنوان يبدو هنا أداة إثارة تدفع المتلقي للبحث داخل المجموعة والمتن القصصي الذي يحمل عنوان هذه المجموعة.

ونجد كل مكون من مكونات العنوان يمد بظلاله داخل القصة ويتلاحم معها، فكلمة "عندما" تكشف عن الزمن الذي حصل فيه فعل الإضاءة ، وهو زمن غير محدد، والمكون الحدثي "أضيء"يعبر عن الحدث السردي داخل المتن، ولقد بني الفعل للمجهول لأن الفاعل_الشخصية_داخل النص الأصل مجهول، والذي عبر عنه "برجل الضوء"الذي قام بفعل الإضاءة.وهو يتصف بصفات تمتد عبر الزمن والتاريخ والأحداث، إنه رمز للفلسطيني، فهو"الكنعاني الأول الذي غرس أول نبتة في هذه الأرض، وهو ذاك الرجل الذي تصدى لأول سفينة أغراب حطت على شاطئنا عام 1882م، وهو الذي استشهد في لبنان والأردن وفي المنافي، وهو نتاج تجمعنا، وهو الأمل الراكد في كل نفس طموحة بحيث ترى فيه الأم ابنها الغائب أو الشهيد، والفتاة حبيبها الذي تنتظره، والزوجة زوجها التي طالما تاقت إليه، والطفل يرى فيه أباه الغائب و...الخ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المكون المكاني "القدس" فهو إشارة إلى المكان الذي جرت فيه أحداث القصة في إحدى الليالي الرمضانية، حينما ظهر رجل الضوء على أحد أسوار المدينة.وبإعادة تركيب مكونات هذا العنوان مع جسد النص يتضح لنا، أن القصة تتحدث عن النضال الفلسطيني عبر امتداد الزمن من خلال الفدائي المجهول الذي تحل روحه في كل جيل ؛ لهذا نجد كل المكونات الفرعية للعنوان مكونات شخصية مجهولة، أيضا، (الطفل، الرجل، الفتاة، المؤلف) لتشكل معا دورة الحياة الإنسانية داخل المكان عبر امتداد الزمن؛ لأن القدس تمثل الرمز للوجود العربي والفلسطيني عبر امتداد التاريخ.

وهكذا نجد القصة تقوم على بناء درامي رامز، كما أن العنوان أداة إثارة من أجل أسر المتلقي ودفعه للإقبال على قراءة النص والإمساك بتلابيبه، وفيه قدر من التساؤل الذي يتطلع القارئ إلى أن يجيب النص عنه.

6_ أسرار الدوري

صدرت هذه المجموعة بعد توقف الكاتب عن الكتابة خمسة عشر عاما، ونجد طريقة إخراجها تختلف عن سابقاتها من حيث الفهرسة، وطريقة ترتيب القصص من خلال تقديم معلومات حول السنوات التي كتبت فيها هذه القصص في محاولة من القاص لربط أجواء القصة بالفترة الزمنية الواقعية التي كتبت فيها.

وعنوان المجموعة هو عنوان القصة الخامسة من قصصها حيث ظهر بخط بارز عريض لافت "أسرار الدوري" فيه قدر من الشاعرية والرمز والايحاء، فالأسرار تكون للإنسان وليس للحيوان، والدوري طائر يكثر تواجده في فلسطين ويعرف بالحيطة والحذر وكثرة الحركة، وهذا يتطابق مع واقع الشخصية داخل المتن القصصي، فمهند من سكان الضفة الغربية ارتبط بالتنظيم خارج الوطن، وحمل الاسم الحركي الدوري، وظل يعمل في السر والخفاء حتى قدوم السلطة الوطنية إلى غزة، وحاول إثبات دوره النضالي من خلال السفر إلى غزة للحصول على ورقة معنوية تثبت ذلك، ومن هنا نجد الرمز الذي اختاره القاص للشخصية من خلال حالة التطابق مع عصفور الدوري من حيث الذكاء والفطنة وكثرة الحركة والتنقل مع الحيطة والحذر.

وعليه نجد عنوان القصة يرتبط بجسد النص حيث نقرأ عن أسرار الدوري(الشخصية الرئيسة) النضالية زمن الاحتلال الذي كانت له أسرار لا يعلم في الأرض المحتلة أحد بها، ولم يكتشف أمره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكونات العناوين الفرعية:

تتنوع مكونات العناوين الفرعية لدى القاص بين: المكون الفاعل (الشخصي)والمكون الحدثي والزمني والمكاني والشيئي.([1])

والمكون الشخصي هو الأكثر حضورا داخل عناوين المجموعات القصصية من حيث طبيعته وعلاقته مع المكونات الأخرى داخل العنوان الواحد، وعلاقته مع النص المتن.

أما من حيث طبيعة مكونات العناوين الفاعلة (الشخصية)، فإننا لا نجد المكون الفاعل ينفرد بعنوان كامل داخل العناوين، بل نجده يأتلف مع بقية المكونات ليؤدي الدور المنوط به، ويستمد منها وجوده، ويمدها بتعزيزات حتى تأتلف معه لتكشف عن طبيعته.

نجد المكون الشيئي يتعاضد مع المكون الاسمي، كما في قصة"وردتان **للزميلة ندى**"، ومع المكون الحدثي، كما في قصة "**النابغة الذبياني** يهجو **النعمان بن المنذر**"، ومع المكون الزمني أيضا، كما في قصة "يوم قتل **إبراهيم الأقرع**".

ولقد بدا المكون الفاعل الأكثر فاعلية داخل العنوان، فهو الذي يحرك الأحداث، أو تدور حوله، أو يملك زمام الأمور. ولعل ذلك يعود إلى طبيعة الواقع الذي يحياه القاص حيث الشخصية الفلسطينية، وما يدور حولها من أحداث في المكان والزمان، هي المتفاعلة في مجرى التاريخ الذي ينتمي القاص إليه.

والمكون الفاعل داخل العناوين لا ينتمي إلى نموذج معين، بل يتغير وفق الدور المنوط به داخل المتن.لهذا ينوع القاص في هذه النماذج بحيث يراوح بين النموذج الذكري والأنثوي، والنموذج المنتمي وغير المنتمي، والنموذج العامل وغير العامل، والنموذج التاريخي والتراثي، والنموذج الواقعي.

ظهرت في العناوين المرأة إلى جانب الرجل. ونجد بعض العناوين يتكامل فيها دور المرأة مع دور الرجل بحيث يتممان دورهما في النضال، كما في عنواني :"**أبو القاسم** يشارك في النهوض الجماهيري "، و"**أم محمود** تشارك في اعتصام نسائي"، حيث نجد العنوان اللاحق يكمل العنوان السابق. إلا أن المكون الشخصي الذكري احتل مواقع أكثر داخل العناوين، بحيث ظهر حظ الذكر أكثر من حظ الأنثى.على الرغم من ذلك ساوى الكاتب بينهما في الموت الكريم داخل العناوين، فنجد قصة "شهادات واقعية حول موت **المواطنة "منى.ل""**، وقصة "يوم قتل **إبراهيم الأقرع** ".

---

[1] -ينظر: حليفي، شعيب، استراتيجية العنوان، ص95/94.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما النموذج المنتمي والفاعل الذي يبرز في العناوين ذات المكون الشخصي، فهو الذي كان يقفز إلى العناوين وكأنها مكافأة من القاص على طبيعة الدور الذي تقوم به الشخصيات على صعيد الأحداث؛ ولأنها عناوين تحتذى في الحياة الواقعية.فنجد "**تدى**" تظهر في العنوان كمكون شخصي، وكذلك "**منى.ل**"، و"**أبو القاسم**"، و"**أم محمود**"، و"**الهلالي**"، و"**إبراهيم الأقرع**"، حيث كان العنوان يتضمن أسماء هذه الشخصيات.

أما الشخصيات غير الفاعلة التي تفهم دورها بعد أن تعركها الأحداث، فكانت تظهر: إما موصوفة، وإما نكرة. كما في عنوان قصة "ظهيرة **رجل حزين**"، وقصة "تحولات **الرجل الثالث** ".ويريد القاص أن يعمم حالتها كنماذج يتعاطف معها، أو يرغب في إجراء تغيير في واقعها الذي تعيشه، لتمتد إلى أفق إنساني عام.بحيث تشمل كل رجل تنطبق عليه مثل هذه الحالة، وكل عربي يعيش هذا الواقع.

أما الشخصيات غير الفاعلة وغير المنتمية التي لا تفهم واقعها حتى بعد أن تمر بتجربة قاسية، فكانت تختفي من العناوين لأنها ليست عناوين في الحياة، ولا يقتدى بها.ويظهر ذلك _مثلا_في قصتي: "وقت وشموس كثيرة"، وقصة "كل شئ وهذه النظرة بالذات"، حيث القصة الأولى تبرز صورة المختار المتواطئ مع الاحتلال، والقصة الثانية تأتي على بائع الأرض لسلطات الاحتلال من أجل إقامة مستوطنات على أنقاضها.

أما في حالة ظهور المكون الشخصي غير المنتمي وغير الفاعل داخل العناوين، فإن القاص كان يقدم له بالذم والهجاء ؛فقدم للشاطر حسن بمفردة ذات دلالة سلبية هي الهزيمة، وقدم للنعمان بن المنذر بالفعل يهجو وكان الهجاء من النابغة، وهكذا وقع على النعمان الهجاء.

كما أن القاص استقى المكون الشخصي من مصادر متعددة: حيث نجد مكونات شخصية تاريخية، كالنابغة والنعمان .لكن كان يحيل عمل هذه المكونات على الحاضر، ويظهر ذلك من خلال الفعل المضارع الذي ظهر في العنوان "يهجو"؛وكذلك نجد المكون الشخصي يستمده القاص من التراث، مثل: "**الشاطر حسن** "، و**الهلالي** "اللذين استمدا مكونيهما الفاعلين من السيرة الشعبية.

يلحظ المرء أن معظم الأسماء ذات الكنى تنتمي إلى أجواء الريف الفلسطيني، وكانت هذه الأسماء تظهر في العنوان، في حين عزف عن ذلك في أجواء المدينة العربية والفلسطينية، فقدم لها بكنى، "**أبو القاسم**"، "**أم محمود**" ليؤكد على هويتها، وتجذرها في مواجهة الآخر الذي يحاول استلاب هويتها. ويلاحظ أن الفضاء الذي تسكنه الشخصيات ذات الكنى هو فضاء القرية ؛حيث الاهتمام بالألقاب هناك، في حين نجد الشخصيات التي تسكن فضاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدينة تعرف باسمها، أو بصيغة النكرة حيث تذوب الألقاب في المدينة، كما هو في "**تدى**"و"**منى.ل** ".وبهذا نجد أن القاص قد نوع في مكوناته الشخصية وفي طبيعة دورها وعلاقتها بأجواء القصة والمتن القصصي.

أما المكون الثاني للعنوان، فهو المكون الحدثي. ولقد برز هذا المكون في اثنتي عشرة قصة من مجموع قصصه، وكان لطبيعة الحدث داخل المتن القصصي ثقله وله علاقة كبيرة في التأثير على الشخصيات القصصية فظهر في العنوان. ففي قصة "النابغة الذبياني **يهجو** النعمان بن المنذر " يعبر العنوان عن أجواء القصة.وهو هجاء النعمان (رمز النظام العربي) الذي يقف ضد طموحات الجماهير، وكذلك في قصة" **هزيمة** الشاطر حسن" التي تعبر عن أحداث مهمة في مشوار البطل والتي أدت إلى هزيمته من خلال العمل الفردي- كما أشرنا عند دراسة القصة سابقا -و"أبو القاسم **يشارك** في النهوض الجماهيري"، لأن الحدث الذي عكسته القصة هو الهدف والمغزى الذي أراد الكاتب أن يؤكد عليه من خلال المشاركة الوطنية في الكفاح ضد الاحتلال، وهذا الحدث هو الذي تميزت به الشخصية وقامت به.ونجد الشيء نفسه في قصة "أم محمود **تشارك في اعتصام** نسائي"، حيث عكست القصة حدثا مهما، وهو مشاركة المرأة في النضال الوطني ضد الاحتلال، ويومها كانت مشاركة المرأة قليلة. وعلى الرغم من أن عنوان قصة "مؤتمر فعاليات القرية **يصدر نداء هاما** " يلخص مضمونها إلا أن للمكون الحدثي في هذه القصة ثقله في القصة، وقد تجلى بالنداء الذي وجهه أهل القرية لأبنائهم المغتربين بضرورة العودة إلى أرض الوطن، لأن هذا الحدث له وقعه الوطني في التأكيد على ضرورة التشبث بالأرض وعدم إفراغها من سكانها الشرعيين كوجه من أوجه المقاومة.أما قصص: "شهادات واقعية حول **موت** المواطنة منى.ل"و "**موت** في صباح باكر"، و "يوم **قتل** إبراهيم الأقرع"، يجد المرء أن الحدث هو الذي فرض هيمنته، وكان الأكثر بروزا في مجرى أحداث القصص؛ لأن هذه العناوين تثير القارئ للوهلة الأولى للبحث عن أسباب حوادث القتل والموت للشخصيات التي ظهرت في العناوين، ويجد المرء أن منى "ل" كان سبب مقتلها مجمل الأحداث والاحباطات التي عايشتها على أرض الواقع مما دفعها للتفكير بالانتحار والموت.في حين تعكس القصة الثانية، موت الشخصية بسبب حادثة قتل من أحد السائقين في صباح باكر، وهي تقوم بعملها من أجل تأمين لقمة العيش.أما القصة الثالثة، فتشير إلى حادثة قتل حقيقية وقعت بالفعل لإبراهيم الأقرع وهو يدافع عن أرضه ويتصدى للمستوطنين، وأثر هذه الحادثة على نفسية السارد في ذلك اليوم، وهذا ما عكسته القصة.

أما عنوان قصة "**وقائع التغريبة** الثانية للهلالي " فهو يشير إلى فيض من الأحداث التي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عايشتها الثورة الفلسطينية في البلاد العربية -كما أشرنا سابقا.

أما عنوان قصة "عندما أضيء ليل القدس" فقد كان لحدث الإضاءة أثر كبير في متن القصة ؛لأنه تم بطريقة غير مألوفة بهرت الجميع، وكان بؤرة لإثارة ردود فعل الناس المتواجدين هناك ؛لأن كل شخص رأى، في رجل الضوء، صورته وذاته.

وتظهر عناوين القصص السابقة أن معظمها تدور حول فكرة أو حدث ما.

أما المكون المكاني، فقد وظفه القاص من خلال تلاحمه أيضا مع المكونات الأخرى، وقد ظهر المكون المكاني في ستة عناوين قصصية، حيث هيمن على بقية المكونات الأخرى التي ظهرت معه؛لأنه أي المكان يسهم إسهاما كبيرا في مسرح الحدث القصصي وله علاقة وطيدة بحياة الشخصيات ويكون المنطلق الذي تنطلق منه الأحداث، أو أن القصة بأكملها تدور حول أهمية المكان وما يمثله من قدسية من وجهة نظر الشخصية أو السارد.ففي قصة" تلك القرية ذلك الصباح"، استخدم اسم الإشارة"تلك" بدلا من "هذه" ليدل على أنها كانت قرية في الزمن الماضي وكان فيها أناس، أما هذه القرية فتكاد تخلو من الحياة "([1]) بفعل الإجراءات التي يتخذها الآخر في المكان من تدمير ونسف واستيلاء من أجل الاستيطان ؛ في حين يجد المرء عنوان قصة "ذات موت ...ذات مدينة" لا يوحي بدلالته ويجد المدينة نكرة، ولم يذكر اسمها في العنوان، لكن حدث القصة يدور في مدينة يسودها القمع والقهر كتلك المدينة التي عايشناها في قصة "السفينة الأخيرة ...الميناء الأخير"، وكأنها أية مدينة عربية. أما عنوان قصة"مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما"، فالحيز المكاني هو البؤرة والثقل في جسد النص لأن الحدث القصصي له صلة وثيقة في المكان والدفاع عنه وتعزيز الثبات فيه، والقصة كسابقتها، بقي فيها اسم المكان مبهما، وظل نكرة، حتى يعمم حالته على أية قرية فلسطينية تمر بالظروف نفسها التي مرت فيها تلك القرية من هجرة أبنائها.ويذكر أن اختفاء الكاتب بتنكير المكان يخفف عنه عنت الملاحقة السياسية سواء أكان من الأنظمة أم الاحتلال، إلا أن ظهور المكان داخل العناوين كان قليلا ، على الرغم من أن معظم أحداث قصصه كانت تدور حول المكان، وما يجري فيه من أحداث، إلا أن الكاتب أبرز عنوان قصتين باسميهما في قصتي:"شمال شرق دير اللطرون" و"عندما أضيء ليل القدس ".يلاحظ أن العنوان الأول يحمل بعدا جغرافيا"شمال شرق"؛ تقع في شمال شرق دير اللطرون مجموعة من القرى الفلسطينية التي دمرها الآخر الصهيوني، وهي قرى: عمواس، يالو، وبيت نوبا.ولم يبق من آثارها إلا ذلك الدير الذي أثار في نفسه ذكريات

---

[1] - ينظر:ما كتبه الأسطة ، عادل في دراسته"أكرم هنية: السفينة الأخيرة..الميناء الأخير" ، في كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص55.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الماضي. وتفصح القصة عن بعض إشارات تومئ بذلك، عندما جرى حوار بين السارد والجندي الصهيوني حول الأحقية في ملكية الأرض في المكان. أما مدينة القدس فقد ظهرت في العنوان دون سواها من المدن الفلسطينية، ولعل ذلك يعود إلى تركيز اليهود على هذه المدينة وتكرار القول بأنها عاصمتهم الأبدية.

أما المكون الزمني ، فلقد ظهر في اثني عشر عنوانا. ونجد قصة واحدة ظهر العنوان فيها يتألف من مكون زمني من كلمة واحدة، وهي قصة "**المرحلة**." أما بقية المكونات الزمنية، فقد ارتبطت مع المكونات الأخرى، كما في قصة :"**ليل** بارد واحتمالات أخرى"، و"تلك القرية ذلك **الصباح**"، و"موت في **صباح باكر**"، و "**وقت** وشموس كثيرة "، و "**يوم** قتل إبراهيم الأقرع "، و"صلاة في **المرحلة السادسة**"، و"**ظهيرة** رجل حزين "، و"**عندما** أضيء **ليل** القدس "، و"**بعد** الحصار **قبل** الشمس بقليل "، و**يوم** عادي"، و"**يومان** فقط".

نجد العناوين تبدو أحيانا غير واضحة ولا تلخص فكرة النص ؛أي أن العنوان لا يكتمل معناه إلا بجسد القصة ، واستثني من هذه العناوين عنوان قصة"يوم قتل إبراهيم الأقرع "، يستثير العنوان المتلقي ليسأل عما جرى يوم قتل إبراهيم الأقرع، ولماذا قتل ؟

يتضمن المكون الزمني ، في معظم قصص الكاتب، معلومات عن زمن أحداث القصص التي ظهر فيها ويحيل على زمن الأحداث، فعنوان قصة "**المرحلة** "، يشير إلى مرحلة زمنية صعبة من المطاردة والملاحقة يعيشها الفلسطيني من خلال التغيرات التي حصلت على الساحة العربية في أواخر السبعينات، وعكست القصة طلب رجل المخابرات من السارد المثقف ضرورة التكيف وفق مقتضى المرحلة، في محاولة لثنيه عن موقفه النضالي .في حين يجد المرء أن مفردة المرحلة في قصة"صلاة في **المرحلة السادسة** " يستقيها القاص من مراجع من الدين المسيحي حيث المرحلة السادسة هي مرحلة من المراحل الأربع عشرة التي مر فيها السيد المسيح حينما كان اليهود يسوقونه عبر طريق الآلام من أجل صلبه. وفي المرحلة السادسة وقع المسيح على الأرض وسال الدم من جسده، وهي تشكل مرحلة العذاب للمسيح، وحين يقرأ المرء النص يجد الكاتب أبرز ثلاث مراحل في قصته:المرحلة الخامسة، والسادسة، وانتهت القصة عند المرحلة السابعة.لكن حدث القصة دار في معظمه في المرحلة السادسة(مرحلة العذاب)، ليقول الكاتب :إن الفلسطيني هو المسيح الجديد المعذب الذي مر بمراحل مختلفة من العذاب وما زال يسير في هذه الطريق.

أما قصة "**وقت** وشموس كثيرة"، فلا يبوح العنوان بسره بل هو خاضع للتأويل، ويتطلب جهدا من القارئ للبحث عن علاقة العنوان بجسد النص، وبعد قراءتنا للقصة نرى أن مفردة وقت تحمل معنى الوقت السيئ أو الرديء للشخصية الرئيسة التي فقدت سيطرتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونفوذها وهيبتها في هذا الزمن، بعكس الزمن القديم الذي كان فيه لكلمة مختار رنين؛لهذا نجد الشخصية كلما مرت بموقف إهانة رددت مفردة:"زمن ".بعكس عنوان قصة "موت في **صباح باكر**" الذي يرتبط المكون الزمني فيه بجسد القصة، القصة تفصح عن موت الشخصية الرئيسة في ذلك الصباح الذي خرجت فيه إلى شوارع المدينة لتبحث عن لقمة العيش لأولادها وأسرتها، فارتبط المكون الزمني في العنوان بزمن حدث القصة. في حين لا تبرز قصة " **ظهيرة** يوم رجل حزين " ظهيرة ذلك اليوم فقط بل تمتد أحداثها ليوم كامل، يصور فيه السارد سعي الشخصية القصصية منذ الصباح الباكر للحصول على عمل، فتجده في إحدى المستوطنات، لكن الحدث المهم الذي عايشته الشخصية وجرى فيه الاستبطان الداخلي وقت الظهيرة، حين تقرر الشخصية في نفسها عدم العودة للعمل في المستوطنات المقامة على أرض الضفة الغربية ؛ لهذا نجد الكاتب قد ركز على الزمن المهم والأساس للشخصية (فترة الظهيرة) ليظهر في العنوان. أما قصة "يوم عادي "، فتصور لحظة خروج السارد للعمل من قريته، حيث يعيش، إلى إحدى المدن القريبة، حتى عودته إليها، إبان انتفاضة الأقصى الأخيرة، ويقص السارد ما شاهده وسمعه ورآه في ذلك اليوم. ويذكر أن اليوم العادي في حياتنا وحياة البشر عامة، هو ذاك اليوم الطبيعي الذي يجري دون أحداث لافتة، وحين يقرأ المرء النص يجده يوما مليئا بالأحداث والقتل والملاحقة والقصف؛ إنه يوم غير عادي في حياة البشر، فهل أراد القاص القول إن ما جرى في هذا اليوم يجري في الضفة الغربية وقطاع غزة يوميا منذ بداية انتفاضة الأقصى حتى الآن، وأن هذه الإجراءات اللاإنسانية أصبحت عادية في حياتهم، حيث تعودنا على الآلام ونمارس حياتنا كالمعتاد على الرغم من قسوة الأحداث، فمنا من يشيع الشهيد، ومنا من يحتفل بزفافه، هذه حياتنا تجمع بين النقيضين. والعنوان هنا يرتبط بمضمون النص وفكرته، ويحجب عنا اليوم الآخر، والذي بدا في نهاية القصة محط تفاؤل القاص بتغير هذا الوضع القائم، وبما أن هذا التفاؤل غير موجود في واقع الضفة الغربية وقطاع غزة في هذا الزمن؛ كان الحديث عن يوم واحد فقط، هوالذي ظهر كعنوان للنص.

أما قصة"يومان فقط" فالعنوان لا يحمل دلالة يمكن الركون إليها ، لكن هذه الدلالة تتضح من خلال ارتباطه في النص، حيث نجد السارد في أحد المطارات لدولة ما غير محددة بالاسم تلاحقه أجهزة المخابرات، وتستفسر عن المدة التي سيقضيها في ذلك البلد، فيقول:"يومان...يومان فقط...سأقضي هنا يومين فقط." ([1]) ونجد القاص اختار العنوان من خلال كلمتين في نهاية القصة؛أي اجتزأ العنوان من النص، وهذا يتوافق مع سمات العنوان

[1] – هنيه ، أكرم، أسرار الدوري، ص122.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلاسيكي القديم. أما قصة "**فاصل طويل**"، فعنوانها ليس مطابقا للمتن القصصي من حيث جريان الحدث، يصور السارد لحظة وداعه تونس وانتظار العودة إلى الوطن، فهل هذا الفاصل الطويل هو فاصل زمني في حياة السارد بين مرحلتين زمنيتين: المرحلة التي عاشها في تونس وما سيليها؛ أم مرحلتين زمنيتين مختلفتين في أحداثهما السياسية؟ تبقى هذه الافتراضات قائمة ما لم يكشف عنها الكاتب ؛لأن العنوان لا يقول شيئا بل يبقى كما في قصته مراوغا.

يستخدم الكاتب مصطلحا إنجليزيا ليكون عنوانا، وهو ما نلحظه في قصة"**فلاش باك**"، ويوظف هذا المصطلح كتقنية حديثة في القصة والرواية لاسترجاع أحداث حصلت في الماضي.وحين يقرأ المرء القصة يجد السارد يسترجع فترات زمنية في حياته، وبذلك نجد عنوان القصة يرتبط بالنص ويحيل على زمن الحدث القصصي.

وهكذا نجد أن الحصار والقسوة والموت والفقد التي تحملها مكونات العناوين الزمانية هي الإطار الشائع داخل المجموعات ، مما يؤكد قسوة الزمن التاريخي الذي يعيشه شخوص القاص على أرض الواقع؛لهذا نجد أن معظم القصص التي يتشكل عنوانها من مكون زمني لا يستريح المتلقي عند سماعها؛ لان مفرداتها قاتمة لا تريح النفس : قتل وحصار وموت وحزن وألم وملاحقة.

أما المكون الشيئي في العناوين الفرعية، فقد أكثر من استخدامه في مجموعته الأخيرة، بعكس المجموعات السابقة، وبدت بعض العناوين أقل طولا، كما في قصص: "**سحر** الحب" و"**بوح سريري**" و"**أسرار** الدوري" ، ونجد قصة يتيمة في مجموع عناوينه تتألف من مكون شيئي واحد، وهي قصة "**القرار**"، "ولقد أبرزه القاص على هذا الشكل ليؤكد على الوحدة (أي وحدة القرار الجماعي في مواجهة الاستيطان)؛فجاء العنوان كلمة واحدة. ولقد أفصح القاص عن مضمون القرار في نهاية القصة، وكان: المواجهة.أما بقية المكونات الشيئية الأخرى، فقد ظهرت مرتبطة مع المكونات الأخرى كقصة :"**أمنيات** محمد العربي"، التي كشفت عن أشياء يود محمد العربي (رمز الجماهير العربية) تحقيقها في ظل واقع القمع والحرمان الذي يعيشه. واستعار القاص أجواء قصة "ليل بارد **واحتمالات أخرى**"، من فلم "يوم خاص"، وكشف في نهاية قصته عن هذه الاحتمالات بأسلوب رمزي.في نهاية القصة "كانت المدينة تقف بثبات أمام احتمالات الليل والبرد والمطر." ([1])وقصة "وقت **وشموس كثيرة**"، لا يبوح العنوان بسره، كما أشرنا سابقا، ولكن يمكن الاعتقاد بأن الشموس رمز للطلائع الوطنية من أبناء فلسطين ممن يقفون في وجه الشخصيات النفعية، والمخططات الإسرائيلية في

[1] – هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص137.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصادرة أرضهم. ونجد الشيء نفسه في قصة "**كل شئ** وهذه النظرة بالـذات"، لا يـرتبط العنوان فيها ارتباطا مباشرا بشخصيات القصة وزمانها ومكانها، ويدور حدث القصة حول شخصـية بـائع الأرض، وحالتـه النفسـية السـيئة، نتيجـة ازدراء المـواطنين لـه، ومقاطعته.فالعنوان رامز، ولكن يمكن تأويله بان القاص يريد أن يقول : كل شـئ يمكـن قبوله أو التهاون معه إلا بيع الأرض لليهود.

تشعر بعض عناوين القصص التي تتشكل من مكون شيئي القارئ بالراحـة، ويكـون المكون الشيئي هو رمز هذا التفاؤل، كما في قصص:"**وردتان** للزميلة ندى"، و"**سحر الحب**" و"**بوح سريري**" و"**أربع شرفات وأحلام زائدة**"، ويعود السبب في القصة الأولى إلـى ذلـك الموقف البطولي الذي وقفته ندى في مواجهة النظام، وتآلفها مع الفلسطيني ووعيها بدورها النضالي؛ فقدم القاص لها وردتين كاستحقاق لها على سلوكها.

أما القصة الثانية، فعنوانها جذاب، يغري المتلقي في البحث عن هذا السحر؛ ومـا أن يبدأ المرء قراءة النص حتى يجد القاص يحاول كتابة قصة حب حقيقية لشاب وشابة، قصة جمع معظم عناصرها، إلا أنه فشل في كتابة نهايتها، فقد كانت الأحداث تمنع إيجاد نهايـة سعيدة تتفق مع عنوان القصة، و السبب في ذلك يعود إلى الاحتلال، وهكذا منع، الفلسطيني من أن يكتب قصة حبه الخاصة. ومن هنا نجد مفارقة بين العنوان وجسد النص، العنـوان هو سحر الحب والنص لم يحقق سحر الحب.

ونجد الشيء نفسه في قصة "بوح سريري". لينصرف ذهن المتلقي إلى غير اتجاه، فـالبوح السريري قد يكون بوح العاشقين أو الأزواج، وقد يكون أيضا، لمن يزور مريضا في مشفى بوح المريض إلى المقربين قبل وفاته. والذي يعطي العنوان دلالته هو جسد النص، حيـث يصرف الذهن عما ذهب إليه ابتداء، وهو بوح العاشـقين، ويحيـل المـرء إلـى المـوت السريري.

وأتى الأسطة على عنوان القصة، وذهب إلى :أن هذا العنوان لـيس عنوانـا كلاسـيكيا بالمطلق، ليس عنوانا يقول المعنى قولا لا يحتمل، للوهلة الأولى، سوى تفسير واحد.ولا أقول إنه عنوان غامض مربك، ولكنني أقول إنه لا يتضح معناه إلا بعد قـراءة نـص القصـة، وعندئذ يقصي العنوان ما انصرف إليه ذهني للوهلة الأولى ليرسخ مفهوما آخر للعنوان هو ما قاله جسد النص كله من ألفه إلى يائه، ويصبح هذا السرير سرير رجل فـي مشـفى، لا سرير رجل في غرفة نومه، ويكون البوح هنا ذا دلالة غير الدلالة الجنسية. الذي يبوح هنا شاب من شهداء الانتفاضة، وتكون الانتفاضة وما جرى فيها محور القصة كلها."([1])

[1] ينظر : الأسطة، عادل "النص وصلته بالنصوص الأخرى، ص93.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلتقي عنوان القصة الأخيرة، مع العناوين الأخرى، في أنه على قدر من الأغراء فما هي قصة الشرفات الأربعة وما هي الأحلام الزائدة ؟وحين يقرأ المرء النص يجده يكشف عن جو موحش تسوده علاقات غير طبيعة بين البشر لا يشعر فيه الإنسان بالراحة وبالتالي تبقى الأحلام معطلة.

سمات مكونات العناوين

لعل من أبرز سمات مكونات العناوين لدى هنية طول العنوان، وهذا ينسحب على معظم العناوين، ونستثني منها قصص: "القرار "، و"المرحلة"، و" وفلاش باك ".حيث تكونت عناوين هذه القصص من كلمة. ولعل القاص وظف ذلك في محاولة لتوجيه المتلقي لطلب المزيد من المعلومات حول ماهية القرار، ؟وما هي طبيعة المرحلة ؟وقد أجاب النص عن عناوينها عبر سير الأحداث.أما بقية العناوين فهي تتسم بالطول وهي تقترب بذلك من العنوان الكلاسيكي القديم_ كما يرى شعيب حليفي عند دراسته طول العنوان_"الذي يهدف لاستيفاء المعنى، وتقريب الدلالة إلى فهم المتلقي " ([1])ويساعد على توقع المضمون الذي يتلوه.

أما السمة الأخرى، فتتجلى في العناوين التقريرية وهذا ما لاحظه من قدم لكتاب "طقوس ليوم آخر" حيث كتب:"ولا تبتعد في كثير منها عن العنوان الصحفي التقريري مثل العناوين التالية: "أبو القاسم يشارك في النهوض الجماهيري"، "شهادات واقعية حول موت المواطنة منى. ل"، "أم محمود تشارك في اعتصام نسائي "، "مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما "... الخ.ففي قصة "شهادات واقعية"، يسجل الكاتب القصة كما وردت عبر التقارير الصحفية التي ترده حيث يعمل ".([2])

كما أن العنوان لدية في معظم قصصه يلخص الموضوع، أو الفكرة، أو الحدث الذي يتناوله. فعناوين " هزيمة الشاطر حسن "، و " النابغة الذبياني يهجو النعمان بن المنذر "، و "أم محمود تشارك في اعتصام نسائي "، وأبو القاسم يشارك في النهوض الجماهيري"، و"القرار"، هي تلخيص لقصصها. وما على القارئ إلا أن يبحث عن كيفية جريان الأحداث والكيفية التي تمت فيها.

لكننا نعثر على بعض العناوين التي كانت تلمح ولا تصرح بما تحمله، وبما يندرج تحتها من خطاب، والتي استخدم فيها الأسلوب الرمزي، مثل قصة "ليل بارد واحتمالات أخرى"، حيث أننا لا نقرأ عن الليل البارد داخل القصة، ولا الاحتمالات الأخرى، حيث لم يبح النص بها. كما أن عنوان القصة أيضا بني على حدثين منفصلين لا يمتان لبعضهما بصلة على

---

[1] _ حليفي، شعيب، "النص الموازي للرواية(استراتيجية العنوان)"، ص86.

[2] -ينظر:تقديم الناشر لـ"طقوس ليوم آخر"، ص6.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صعيد جريان الأحداث، بل الصلة كانت على الصعيد النفسي والحالة النفسية. ويلاحظ كذلك الكسر والحذف المضموني والنحوي في العنوان كما في قصة "ذات موت ذات مدينة" حيث العنوان لا يبوح بسره بحيث يدفع القارئ للدخول إلى المتن النصي ليبحث عن هذا الموت، وعن هذه المدينة.كما أن العنوان لا يعطي جملة مفيدة يمكن الركون إليها في عملية الفهم.ولعل فداحة الأحداث داخل النص ألقت بظلالها على العنوان، وهي طريقة احتجاجية في كتابة العنوان واءمت طبيعة النص. كما أنه عمد إلى تقطيع القصة، واختار عناوين فرعية لكل مقطع، وانتهت القصة كما بدأت بشكل دائري، دون أن يسفر اللقاء بين الرجل والفتاة إلى تفاهم. فكانت النهاية تشاؤمية حيث "لا شمس في السماء."الشيء نفسه نجده في قصة "بعد الحصار قبل الشمس بقليل "، حيث لا نجد حصارا، ولا نجد الشمس إلا في نهاية القصة، وهي رمز للحرية وتجديد الإرادة والعمل، والقصة تتحدث عن حدث غرائبي، وهو سرقة قبة الصخرة، وليس الحصار.

كما أن العنوان لدية هو تساؤل تتم الإجابة عنه لاحقا كما في قصة "لماذا لم أذهب لمقابلة صديقتي؟".فنجد النص يجيب عن هذا التساؤل، ولكن ليس بصورة كاملة بل يترك للمتلقي بعض التأويلات، وأيضا تفصح قصة"أمنيات محمد العربي "عن أمنياته وهي الخبز واللحم والملابس وأن يخلصه من رجال المخابرات.

لكن السمة اللافتة في عناوين أكرم هنية تتمثل في تنوعها، بحيث استقاها من مصادر مختلفة: تاريخية، كما في قصة "النابغة الذبياني يهجو النعمان بن المنذر". وتراثية، كما في قصص" هزيمة الشاطر حسن" و"وقائع التغريبة الثانية للهلالي "، و" أمنيات محمد العربي ". ودينية، كما في قصة "صلاة في المرحلة السادسة" حيث استقى عنوانها من الدين المسيحي. وكذلك عناوين واقعية من حياة الناس العاديين، كما في قصة" شهادات واقعية حول موت المواطنة منى"ل""، وقصة" أبو القاسم يشارك في النهوض الجماهيري "، وقصة"يوم عادي". كما أنه اعتمد على الرمز في قصة "ذات موت ذات مدينة" و"سحر الحب".ولجأ أيضا إلى الحدث المتخيل، كما في قصة "عندما أضئ ليل القدس ".

كما أنه عمد في بعض عناوينه إلى كسر المتوقع والمألوف لدى المتلقي، كما هو الحال في قصص:" النابغة الذبياني يهجو النعمان بن المنذر "و"بوح سريري"و"سحر الحب" و"يوم عادي" ، وهنا اقترب أكرم هنية من العنوان الحداثي _وهو كما يرى شعيب حليفي- الذي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقلب المألوف والمعتاد بحيث" أنها تستفز المتلقي وتخلخل تصوره الأولي."([1])

أضف إلى ذلك أن بعض العناوين كانت تحمل الشيء ونقيضه، كما في قصة:"بعد الحصار قبل الشمس بقليل"حيث الحصار يرمز إلى الاحتلال وما يجري من أحداث داخل المتن، في حين نجد الشمس هي رمز للأمل، أو الغد الذي يأتي بالنور(التحرر)، وكذلك قصة "وقت وشموس كثيرة "حيث الوقت السيئ يقابله زمن الأمل والنور، حيث ظل الأمل والتحول هاجسه.

[1] - حليفي، شعيب، "النص الموازي للرواية(استراتيجية العنوان)، ص85. ذهب الكاتب إلى أن "العنوان قديما كان يتميز بخاصية السجع والطول كنوع من التفصيل، بحيث أن هذه العناوين القديمة تلخص مضمون المؤلف"، ص86.ورأى أن العنوان القديم يتسم بثلاث علامات أساسية:"أ_العنوان يصوغ التعريف بالمؤلف.ب_يعين مضمون المؤلف.ج_العنوان يدفع للقراءة.، ص85.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوعات:

كرس الكاتب أكرم هنية معظم نتاجه الأدبي في مقارعة الصهيوني وكشف ممارساته العدوانية، واجتهد في فن القصة القصيرة ليكون صوته النضالي ؛لهذا وجدنا الموضوعات الوطنية ماثلة في معظم نتاجه القصصي، في محاولة منه لتقديم اجتهاداته ورؤاه للتخلص من الاحتلال وإجراءاته القمعية. ولرؤية شعبه يتنفس الحرية.انبرى يصور آلام السكان تحت الاحتلال، من قتل وملاحقة وتهجير واستيلاء على الأرض، وإقامة المستوطنات عليها؛ لهذا وجدنا القاص يمرر أفكاره ورؤيته لكيفية التعامل مع هذا الواقع، ويبرز نماذجه الإيجابية المقاومة لتكون نماذج تحتذى، والسلبية للتنفير منها.وكان يلجأ، في كثير من الأحيان، إلى المباشرة والتقريرية في تناول هذا الواقع.و في أحيان قليلة إلى الرمز واللامعقول.

والتفت هنية إلى واقع الجماهير العربية وعلاقتها بالقضية الفلسطينية، فشاركها طموحاتها وتطلعاتها في الحرية والتخلص من الظلم والاستبداد، والرغبة في التخلص من حالة الهزيمة والاغتراب التي تعيشها الأمة. فلا غرو، أن يكون الموضوع السياسي هو المهيمن على معظم نتاجه القصصي وعليه، سأحاول دراسة موضوعاته ضمن أربعة محاور: الأول، أتناول فيه القصص التي عالج فيها واقع الشعب العربي وعلاقته بالقضية الفلسطينية.والثاني، أتناول فيه واقع الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، والثالث واقع المرأة والأخير صورة اليهودي.

1_الموضوع العربي :

سأعالج تحت هذا العنوان ثلاث قضايا هي:علاقة المثقف بالسلطة وواقع القمع في البلاد العربية وعلاقة الأنظمة العربية بالثورة الفلسطينية.

أ_علاقة المثقف بالسلطة:

أفرد الكاتب خمس قصص من مجمل نتاجه، تناول فيها واقع المثقف في العالم العربي وعلاقته بالسلطة السياسية، ومرد ذلك إلى إيمان الكاتب بدور الكلمة وأثرها في الوعي السياسي، والدور الذي يجب أن يسهم به المثقف بوصفه طليعة الجماهير في مرحلتي التحرر السياسي والاجتماعي.

ولكن كيف صور الكاتب واقع المثقف في العالم العربي وعلاقته بالسلطة السياسية؟ وما هو الدور الذي كان يتوخاه من المثقف في مجمل نتاجه؟

يستطيع المرء أن يكتشف طبيعة هذه العلاقة السلبية من خلال تصوير القصص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

روح الاختناق والغضب التي يحياها المثقف في العالم العربي لما يعانيه من مطاردة وقمع، ولا عجب في ذلك، فالكاتب، وهو ينتسب إلى هذه الفئة، عاش هذا الواقع، من خلال دراسته في مصر وعمله في بعض الدول العربية. وأتى عليه في مجموعته الأولى من خلال ثلاث قصص :"عبر النافذة" و"السفينة الأخيرة... الميناء الأخير " و"النابغة الذبياني يهجو النعمان بن المنذر". وكتب " معظم قصص هذه المجموعة في العالم العربي."([1])

تتشابه قصتا "عبر النافذة" و"النابغة الذبياني يهجو النعمان بن المنذر" من خلال تناول علاقة الشاعر بالحاكم، وإن اختلفتا في البناء الفني، وفي بعض الجزئيات الأخرى.

استقى الكاتب أجواء قصة"عبر النافذة" من التاريخ العربي.لقد وصف واقع محاولة السلطة السياسية قمع كل الأصوات المنادية بالحرية، في سبيل حفاظ الحاكم على عرشه وسلطته.

تتلخص أحداث القصة بدعوة الحاكم حاشيته ووزراءه إلى قصره لمناقشة السبل الكفيلة بإلجام الشعراء والمطربين، والبحث عن طرق جديدة في قمعهم بعد أن فشلت الإجراءات السابقة المتمثلة في السجن ومنع إقامة الندوات والحفلات ومنع التواصل مع الجماهير. لكن الوزير يرد عليه قائلا بأنه جرب كل الطرق بلا فائدة، ويقترح شطب كل المفردات التي تنادي بالحرية والديمقراطية والمساواة والتحرر والنضال، حتى يُخلَق جيلٌ لا يعرف هذه المفردات.ولكن جبروت النظام لا يصل إلى هذا الحد، بل يتعداه إلى إلغاء كل ما هو إنساني في حياة الجماهير، فيطالب بإلغاء "مفردات أخرى: كالحب والإخلاص والتضحية والكفاح."([2])

هذه الصورة البشعة التي قدمها الكاتب للنظام تنم عن روح السخط والغضب لدى المثقف لما آل إليه حاله، في محاولة لتحييده عن الساحة النضالية، وقتل روح الكلمة ومنعها من الوصول إلى الجماهير، ومنع التواصل بين الفئة المثقفة والجماهير؛لأن الأنظمة ترى فيهما تهديدا لوجودها.

وتعكس القصة، كذلك، هلع الحاكم من الشعراء والمغنين، وحالة الخوف التي تعتري الحاكم من أصواتهم ومطالبتهم بالحرية والديمقراطية والمساواة والتحرر.

لم يحدد الكاتب المكان في القصة، واستعار الأجواء التاريخية، حتى لا يتعرض للملاحقة من الأنظمة؛وليتسع المكان ليشمل كل بلد عربي تنطبق عليه هذه الحالة. أما نهاية القصة، فقد جاءت تحفل بالأمل وهو ما يتضح من قول السارد:"خارج القصر وعبر النافذة كان

---

[1] _ينظر :الحوار الذي أجراه الاسطة، عادل مع القاص في كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص104.

[2] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص130.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإمكان مشاهدة الشمس تخيم."([1]) ولعل هذه النهاية المقحمة على جسد النص، تعبر عن أمل القاص في تغيير ما هو قائم والتفاؤل بالمستقبل.([2])

أما قصة "النابغة الذبياني يهجو النعمان بن المنذر"، فقد استعار الكاتب فيها شخصيتين تراثيتين من التاريخ العربي هما النابغة الذبياني الشاعر المعروف، والنعمان بن المنذر ملك الحيرة. وتدور أحداث القصة، حول رحلة النابغة، إلى ممدوحه النعمان، من أجل أن ينال الحظوة عنده، ولكن النعمان يقول له:"ما عادت قصائدك وقصائد غيرك تقنع الناس والعبيد."([3]) لأن الناس يصغون إلى نداء بطونهم أولا..والجائع لا تشبعه قصائدك ". ([4]) لهذا يخرج الحرس النابغة من القصر بطريقة مهينة وعلى أثر ذلك ينظُم قصيدة يهجو فيها النعمان بن المنذر، ويرددها الناس من بعده.

والقصة تفصح عن علاقة الشاعر بالحاكم، وموقف الجمهور من الشاعر.

تبدو شخصية الشاعر هنا غير مقنعة، كان الشاعر يسعى لمصالحه الشخصية، وبذل ماء وجهه على عتبات النعمان، ولم يأت تحوله في مواقفه من الحاكم إلا بعد أن رفضه الأخير. ولم يأت تحوله من قناعات داخلية أو رؤية ثورية خاصة به.والقصة تعكس_كذلك_ موقف الجماهير من الشاعر، فالجماهير لا تسير في ركب المثقف المتذبذب الذي يمالئ النظام و لا يتحسس مشاعرها. ولهذا نجد الجماهير لا تصغي للشاعر إلا بعد أن هجا النظام الذي بدت علاقته بها سلبية.

ويلمح المرء الفوارق الطبقية بين المثقفين وعامة الشعب من جهة، وبين الفئة الحاكمة من جهة أخرى. تسكن الفئة الأخيرة القصور وترفل في النعيم، في حين تسكن الفئة الأولى الخيام والبيوت الوضيعة وتعاني ضنك الحياة.([5])

أما قصة"السفينة... الأخيرة الميناء الأخير "، ، فبطلها شاب مثقف يعيش في مدينة بائسة، يحمل في يده حقيبة فيها أشعار، ويحاول اللحاق بالسفينة بعد فوات الأوان، ولا ينجح في ذلك. والقصة غامضة لا تبوح بفكرتها.ويرى فخري صالح أن القصة تتحدث "عن موضوع غائم، الريادة، المثقفين ولكنه يبدو كمن يتابع شريطا هذيانيا يتحرك..انه يبشر بالرسالة، ولكنه غير قادر على الفعل، والسفينة لا تتوقف والميناء لا يبتعد ولا يقترب،

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص130.

[2] _حول القصة انظر ما كتبه فرحات، محمد، ص62، و علقم، نبيل، ص57، ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح.

[3] _السابق، ص 151.

[4] _السابق، ص152.

[5] _حول القصة، ينظر: ما كتبه الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص135.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحقيقة المليئة تثقل كاهله، ودمه يصنع شريطا بطول الطريق التي يركضها. ولكن البطل يظل يركض في زمن الانهيارات والسفينة تبتعد وتشق طريقها بثقة وأمل ".([1])

وعليه، يمكن التكهن بأن الشاب المثقف لا يستطيع العمل في ظروف المدينة بسب الأجواء العامة فيها التي لا تساعد على العمل.

ويتناول القاص هذه الفكرة، في مجموعته الثانية "هزيمة الشاطر حسن ". الأولى في قصة "وردتان للزميلة ندى"، يسردها شاب مثقف يدرس في الجامعات المصرية، وبطلتها "ندى" التي"تعتقد أن بإمكان الطلاب وحدهم أن يغيروا العالم، ولكنها تبدأ بالتحرر من أوهامها هذه عندما تصطدم بحقائق الواقع. إنها نموذج من تلك الفترة الساخنة التي امتدت منذ أواخر الستينات حتى منتصف السبعينات تقريبا التي شهدت الانتفاضات الطلابية في العديد من دول العالم."([2])

والثانية في قصة " المرحلة"، وقسمها الكاتب إلى أربع لوحات يقص فيها مثقف عن واقع الملاحقة والقمع اليومي الذي يعيشه.يستيقظ الراوي، فيستمع إلى المذياع ويعلم أن نظام الحكم لم يسقط بعد، مما يدل على أن القصة تصور واقع القمع في دولة عربية لا تعرف بالاسم، وحين سئل الكاتب عن أسباب غياب المكان في القصة أجاب:"أن غياب المكان هو في الأساس جزء من الغموض المصطنع الذي يفرض على الكاتب نتيجة واقع القمع، وأيضا فان أحداث قصة "كالمرحلة " يمكن أن تدور بصورة أو بأخرى وبسهولة في كل مدن الوطن العربي والعالم الثالث."([3])

أما القصة الأخيرة التي تناولت علاقة المثقف بالسلطة السياسية، فهي التي ظهرت في مجموعته الثانية وعنوانها "لماذا لم اذهب لمقابلة صديقتي ؟"، وتعكس روح المرارة والسخط التي تعتري المثقف الفلسطيني، وهو يكوى بنار القمع الإسرائيلية من حيث المتابعة والملاحقة. يعاني بطل القصة من هذا القمع المزدوج، وتتلخص أحداث القصة بالتالي: يأخذ أنا المتكلم موعدا مع حبيبته، لكنه لا يستطيع أن ينجز وعده بسب اعتقاله، يصف المثقف لحظة اعتقاله وإجراءات التفتيش التي صاحبتها والضرب الوحشي الذي تلقاه على أيدي الجند في منتصف الليل.ومن خلال استخدام تقنية الاسترجاع والمناجاة نتعرف على الحالة النفسية التي يمر بها حين يعقد مقارنة بين الأنظمة العربية وسلطات الاحتلال، فيصل إلى استنتاج

---

[1] _ ينظر : دراسته ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص41.

[2] _ ينظر اللقاء الذي أجراه الأسطة، ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص107.

[3] _السابق، ص107.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موحد لموقف الطرفين من الفلسطيني : "السجون متشابهة " "هنا أو في المنافي، " والنـــزلاء أيضا متشابهون ...إن لم يكونوا أنفسهم".([1])

لهذا يستحضر في القصة حالات عدم الوفاء والغدر في التاريخ العربي؛ يستحضر قصـــة سنمار و قصة عنترة العبسي. ورغم الأجواء التي يعيشها المثقف يبقـــى متســـلحا بالأمـــل والإرادة، ويحلم بلقاء محبوبته من جديد. وتعد هذه القصة معبرة عن حال كثير من المثقفين الوطنيين الفلسطينيين الذين تعرضوا للاعتقال والمطاردة، في أكثر من بلد عربـــي، بســـب مواقفهم الوطنية التي كانت تفضح صمت الأنظمة وعجزها.

ويخلص المرء إلى أن الكاتب كان يتوخى من فئة المثقفين أن تكون رائدة في العمل النضالي من أجل حرية الإنسان العربي والوقوف إلى جانبه في تحقيق مطالبه في الحريـــة والحيـــاة الكريمة ؛لأنها الخطوة الأولى نحو التحرير السياسي، وان المثقف لا يمكن أن يحقق ذلك إلا بالتلاحم مع الجماهير، ومن خلال العمل الجماعي المشترك، وكان الكاتب مثالا لهذا ودفـــع شخصيا ثمن ما كان ينادي به، فسجن وطرد من أرضه، ولا عجب أن يظهر راس أكـــرم هنية يقدم إلى أحد زعماء الدول العربية على طبـــق مـــن ذهـــب مـــن رئـــيس الـــوزراء الإسرائيلي.([2])

ب_واقع القمع في البلاد العربية :

تبدو المدينة يسودها الظلم والقهـــر والـــدم، ولا يســـكنها إلا البائســـون والعـــاجزون والمشوهون، وحاكمها الصمت والموت. وعلى الرغم من غموض المكان في قصة "السفينة الأخيرة... الميناء الأخير" إلا أن المرء يستطيع أن يستدل بسهولة أن المدينة فيها عربيـــة ويبدو ذلك من خلال الأجواء المصورة.

ولعل انعدام الأمن والطمأنينة وحالة الفقر والعوز والحاجة وعدم سيادة القانون التي يشعر بها المواطن العربي في بلاده، هو المحور الذي عكسته قصة "ليل بارد واحتمالات أخرى "، فبطل القصة شاب مثقف يعاني من الوحدة والاغتراب والقلق يجلس في غرفته وحده بانتظار فتاته ويستمع إلى صوت المذياع الذي ينقل خبر زيارة السادات إلى القدس، وبعد كل حديث يصرح به المذيع عن سيادة القانون والعدالة والأمن والطمأنينة لدى المواطن في أعقاب هذه المرحلة، يشعر بطل القصة بالسخط والمرارة الداخلية حتى يصل إلـــى مرحلـــة اليـــأس

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص56.

[2] _ينظر: الكاريكاتير الذي نشر في جريدة الشعب المقدسية ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص175.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعجز، إلا أنه وعبر عملية استرجاع يتذكر صور البطولة والشهادة والمبادئ؛ فترد إليه حيوته وفحولته، ويصبح أكثر إصرارا على مواجهة منغصات الحياة.([1])

أما واقع الرعب والخوف والملاحقة المخابراتية، وواقع الحرمان التي يعيشها المواطن العربي في المدينة العربية في ظل أجواء القمع السلطوي، "وتسلط قوى العسف وأجهزة الظلام على مقدرات الناس "([2])، فقد أفصحت عنه قصة "أمنيات محمد العربي "التي استعار أجواءها من حكاية "ألف ليلة وليلة".

وفي قصة "ذات موت ذات مدينة"، "يفسد القمع كل القيم الإنسانية حيث لا ينجو منه شيء، وكأنما هذه القصة الجزء الأخير من قصة "عبر النافذة "محققة مقولة الحاكم الذي طلب إلغاء كلمات مثل الحب والإخلاص من القاموس.ففي مدينة عربية غير معروفة بالاسم –وكأنما القاص أراد أن يقول كل المدن العربية سواء –يلتقي شاب وفتاة بعد فترة انقطاع فيكون لقاؤهما باهتا ضعيفا على غير ما كان عليه يوم أن تعارفا إبان المظاهرات ومرحلة المد الثوري ومن ثم يسيران باتجاهين مختلفين".([3])

ولا يعدم المرء مثل هذا التناول في قصة " وقائع التغريبة الثانية للهلالي"، حيث صور القاص واقع القمع السياسي الذي تعيشه الجماهير العربية، وحالة الظلم والحرمان التي يتجرعها المواطن العربي، عبر الكاتب عن هذه الجماهير بالعبيد والصناع وصور أماكن سكنهم بأوصاف مزرية على الرغم من الانتعاش الاقتصادي الذي يحياه الملك وحاشيته ويرفل به.

وأتى في مجموعته الأخيرة"أسرار الدوري" على حالة القلق والخوف التي تعتري الفلسطيني في البلاد العربية وغير العربية من المطاردة والملاحقة، وهذا ما عكسته قصة "..يومان فقط".

يصور أنا المتكلم روح الخنق والغضب التي تعتريه في أحد المطارات، ومن خلال المناجاة النفسية يستطيع المرء أن يتعرف على هواجس السارد الذي يحمل جواز سفر لدولة لا ينتمي إليها، وسيكون موضع شك؛ لهذا يعد سلفا مجمل الإجابات للأسئلة التي سيسألها

---

[1] _حول القصة، ينظر:ما كتبه كل من: صالح، فخري، ص41، وأبو لبدة، حسن، ص52، وعادل الأسطة، ص55/54، وعلقم، نبيل، ص59/58، ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح.

[2] _ينظر :دراسة العيلة، زكي، حول "السفينة الأخيرة... الميناء الأخير" ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص44.

[3] – الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص70.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضابط الأمن هناك . وينقل السارد كذلك منظرا آخر لعائلة فلسطينية في صالة المطار تشاركه المشاعر نفسها من خوف وقلق.

وهكذا نجد أن معظم قصصه التي تناول فيها القمع في البلاد العربية وعلاقة المواطن بالسلطة السياسية، هي قصص أفكار، تكاد تتشابه في مضمونها حول الفكرة الرئيسة"فكرة القمع" التي كانت تلح على القاص في محاولة منه لفضح هذا التوجه السياسي في البلاد العربية ومحاولة تأليب الجماهير العربية لعدم القبول بهذا الواقع من أجل الثورة على هذه القيود، لأن الكاتب يرى أن هذه الأنظمة فقدت مبرر وجودها ، وتقف عائقا في تحقيق المشروع السياسي والاجتماعي للأمة العربية بفعل الإجراءات التي تتخذها بحق المواطن العربي الذي يصبو لتحقيق ذاته على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ج-الأنظمة العربية والثورة الفلسطينية:

أبرز الكاتب علاقة النظام العربي بالثورة الفلسطينية في أكثر من قصة، وتعد قصة"وقائع التغريبة الثانية للهلالي "الأبرز، وذلك لأن القاص نشر هذه القصة عام 1982، قبل خروج الثورة الفلسطينية من بيروت، وكأن القاص بحدسه المرهف كان يتنبأ برحيل الثورة الفلسطينية نحو بلاد المغرب العربي، وخاصة مدينة تونس؛ ولان هذه القصة الأكبر حجما فإنني سأتناولها بالتفصيل، ولكن تجدر الإشارة إلى قصص سابقة أتى فيها الكاتب على علاقة الثورة الفلسطينية بالأنظمة العربية.

يعثر المرء في قصص سابقة على بعض الإشارات التي توضح هذه العلاقة، ففي قصة "ليل بارد واحتمالات أخرى"، نجد بطل القصة "ما زال يعاني من جروح خطيرة نتيجة مقاومته الاحتلال، ومع ذلك يتهم وغيره من الثوار بأنهم من ثوار الملاهي والبارات، وذلك على لسان أنور السادات الذي قرر، في حينه، زيارة القدس."([1]) و "تتوارد أمام مخيلته مئات الصور ... الرفاق الذين قضوا ... رائحة الحبر والمنشورات... ساعات الصباح منطلقا إلى مهمة أو عائدا منها ... رسائل والده ودعوات وتحيات أشقائه... ليالي السجن والعذاب هنا وهناك ...".([2])

وفي قصة "هزيمة الشاطر حسن"، يقبض رجال السلطان على الشاطر حسن الذي حاول أن يجد حلا لمشكلة شعبه، ويودعونه السجن.

---

[1] _ الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة لغربية وقطاع غزة، ص65.

[2] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص136.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلخص قصة"وقائع التغريبة الثانية للهلالي" العلاقة بين الثـورة الفلسـطينية والأنظمـة، وظروف الحياة القاسية التي عاشتها الجماهير الفلسطينية في المنفى في العالم العربي، ، وقد وظف الكاتب لتوضيح هذه العلاقة سيرة بني هلال الذين رحلوا من بلادهـم نحـو بـلاد المغرب.فهل أراد الكاتب إحياء هذه السيرة أم وظفها بطريقة مغايرة؟

يقص السارد قصة الغريب الذي نفي من وطنه ليستقر في بلاد الزناتي خليفة، ثم يصـور الأحداث والوقائع التي مر بها الغريب وأبناؤه حتى لحظة صدامه مع الزناتي خليفة وعسسه، في حين تأتي السيرة التراثية على رحيل بني هلال من وطنهم الجزيـرة العربيـة بسـبب السنوات العجاف التي مروا بها نحو بلاد المغرب، وتصف الأحداث والأهوال التي واجهتهم حتى استطاعوا دخول بلاد المغرب والاستقرار فيها، كما وتأتي على الخلافات الداخلية بين أبناء القبيلة التي مزقت شملهم في المهجر.

وهكذا، يجد المرء أن الكاتب استقى أجواء القصة التراثية وفكرتها وقدمها بطريقة جديـدة عصرية، عبر من خلالها عن واقع الشعب الفلسطيني في منفاه وعلاقته بالأنظمة العربيـة ولم يكن توظيف الكاتب للسيرة التراثية توظيفا كليا.

فقد استقى شخصيتين من السيرة القديمة فقط، هما :الزناتي خليفة وأبو زيـد الهلالـي. واستغنى عن بقية الشخوص. يغدو الزناتي خليفة رمز الأنظمة وأبـو زيـد رمـز الثـورة الفلسطينية. ويعثر المرء على ملامح مشتركة للزناتي خليفة في القصة والسيرة، ومن هذه الملامح الضعف والقبول بالهزيمة وعرض الصلح على الأعداء وعدم القدرة على حمايـة الوطن واسترداد الأرض المغتصبة والهلع والخوف. لم يستطع الزناتي في القصة الوقـوف في وجه أعدائه الغزاة من بني هلال، ويعرض الصلح والسلم عليهم، ولم يستطع الدفاع عن بلاده وشعبه، ومُني بالهزيمة في نهاية المطاف، ويشبه هذا واقعه في السـيرة. بـل بلـغ الزناتي في القصة درجة أرذل وأشد من الزناتي التراثي الذي مات في سبيل ملكه وملكوتـه وظل يناضح حتى آخر رمق في حياته عن أرضه.

أما أبو زيد، فمثل فكرة البطولة في النصين، وأن اختلف مصيره فيهما. ففي السيرة قتـل غدرا على يد أبناء قبيلته، بعد أن بنى لهم مجدا، في حين أنه فـي القصـة تـولى قيـادة الجماهير في معركتها ضد النظام، وبقي شاهرا سيفه.

وهناك وجه اختلاف في المكان.بدا المكان في قصة هنية غامضا، في حين ظهـر فـي السيرة أكثر تحديدا.ويستطيع المرء تتبع أسماء المنازل والأماكن التي سلكها بنو هلال مـن لحظة انطلاقهم من الجزيرة العربية حتى وصولهم إلى تونس والبلاد الأخرى. ويلحظ أيضا أن بني هلال تركوا مكانهم بإرادتهم من أجل البحث عن حياة أفضل نتيجة المجاعـة التـي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حلت بأرضهم، في حين أبعد الغريب والشخصيات الأخرى قسرا، نتيجة العدوان الصهيوني على الأرض الفلسطينية، وظل الغريب وأبناؤه يحنون إلى المكان بل أضحى هاجسهم، في حين قنع بنو هلال بما أنجزوه في مهجرهم واستقروا هناك، وان لم يعيشوا حياة سعيدة.

وهكذا يخلص المرء إلى أن الكاتب استفاد من السيرة ليعبر عن واقع الشعب الفلسطيني، فكيف صور الكاتب علاقة الفلسطيني في منفاه بالنظام العربي ؟

لقد بدت هذه العلاقة حميمة في البداية، حيث رحب الزناتي بالغريب وهذه الشخصية لا نعثر عليها في القصة التراثية بل استحدثها الكاتب وأبدى استعداده لتقديم العون والمساعدة لها وقدم عروضا متعددة "أنت منا ...يمكنك من الآن أن تعمل لدي في القصر وأن تكون من أبرز فرساني...ويمكنك أن تسكن في أحد البيوت القريبة من هنا... وسأزوجك واحدة من كرام الفتيات ".([1])ولكن الغريب رفض ذلك، وقال للزناتي : " أريد أن أبحث عن أهلي... أن أعرف من أنا "أريد العودة لأرضي... أن أبحث عن اسمي "([2])، وهنا يبدأ الصدام بين الغريب لاختلاف مطالب الأول وأحلامه عن طموحات الثاني.

واختار الكاتب شخصية الغريب لتمثل حياة المنفى، منذ خروج الشعب الفلسطيني من أرضه إلى دول الجوار ؛إن مصير الغريب وأبنائه هو مصير المنفيين من أبناء الشعب الفلسطيني الذين لجأوا إلى إخوانهم، وكانوا يأملون العون من الأنظمة، لكنها خيبت آمالهم، وسعت إلى استيعابهم في بلادها، من أجل قولبتهم، ودمجهم في الحياة الاجتماعية، لتنسيهم وطنهم أو التفكير بالعودة إليه ؛ لعجزها وعدم جديتها في تحرير فلسطين.

صور السارد في مقطع "مقاطع عادية من حياة الغريب"، طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية التي عاشها الفلسطينيون في البلاد العربية، فهناك الاغتراب والسجن والملاحقة والقمع، ولم يغفر للفلسطينيين ما قدموه للعالم العربي لنهوض مجتمعاتهم العربية.

صور السارد من الفلسطينيين ثلاثة نماذج عدا الغريب، وهم أبناؤه الثلاثة: الكبير والأوسط والأصغر (عواد).

أما الأكبر فيمثل البرجوازية الفلسطينية التي استقرت في البلاد العربية، واهتمت بالثراء والجاه وجمع الأموال على حساب المصلحة الوطنية أو العمل الوطني، وقد أنكر الغريب أبوته له : "الذي أصبح صديقا للزناتي ولشهبندر التجار وشيوخ القبائل."([3]) لقد طلب هذا من

---

[1] _هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص68.

[2] _ السابق، ص68.

[3] _ السابق، ص75.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أبيه نسيان الوطن والقبول بواقع النفي: "أبي متى ستأتي لتسكن عندنا ...أو أبني لك هنا بيتا كالقصور...أبي إلى متى ستعيش مع الذكريات والبؤس والفقر ".([1])

أما الابن الأوسط، "فيمثل شريحة فلسطينية لجأت إلى العمل داخل مؤسسات الأنظمة العربية باحثة من خلالها عن الوطن ".([2]) ويلتحق هذا بجيش الزناتي الذي يستوعبه ضمن عسسه وجنوده، لكن الابن الأوسط في النهاية يعود إلى وعيه بعد أن يكتشف حقيقة الزناتي الخيانية.

أما الابن الأصغر "عواد"، فيمثل "الجيل الجديد الذي انتمى للثورة "([3]) ظل عواد ملازما للغريب، عبر امتداد مسيرته، وقريبا منه، كان يتوق للعودة إلى وطنه؛ ومن هنا استمد اسمه (عواد)، وبدا أكثر إيجابية في تواصله مع الجماهير العربية. بقي طيف الوطن شغله الشاغل يحدث الناس عنه ؛لهذا طورد وأبوه، وقبض عليهما أكثر من مرة من عسس الزناتي، واصطدم معهما في السوق، ودارت معارك بينهم على أرض الزناتي بسب همومه التي كان الأخير يراها كاذبة، لكن الجماهير رأت في الغريب حلمها وتعاطفت معه إلى أقصى حد، فحينما أشاع الزناتي خبر وفاة الغريب لم تصدق الجماهير هذا النبأ، وأصبح حكاية كل مواطن.

هذه الأحداث هي معادل لحركة الثورة الفلسطينية في المنفى.لقد حاولت التواصل مع الجماهير العربية، لكن الأنظمة حالت بين الثورة والجماهير العربية ؛لأنها _ أي الأنظمة_ رأت في هذا التواصل تهديدا لمصالحها وتدخلا في شؤونها الداخلية ؛لهذا حوصرت الثورة في اكثر من بلد عربي.

أما أبو زيد الهلالي فقد انبثق فجأة من بين جموع المنفيين والجماهير العربية : "وبعد سنوات طويلة في المنفى ...وكان ذلك بعد أن أصبح الجميع غرباء...وكشف شيوخ القبائل عن وجوههم فإذا هم زناتيون ".([4]) وبعد أن اكتشف انه محكوم عليه بالموت في كل مكان أشهر سيفه مع جموع الفقراء وخاض غمار المعركة، أصيب بجرح في كتفه لكنه"...يواصل القتال.. لا يرى الزناتي أمامه بل يرى (خضرا)، فيصرخ "أنا آت ". ويصرخ "لا أستطيع الموت مطلقا ...لست مستعدا سوى للحياة" ويواصل القتال".([5])

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص75.

[2] _ الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، 67.

[3] _السابق، 67.

[4] _ هنية ، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص82.

[5] _ السابق، 84.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا بدت علاقة الثورة الفلسطينية بالأنظمة العربية سلبية حيث لم ترتق مواقف هذه الدول إلى مستوى المسؤولية الوطنية، ولم تكتف بذلك بل حاصرت الطلائع الثورية وعرقلة مسيرة الثورة النضالية.

ويعود أكرم هنية، بعد سنوات، ليكتب، وإن بطريقة عابرة، عن النظام العربي وعلاقته بالفلسطينيين. ولا يبرز صورة مختلفة. في قصة "يومان ...فقط " من "أسرار الدوري" يصف أنا المتكلم حالة الهلع والخوف التي تعتري الفلسطينيين في المطارات العربية والغربية، ويصور حالة البؤس التي ترتسم على ملامحهم نتيجة المعاملة السيئة التي يلقونها.

وهكذا يصل المرء إلى أن الفلسطيني في المنفى لم يعش حياة هادئة، كما يصل إلى أن الكاتب رسم صورة سلبية للأنظمة العربية في علاقتها بالفلسطيني الذي يعمل من أجل عودته إلى بلاده.

2_الواقع الفلسطيني تحت الاحتلال :

سأحاول، هنا، دراسة الموضوعات الوطنية التي ظهرت في نتاجه، من خلال التركيز على أهم القصص التي ركزت على هذا الجانب، وسأتناول الموضوعات التالية:

أ_التشبث بالأرض ومقاومة الاستيطان.

ب_قسوة الحياة وصعوبتها.

ج_موقف الفلسطيني من الاحتلال.

أ_التشبث بالأرض ومقاومة الاستيطان:

لقد دأبت الحكومة الصهيونية على ابتلاع الأرض الفلسطينية، فلم تكتف بما حققته من سيطرة كاملة على الأرض بل زادت شهيتها من أجل تنفيذ مشروعها الصهيوني الهادف إلى إفراغ الأرض والسيطرة عليها كليا، تحقيقا لمقولتها :

(أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، ولقد تجلى ذلك من خلال خلق سلسلة من الوقائع على الأرض الفلسطينية المحتلة، تتمثل في تكريس الاستيطان بهدف السيطرة الإسرائيلية على الأرض، ومن ثم خلق بؤر ومناطق استيطانية تمنع إقامة أية وحدة أو رابطة جغرافية فلسطينية متصلة يمكن أن تشكل نواة لكيان مستقبلي يمكن أن يصبح دولة.

ولقد تعددت الوسائل والسبل في سبيل تحقيق ذلك عبر الحكومات المتعددة للكيان الصهيوني، ومن هنا انعكس هذا الهم داخل الأدب الفلسطيني.بحيث نجد أكثر القاصين الفلسطينيين قد تنبهوا إلى هذا الخطر الداهم ووسائله وأهدافه، وبالتالي كرسوا أهمية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاصة لضرورة أخذ الحيطة والحذر، وفضح هذه الأساليب والصمود في وجه هذه الأهداف من خلال المقاومة الواعية. ([1])

ولقد عبر أكرم هنية في مجموعاته القصصية عن هذا، ونبه إلى خطر الاستيطان، وضرورة التصدي له، ولقد تجلى ذلك في كثير من قصصه بحيث استأثر موضوع الاستيطان على خمس قصص، إضافة إلى ظهوره في قصص أخرى كانت تتمحور حول موضوعات أخرى.

وتعد قصتا "القرار "و"مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما"، الأبرز في تناول موضوع الاستيطان.وإن كان الكاتب أتى قبل هاتين القصتين، على هذا الموضوع في قصة "تلك القرية..ذلك الصباح"، وهي قصة فكرة، بناها على حدث متخيل، مزج فيها الخيالي بالواقعي، يصحو أبو محمود القاسمي_ الشخصية الرئيسة في القصة_ بعد مضي عشرين عاما على وفاته، على أثر الإزعاج الذي سببته له الجرافات الإسرائيلية التي كانت تجرف أرض مقبرة القرية، وتجتاح شواهد القبور وعظام الموتى من أجل إقامة مستوطنة على أنقاضها، يحرسها الجنود والحاكم العسكري ورجال(غوش امونيم)، حيث أدى ذلك إلى تعطل الحياة اليومية في قريته، "وأحالوا القرية إلى صمت أشبه بصمت المقابر ".([2]) ويحتج أبو محمود القاسمي على مثل هذه الأعمال الوحشية، ويتوجه إليهم بنبرة خطاب غاضبة :

"– لماذا تجرفون المقبرة ؟ هذا حرام.

- إنها أرضنا.
- أرضكم ؟ ...إن كل أجدادي مدفونون هنا.
- إنها أرضنا وسنبني مستوطنة عليها."([3])

ورغم هذا الاحتجاج إلا أن أبا محمود القاسمي –حاله في ذلك حال معظم الفلسطينيين الذين يقفون في وجه سياسة الاستيطان –يقبض عليه، ويبعد إلى الأردن، لكنه يأبى ذلك " ثم

---

[1] –ينظر : حرب، أحمد، "قصص قصيرة من الوطن المحتل "، الفجر الأدبي، ع23، السنة الثانية، (آب_1982)، ص88_102.حيث درس الكاتب المجموعة القصصية المشتركة الثانية والتي تحتوي على نماذج من أعمال أكثر القاصين شيوعا في الأراضي المحتلة، ووجد أن موضوع الأرض والاستحواذ عليها، وموضوع الاستيطان هما السمة البارزة في موضوعات القصة القصيرة الفلسطينية، وان جميع القصص التي تناولها تلتقي حول هدف واحد، وهو حب الفلسطيني_ لأرضه وتمسكه بها في ظل انتشار الاستيطان وخطر المصادرة، ولاحظ كذلك التشابه والتكرار في هذه المضامين.

[2] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص142.

[3] _السابق، ص142.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألقى بنفسه نحو البحر. بعد لحظات ...كانت مياه النهر المقدس تحمل جسد أبو محمود القاسم معها وهي تتدفق بقوة وحياة لتصب في البحر الميت ". ([1])

ونجد القاص قد وظف اللامعقول لخدمة فكرته فالأموات يحتجون على ما يجري وكأن القاص يقول :إن ما يجري لا يحتمله الأموات فكيف يحتمله الأحياء ؟كما أن المكان الذي وقع عليه الاعتداء، هو المقبرة وشواهد القبور وعظام الموتى، وكأن الكاتب يريد أن يقول إن الأموات لم يسلموا مما يجري، ولعله يرمي إلى إيقاظ الوازع الديني والوطني لدى المتلقي، من خلال التركيز على ما هو مقدس، لعل ذلك يدفع المواطن إلى مقاومة العدو والتصدي للاستيطان.

أما القصة الأبرز في هذا المجال، فهي قصة " القرار "، وهي قصة فكرة، يرى نبيل علقم" أن هذه القصة هي وليدة المعركة الشعبية التي خاضتها مدينة نابلس وجماهير الأرض العربية المحتلة حول ايلون موريه وحققت فيها وحدتها وثباتها ".([2])

يسرد القاص نبوءة عراف نابلسي نصّها أن "نار جهنم ستتساقط على كل المدن ...من فوق ذلك الجبل في القدس ستنفجر الحمم تحرق الأرض والزرع والضرع وكل شيء... إنها النهاية...ستأتي في الجمعة الأخيرة من الشهر القادم".([3]) ولكن هذه النبوءة تخلق الحيرة والبلبلة لدى السكان الذين ينقسمون بين مصدق ومكذب، وأخيرا تصدق نبوءة العراف، فتعقد الهيئات والمؤسسات الوطنية اجتماعات مختلفة لمجابهة هذه الخلايا السرطانية، وتسهم في ذلك أيضا الصحف والمثقفون، في محاولة لدرء هذا الخطر الداهم الذي يجتاح المنطقة.

ويعري السارد الدعايات الصهيونية التي أخذت تروج بان "ما سيحدث ليس جديدا أو غريبا بل هو مستمر الحدوث منذ وقت طويل ولكن بصورة بسيطة وفي مناطق مهجورة ...كما أن هذه السوائل ستساعد على إخصاب التربة ".([4]) وهذا يتطابق مع ما سعت له الحكومة ا لاسرائيليةمن أجل تمرير سياسة الاستيطان من خلال الدعاية الصهيونية القائلة إن المستوطنات تقام في المناطق المهجورة وغير الآهلة بالسكان.

كما كشف السارد عن طبيعة الأماكن المهددة بالمصادرة، وحجم المناطق المعرضة لها، وضرر هذه المستوطنات على الضفة الغربية حيث تمنع أي تواصل جغرافي بين المناطق المحتلة في المستقبل، وقدم ذلك من خلال اتكائه في القصة على دراسة بعض الخبراء

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص144.

[2] _ينظر :مقالته"هزيمة الشاطر حسن انتصار للقضية العامة"، في كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص94.

[3] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص90.

[4] _السابق، ص92 /93.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لحجم الأضرار الناجمة ؛" أنه بمراجعة لبعض الدراسات والأرقام الإسرائيلية حول الموضوع وجد أن حجم الانفجار سيكون كبيرا للغاية وسيؤثر على جميع مناطق الضفة، وان بعض هذه المناطق الجبلية المرتفعة تبدو كجزر صغيرة وسط محيط من الإمدادات[التمددات] السرطانية لهذه المواد المتنوعة ".([1])

ويسرد القاص ردود الأفعال الفلسطينية حول قضية الاستيطان، من خلال عرض رؤى عدد من الشرائح الاجتماعية داخل الأرض المحتلة ؛فهذا كاتب صحفي، يكتب في مقال له محذرا من هذا الخطر وأبعاده المستقبلية " إن ما يحدث قد يشكل كارثة للشعب الفلسطيني تكون أسوا من كارثة 1948، وأشار إلى أن الخروج من الوطن في ذلك العام كان الهزيمة الكبرى التي أضرت ولسنوات طويلة وستبقى تضر بإمكانات العمل الوطني، وأشار هذا الكاتب انه قاتل مع الشيخ عز الدين القسام ومع عبد القادر الحسيني وانه يشعر بالرعب لمجرد تصور هجرة من الضفة الغربية ".([2])

أما ردود الأفعال المحلية لدى سكان الضفة، فقد بيّنها الراوي من خلال نقل عدد من الشرائح الاجتماعية وتعليقاتهم بمختلف اتجاهاتهم وموقعهم من الإعلاميين ورؤساء البلديات والمؤسسات والنقابات والاتحادات وأساتذة الجامعات، رغم أن الراوي قد وضح من خلال البداية عدم وضوح الرؤية وعدم جدية الموقف الذي اتخذته المؤسسات الوطنية في التعامل مع هذا الواقع، وبدا ذلك واضحا من خلال البيانات وافتتاحيات الصحف التي لم تستطع عمل أي شيء في مجابهة هذا الواقع " سوى دعوة المواطنين للصبر والصمود."([3]) كما أن السياسي المخضرم رغم تحذيره من هذه الكارثة وتاريخه النضالي الطويل المتصل بالقسام والحسيني كان عاجزا أيضا في مقاله " عن تقديم سوى الشعارات المعتادة ". ([4]) إلا أن هذه المؤسسات والشخصيات، في النهاية، توصلت إلى رؤية مشتركة لكيفية المواجهة.

نقد السارد بعض المواقف الانتهازية غير المسؤولة، و صور الرعب الذي سيطر على نفوس الشخصيات النفعية الأنانية التي ليس لها هم سوى مصالحها الذاتية، وخاصة فئة التجار وبعض الشرائح الأخرى التي فضلت "السفر لعمان أو للخليج أو لأوروبا انتظارا لما يحدث".([5]) ورأى أفراد هذه الفئة، في هذه المصيبة غنيمة لاحتكار السلع والعمل،

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص94.

[2] _ السابق، ص95.

[3] _ السابق، ص95.

[4] _السابق، ص95.

[5] _السابق، ص96.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كسماسرة واقترحوا نقل المسجد الأقصى وقبة الصخرة وكنيسة القيامة إلى مكان آمن وتعاملوا مع الموقف كأمر واقع.

وهنية في هذه القصة عرض رؤية معظم شرائح المجتمع الفلسطيني للتعامل مع موضوع الاستيطان ولجأ إلى التهكم والسخرية في عرض مواقف بعض الفئات؛ لقد أراد من هذه الشخصيات أن تترجم أقوالها إلى أفعال، و أن تكون أكثر وعيا ومسؤولية اتجاه ما يجري من أحداث ؛بهدف بلورة رؤية واحدة لمقاومة خطر الاستيطان والتصدي له، والخروج بقرار واحد هو "المواجهة".

ولعل التطور في الرؤيا، بدا هنا أكثر وضوحا منه في القصة السابقة، ، ففي حين رأينا الأموات يبعثون من قبورهم ويحتجون احتجاجات فردية غير فاعلة، ويكتفون باسترجاع الماضي المفعم بالبطولات نجد الفعل الإيجابي لا يتطور إلى قرار للفعل إلا من خلال الرؤيا الشعبية والجماهيرية التي بدت في القصة الثانية أكثر وضوحا ، من خلال النهج العام الذي بدا، وكأن الضفة كلها تفكر بطريقة واحدة، تواجه فيه الواقع ولا تبكي، على الذكرى.

ومن القصص التي تناول فيها الكاتب موضوع الاستيطان فهي قصة "مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما" حيث دعا الكاتب إلى ضرورة التمسك بالأرض وعدم الرحيل عنها، ويعد هذا شكلا من أشكال المقاومة. والقصة هي قصة فكرة، بناها الكاتب على حدث غريب وغير معقول.وتتلخص القصة برفض الأجنة الخروج من بطون أمهاتهم بسب هجرة آبائهم، لهذا تفشل قابلتا القرية في مساعدة إحدى الأمهات في الولادة، ويعقد أهالي القرية اجتماعا لمناقشة هذا الأمر الجلل الذي يواجه المنطقة، ويقدمون أفكارهم لمعرفة أسباب هذه المعضلة، إذ يلاحظون أن معظم الأمهات اللواتي لم ينجبن في القرية والمدينة المجاورة من نسوة أزواجهن يعملون خارج الوطن؛ لهذا يوجهون لهم نداء هاما: "عودوا".([1])

وتأتي هذه القصة على فكرة هجرة بعض الفلسطينيين إلى دول الخليج وأمريكا، من أجل الكسب المادي، بسب صعوبة الحياة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد سهل الاحتلال الطريق أمام من يود الهجرة من أجل تفريغ الأرض، وهذا ما أفصح عنه السارد في القصة من خلال عرض آراء أهل القرية، وقد ناقشت القصة أسباب الهجرة ومخاطرها، من خلال الحدث الرئيس، وبدا ذلك من خلال عرض وجهات نظر الشخصيات، فهذا شاب متحمس علق على أسباب رفض الأجنة الخروج بقوله:"إن رفض الأجنة الخروج إلى هذا العالم يبدو منطقيا وحكيما، فلماذا يولدون في عالم لم نوفر لهم فيه ظروف الحياة الحرة الكريمة؟". ([2])

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص106.

[2] -السابق، ص106

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين رأى شاب آخر أن هذا يهددنا بالانقراض تساءل:"وهل هناك شيء أخطر من انقطاع نسلنا".([1]) و رأت أم محمد : "أن الحياة أصبحت لا تطاق.وانه لم يعد هناك خيرفي الدنيا فالحقول مهجورة وتملؤها الأشواك والأشجار لا يعتني بها أحد، فلماذا نستغرب ما حدث للنساء؟"([2])

وأم محمد هنا تربط بين الأرض والمرأة، فكلاهما مصدر عطاء وبحاجة إلى رعاية؛الأرض بحاجة إلى من يعمل بها ويعمرها، والمرأة بحاجة إلى رجلها يقف إلى جانبها وجانب أولادها يتعهدهم بالرعاية.

أما أم إسماعيل والدة السجين، فقد كانت أكثر وعيا لما يدور حولها فقد قصت ما شاهدته، لقد شاهدت حركة "نشطة في المستوطنة فوق التل...كانت بضع سيارات شاحنة تنزل المزيد من البيوت الجاهزة لتركيبها هناك...." ([3])كما أنها من خلال (المونولوج) نقدت واقع أهل القرية الذين تركوا العمل بالأرض، واسترجعت واقع ارتباط الفلسطينيين بالأرض بين الماضي والحاضر، في الزمن الأول كانت الحقول تعج بالحياة "لكن الناس اليوم أما في الخليج أو أمريكا، فكيف لا تموت الحقول ويملؤها الشوك، "في أيام الخير ...لم يكن عقارب". ([4])

وتكون رؤية ابنها الرؤية الصائبة، لقد استطاع أن يتوصل مع أهل القرية للحل الأمثل، من خلال اقتراحه الذي تبناه أعضاء اللجنة، وهو اقتراح يدعو إلى دعوة الأباء للعودة إلى ديارهم.

وهكذا نجد الكاتب يركز على أهمية الثبات في الأرض، والتشبث بها كوسيلة من وسائل المقاومة؛ لإحباط مخططات العدو في الاستيلاء على الأرض وإفراغ سكانها منها.

ويعود القاص، في قصص لاحقة، ليكتب عن الموضوع نفسه.يبدو ذلك واضحا في قصة "قصة يوم قتل إبراهيم الأقرع".في هذه القصة أشار إلى أساليب الاحتلال في الاستيلاء على الأراضي الزراعية لقرية بديا. هنا يعري القاص الادعاءات الإسرائيلية الإعلامية التي تقول إن إسرائيل لا تعتدي على الأراضي الخاصة للسكان المحليين، وأن المستوطنات تنشأ في الأراضي (الميرية) والحكومية التي لا تعود ملكيتها لأفراد.فإبراهيم الأقرع "مواطن فلسطيني قتل في قرية بديا في منطقة نابلس في الثاني من أيار لعام 1983 برصاص حرس الحدود

---

[1] – هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص105.

[2] –السابق، ص106.

[3] – السابق، ص103

[4] –السابق، ص105

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسرائيلي، عندما كان يحاول منع جرافات المستوطنين من العمل في أرضه. وعلى الرغم من أن الأقرع يمتلك كل الوثائق والإثباتات والأدلة التي تثبت حقه في أرضه وحق جموع الفلاحين، ويتضح ذلك من خلال نبرة الخطاب حين سئل عن الأوراق التي بحوزته التي تثبت ملكيته وجموع الفلاحين، أجاب أحدهم : " احنا موجودين فوق الأرض قبل ما ينخلق الطابو."([1]) إلا أن الإجراءات الصهيونية كانت أعتى من ذلك؛ لذلك يقرر الوقوف في وجه الجرافة التي تجرف أرضه؛ لانه كان" يشعر في تلك اللحظة بالذات إنما تمزقه هو. وان قصة حب طويلة بينه وبين أرضه يتم اغتيالها.وانه فقد مبرر وجوده وحياته ". ([2])

أما قصة" شمال شرق دير اللطرون"، ففيها إشارة إلى الطرق التي اتبعها الاحتلال في الاستيلاء على الأرض بالقوة وتهجير أهلها، ومدى الضرر النفسي والمادي الذي ألحقه العدو بهم، إضافة إلى التأكيد على أحقية ملكية الفلسطيني لهذه الأرض التي اغتصبت منه بالقوة، وتحت تهديد السلاح من أجل إقامة المستوطنات على أنقاضها، وقد أتى القاص على ذكر هذه المنطقة في مجموعته "أسرار الدوري"، وهذا المكان في كلتا القصتين كان يوقظ في نفس السارد وجود الآخر الصهيوني غير الشرعي، وذكرى تدمير القرى الفلسطينية المجاورة له، وهي قرى: يالو وعمواس وبيت نوبا.ولا ننسى أن القاص قريب في مكان إقامته من هذه القرى المدمرة التي بعثت في نفسه ذكريات الماضي، حاله بذلك حال كل فلسطيني طرد من أرضه، ودمرت قريته، ويشعر بأحقيته في هذه الأرض.

وأفرد الكاتب بعض النماذج المقاومة والصامدة على أرضها الرافضة لسياسة الاستيطان، ومن هذه النماذج أبو كمال في قصة "ظهيرة يوم رجل حزين".لقد قرر في نفسه مقاطعة العمل في المستوطنات الإسرائيلية.وقدم القاص أيضا نماذج مفرطة بأرضها، مثل المختار في قصة "وقت وشموس كثيرة"، وبائع الأرض لليهود من اجل إقامة المستوطنات عليها في قصة"كل شيء وهذه النظرة بالذات".

ويبقى موضوع الأرض والتشبث بها والدفاع عنها هاجس الكاتب، ويعود الكاتب ليبرزه من جديد في قصصه التي كتبها إبان انتفاضة الأقصى. يستشهد بطل قصة "سحر الحب " على أيدي الجنود الإسرائيليين لاحتجاجه على سياسة الاستيطان، ويستشهد أيضا سارد قصة "بوح سريري "دفاعا عن أرضه.

---

[1] ـــ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص12.

[2] _السابق، ص13.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن خلال عرضنا السابق لأبرز القصص التي تناولت هذا الموضوع نلحظ أن القاص مرر رؤيته الخاصة وموقفه مما يجري على الأرض، ودعا إلى ضرورة التشبث بالأرض كوسيلة من وسائل النضال الوطني في وجه التهديدات التي تطالها.

ب_قسوة الحياة وصعوبتها وتعثرها:

لم يعش الفلسطيني حياة وادعة تحت الاحتلال منذ أن وطأت قدماه الأرض الفلسطينية، بل عمل عبر مؤسساته، على قهر الفلسطيني والنيل من إرادته في مختلف المجالات، واتبع طرقا شتى في تنغيص حياة الفلسطينيين، وبدا الإنسان الفلسطيني مستهدفا كما هي الأرض، من أجل كسر عزيمته ومحاولة ثنيه عن حقوقه الوطنية، لهذا ابتدع الإسرائيليون طرقا شتى لتنغيص حياة الفلسطينيين بحكم سيطرتهم على مجمل موارد الحياة ومصادرها.

وأكثر قصص الكاتب تمحورت حول هذا الجانب.لهذا سأختار أبرز القصص التي عكست هذا الواقع :وهي:"بعد الحصار...قبل الشمس بقليل"، و "لماذا لم اذهب لمقابلة صديقتي ؟"، و"عندما أضيء ليل القدس" و"يوم قتل إبراهيم الأقرع".

في قصص المرحلة الأولى، بدا الواقع الفلسطيني تحت الاحتلال سلبيا، عاش الإنسان الفلسطيني حياة اغتراب على أرضه، وشعر بصعوبة الحياة ومرارتها وقسوتها بسب حالة الحصار والمطاردة والاستيلاء على الأرض ومحاولة طمس وجوده ومعالم حضارته.وبدت هذه الهجمة أشد ما تكون على مدينة القدس وضواحيها ؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الإسرائيليين يرون أن لهم حقوقا دينية وتاريخية في هذه المدينة، ولهذا كرسوا تواجدهم فيها، وقاموا بضمها إلى دولتهم، بعكس بقية المدن الفلسطينية المحتلة عام 1967، ومن أجل إضفاء الطابع اليهودي عليها أخذوا يضيقون الخناق على أهلها بكل الوسائل.فلا غرو أن تحتل القدس مكانة رائدة في نتاج الكاتب في تلك الفترة، وهذا ما يبدو في قصة "بعد الحصار ...قبل الشمس بقليل "التي تفصح عن حال سكان القدس تحت الاحتلال، وحالة الحصار التي يعيشونها على الصعد كافة، وهي قصة فكرة، بناها الكاتب على حدث متخيل، هو استيقاظ أهل القدس، ذات صباح ليجدوا الصخرة سرقت، يختار القاص أربعة فلسطينيين هم :آمنة والحاج أبو فؤاد وأبو مازن وسليمان، وهؤلاء الأربعة ينتمون للفئات الشعبية، ويعبر الكاتب عن مواقفهم من سياسة التهويد، وحالة الحصار التي يعيشونها ويظهر ردود أفعالهم إزاء اختفاء الصخرة.

فآمنة ذات الأصول القروية لم تعد الحياة لها كما كانت من قبل، إذ كانت القدس يوم اصطحبها والدها إليها، وهي صغيرة، تمثل لها لحظة فرح وسعادة، أما الآن فتمثل لها لحظة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤلمة. إنها تقاسي صعوبة الحياة، حيث أصبحت عاملة تجلب التين والعنب والبندورة لتبيعها في أسواق القدس، من أجل إعالة طفليها، ولتحل محل زوجها الذي اعتقلته قوات الاحتلال بتهمة إعداد قنبلة.

أما الحاج أبو فؤاد الذي لم ينقطع عن زيارة الأقصى والصلاة فيه، فلم يصدق ما حدث، وانسكبت الدموع من عينيه على الماضي التليد الذي عاشه بجوار الحرم، و "يحس كأن جذوره اقتلعت، وانقطعت صلته بأشياء كثيرة ...يذكر ليالي رمضان وليلة القدر وصلوات العيد...".([1]) أما أبو مازن صاحب البسطة في شارع صلاح الدين، فلم يستطع إحضار الجرائد والمجلات والكتب من المطبعة، كما هو ديدنه في كل صباح، واغرورقت عيناه بالدموع؛ لأن هذا الصباح "يختلف عن شكله المعتاد وسيضطر لتغيير طقوسه، وشعر بالغربة منذ أن وطأت أقدام الغزاة أرض القدس ".([2])

أما سليمان الذي لم يصلِّ طوال حياته إلا مرة واحدة ....، وكان يزور المكان في المناسبات والأعياد مع أصدقائه، فشعر أن جزءا من ماضيه اندثر، وأن الحياة أصبحت لا تطاق، ويتذكر كذلك حالة الاغتراب التي عاشها تحت الاحتلال والصعوبات الاقتصادية الجمة التي وقفت في طريقه وحالت دون إكمال مشواره التعليمي ؛مما دفعه إلى العمل في المصانع الإسرائيلية، حتى انتهى به الأمر إلى الفرن الذي يمتلكه أحد أقاربه ليعمل فيه، وبقي دون زواج بسب سوء حالته الاقتصادية التي حالت دون زواجه، ولهذا فكر في الهجرة أكثر من مرة، لكن تعلقه ببلده حال دون ذلك.([3])

ويلمس المرء بعد الانتهاء من قراءة القصة الواقع المزري الذي يعيشه أهل القدس، وحالة الاغتراب والقهر والخوف في ظل هذا الواقع، وتبدو الهجمة شرسة على الإنسان والمكان، فالإنسان يشعر بحالة اغتراب، فلا غرو أن تسترجع كل شخصية من الشخصيات الأربعة ماضيها حيث الأمان والاطمئنان والسعادة ورغد العيش، لتقارنه بحالها في الحاضر الذي يحمل كل مقومات البؤس والشقاء والضنك، أما المكان، فقد بدا يتعرض هو الآخر لحملة مسعورة من خلال الاستيلاء علىالمقدسات. وسرقة المسجد الأقصى وقبة الصخرة يحمل دلالات متعددة، منها السيطرة الإسرائيلية على المكان والمحاولات المتكررة لإحراق المسجد الأقصى وتقويضه، وسياسة التهويد التي تنتهجها بحق المدينة، من اجل مسح

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص157/156.

[2] - هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، 157.

[3] _السابق، ص158.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معالمها العربية والإسلامية، وإضفاء الطابع اليهودي عليها، لما تمثله من قدسية في نفوس العرب والمسلمين قاطبة.

وهكذا نقل الكاتب واقع الحصار وانعكاسه على أبناء القدس، وقد لاحظ بعض الدارسين سلبية النماذج التي قدمها الكاتب([1])، فهي لم تقم بعمل شيء من أجل الدفاع عن المسجد الأقصى، واكتفت بتذكر ماضيها، ولم تعمل من أجل حاضرها.وأرى أن هذه النماذج وإن لم تقم بفعل إيجابي من أجل الوقوف أمام سياسة التهويد، إلا أن صمودها وانتباهها لما حدث في وقت واحد، ومن أماكن مختلفة لحادثة سرقة قبة الصخرة، وصياحها معا "يا ناس الصخرة انسرقت"..."يا ناس الصخرة راحت ".يعبر عن صدق مشاعرها وارتباطها بأرضها ورفضها لسياسة الاستيطان وسرقة المقدسات وتهويد المدينة، وهذه النماذج البشرية العادية المختلفة تجمعت أفئدتها وأصواتها في بوتقة واحدة، لقد احتجت على سياسة التهويد ولم تقبل بالأمر الواقع ولو قلبيا.

وحاول الكاتب في قصة "عندما أضيء ليل القدس " أن يلخص الهم الفلسطيني تحت الاحتلال وقسوة الحياة التي يعيشها الفلسطينيون، عبر امتداد نضالهم الطويل. وقسم الكاتب قصته إلى أقسام أدرج كل قسم تحت عنوان فرعي:المؤلف، الطفل، الفتاة، الرجل، رجل الضوء، ثم كرر العناوين نفسها بالترتيب، وانتهى بالمؤلف.وهي أقرب إلى القصص التي تتعدد فيها الأصوات ووجهات النظر، يعكس كل شخص وجهة نظره وعلاقته برجل الضوء، ليكون الأخير البؤرة والمحور الذي تدور حوله الأحداث. والقصة رمزية بناها الكاتب على حدث متخيل، تجسد في شخصية رجل الضوء الذي ظهر فجأة في إحدى ليالي شهر رمضان على أسوار مدينة القدس، ورأى فيه كل فلسطيني شخصيته ومبتغاه وأحلامه.

فالطفل الذي كان أول من تنبه لوجود رجل الضوء، رأى فيه صورة أبيه الغائب منذ سنوات. أما الفتاة، فرأت فيه حبيبها الذي تنتظره منذ سنوات، في حين رأى فيه الرجل رفيق عمره وصديقه الذي كان يقاتل في لبنان دفاعا عن المخيم، وشيع انه استشهد ورفاقه هناك، ولم يره منذ ذلك اليوم، لكنه كان متأكدا انه لم يمت.

أما الفئات الشعبية الأخرى التي شاهدته فجأة، وكانت تعاني من الفقد والهم والحزن فقد تعددت وجهات نظرها فيه :

"هتف رجل انه ابني الذي قتله اليهود.

وصرخت امرأة كان يحيط بها أطفالها :انه ابني الذي استشهد في لبنان.

وهتف رجل ...:انه المهدي المنتظر.

---

[1] _ينظر : ما كتبه السواحري، خليل ص38، و العلم، إبراهيم ص34 ، من كتاب الدخول إلى حبر الروح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقالت عجوز :انه ابني التائه في المنفى.

وقال شاب ...:انه شقيقي المعتقل في السجن.

وتقدم طفل للإمام وسط الجموع :انه أبى الغائب في السجن.

وقالت امرأة وهي ترسم علامة الصليب :يا عذراء.انه يسوع.يسوع يا مخلصي.وارتعش جسد فتاة...:انه حبيبي.اعرفه.انه فارسي ...انتظرته طويلا ها قد أتى.ها قد أتى.([1])

واستفاد الكاتب في بناء شخصية رجل الضوء من فكرة الحلول، فروحه تحل في غيره ممن يأتون بعده، وهذا ما تفصح عنه القصة يقول الرجل: :"ولدت مرات عديدة، ومت مرات عديدة، وقتلت مرات عديدة على يد الأعداء، والأشقاء.لي قبر يضمني في عمان، وآخر في الشام وآخر في بيروت، وقبر آخر في الجنوب و..."، ([2]) وأيضا : "لست ملاكا ولست شيطانا.أنا انتم. وانبعثت عندما كنتم تصنعون مهرجان الألوان في هذا الليل الطويل....ولدت عندما رأيتموني أضيء القدس.لكنها لم تكن حياتي الأولى.عشت قبلها حيوات كثيرة في عصور أخرى".([3])

ولكن من هو رجل الضوء هذا ؟ وماذا يمثل؟ وكيف انبثق ؟ولماذا ؟ إنه رجل عاش في مدينة القدس وشرد منها، وله عائلة وأطفال وحبيبة وأصدقاء وذكريات، وهو المزارع الكنعاني الذي غرس أول شتلة في هذه الأرض، والجندي المحارب الذي حارب الغزوات، والعامل الذي حمل الأحجار لبناء سور القدس، وهو الفلاح الأول الذي ألقى أول حجر على أول سفينة أغراب حطت على شاطئنا عام 1882م، إذن هو ليس إنسانا عاديا، بل يمثل الوجود الفلسطيني والجرح الفلسطيني والألم الفلسطيني والنضال الفلسطيني عبر امتداد التاريخ، ويمثل نقطة التجمع للرؤية والأمل والحلم الفلسطيني كله .

أما أسباب ميلاده في تلك اللحظة بالذات، فتعود إلى اجتماع كثير من الفلسطينيين، من المناطق الفلسطينية كافة، في مدينة القدس، ومن بين آلامهم وفرحهم، من تلك الروح المشتعلة في نفوسهم التي ترتبط بالمكان وتبحث عن الحياة لتعيد للذاكرة عنفوانها، وجاء ليشاركهم الفرحة إلا أنها لم تكتمل، أطلق حرس الحدود النار عليه لأنهم يكرهون النور، فأصابوه وهكذا عرقل الجنود صفو اللقاء، وقضوا على أحلام الجميع، لكن روحه وتعاليمه تحل فيهم ؛ لهذا نجد الطفل والرجل والفتاة، في نهاية القصة، يقفون مكانه، جنبا إلى جنب بعد أن اختفى، وهم يمسكون بقطعة قماش ويرفعونها رويدا رويدا إلى أعلى.... وكان العلم

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص43/42.

[2] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص46.

[3] _السابق، ص46.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرفرف عاليا".([1]) وهذا تأكيد على ولادة الثورة بعد القتل والملاحقة وتجددها وانبعاثها، فالفلسطيني أسطورة، يجدد مشواره النضالي وانبعاثه واستمراريته من بين ركام الموت.

وإذا كانت القصة لخصت قسوة الحياة من خلال المعالجة العامة لحياة الفلسطيني، عبر سني حياته، إلا أن الكاتب في قصة سابقة في المجموعة الثالثة، كان اكثر تحديدا ومباشرة في تصوير واقع القمع والملاحقة المخابراتية والسجن، بحق الفئات المناضلة، وهذه سياسة عايشها الفلسطينيون، وما زالوا يعايشونها، في محاولة للنيل من إرادتهم و كسر عزيمتهم، والقصة هي قصة" لماذا لم أذهب لمقابلة صديقتي؟ ".

واللافت في هذه القصة تقارب سلوك الإسرائيليين والعرب في ملاحقة الفلسطيني، وتوجيه التهمة نفسها إليه من الطرفين، وهي "أنت تكره السلطان وتقوم بالتحريض ضده "أنت متهم بالتحريض على السلطات"([2]).وكأن المصلحة المشتركة بين الطرفين هي قمع الفلسطيني.

لقد توقف أكرم هنية عن الكتابة القصصية خلال مرحلة الهدوء التي امتدت ما بين 1994 وأيلول2000، وعاد ليكتب في أثناء انتفاضة الأقصى، فما الذي كتبه في هذه المرحلة؟ لقد حاول الكاتب في قصة "سحر الحب " أن يلمس تغيرات حقيقية في عهد السلطة الجديدة على واقع السكان في الضفة الغربية وقطاع غزة، بعد انحسار علاقة العداء بين الشعبين.يسرد القصة أستاذ جامعي يحاول التفكير بكتابة قصة أو رواية، وهو في طريقه إلى مدينة بيرزيت، بعنوان "سحر الحب"، "قصة لا سجون فيها ولا مناضلين ولا احتلال ولا شهداء، قصة تؤنسن الإنسان الفلسطيني "([3])، ويختار أسماء لشخصيات القصة التي كان أبطالها من الجيل الجديد.إنهما شخصيتان تنغمسان في الحياة الجديدة، ويرسم السارد ملامحهما، ولكن ما أن يبدأ بكتابة القصة حتى تبدأ المواجهات بين الفلسطينيين والإسرائيليين من جديد، ويصاب بطل القصة "غسان" برصاصة تودي بحياته؛ وذلك لمشاركته في مظاهرة احتجاج ضد سياسة الاستيطان الإسرائيلية، وهكذا يعبر الكاتب عن خيبة أمله من موقف الإسرائيلي الذي لم يتحول بفعل عملية السلام، والذي ما زال يحول بين الفلسطيني وطموحاته وآماله في عيش حياته الخاصة. يفشل السارد في وضع نهاية سعيدة لقصته التي طالما حلم بأن تكون نهايتها سعيدة.

وتعكس قصة "بوح سريري" صورة الواقع في انتفاضة الأقصى، من خلال المواجهات اليومية التي تدور رحاها في المدن والقرى الفلسطينية.إنها تفصح عن حالة العداء والكراهية

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص49.

[2] _ السابق، ص62.

[3] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص10.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي يكنها الإسرائيلي للفلسطينيين، وتصور الرغبة الجامحة بإلحاق الموت والدمار والحصار التي يحملها الأول للثاني.

وبذلك يخلص المرء إلى أن حالة التقارب بين الطرفين لم تؤت أكلها في الواقع الجديد، ويكون الماضي والحاضر سيان، إن لم يكن الحاضر أشد قسوة وتعثرا في حياة الفلسطيني، بسب إجراءات الإسرائيلي.

وهذه الفكرة يمكن استخلاصها من خلال نظرة فاحصة في قصتين تتقاربان في البناء والفكرة وهما قصتا :" يوم قتل إبراهيم الأقرع" في المجموعة الرابعة، و"يوم عادي"في "أسرار الدوري"، ويبدو ذلك من خلال تصوير يوم عادي لواقع سكان الضفة الغربية وقطاع غزة فيما قبل انتفاضة الأقصى في الأولى، وفي أثنائها في الثانية، وقد أتى القاص فيهما على حالة الرعب والخوف والقتل والدمار الذي يحياه الفلسطيني في الفترتين.ولكن كيف صور الكاتب الحياة في القصتين؟

في القصة الأولى"يوم قتل إبراهيم الأقرع"، يقص صحفي عن لحظة انطلاقه، في صبيحة أحد الأيام، نحو مدينة القدس، ويصف ما شاهده وسمعه " في ذلك اليوم هتف أطفال في باص لإحدى الروضات "فلسطين عربية "ورسموا بأصابعهم علامة النصر وهم يمرون قرب دورية لحرس الحدود، وكانت امرأة تحمل سلة زعتر وميرمية، وتبحث عن مكان آمن في باب العامود تعرض فيه بضاعتها وهي تتطلع حولها خوفا من مفتشي البلدية. وكانت امرأة تتوجه إلى محطة الباصات تتطلق لزيارة ابنها في المعتقل.وابلغ صراف كبير في نابلس عددا من الصرافين في مدن الضفة بارتفاع سعر الدينار، وشتم تاجر في شارع صلاح الدين في القدس الوطنيين لانهم دعوا قبل أيام لإضراب في ذروة الموسم السياحي وتوجه مختار إحدى القرى لبناية الحاكم العسكري في إحدى المدن لمقابلة ضابط القرى. واستيقظت طفلة فتلفت حولها وسألت عن شقيقها الذي ينام في الغرفة نفسها فقالت أمها بحزن"أخذوه"."([1])

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحدث الرئيس، وهو مقتل إبراهيم الأقرع الذي صُودِرت أرضه، فوقف في وجه الجرافة.

ويعود الصحفي ثانية لينقل صورة أخرى لواقع الناس، في ذلك اليوم، وهكذا يستمر في بناء فقرات القصة بالتناوب بين الحدثين حتى نهاية القصة.

---

[1] ــ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورأى بعض دارسي القصة أن القاص يريد أن يقول :"أن الحياة هنا، في الأراضي المحتلة تسير على هذه الشاكلة، والناس مشغولون بهمومهم، فمنهم من يبرز الذات ويهتم بها، ومنهم من يلغيها أمام الهم الوطني. " ([1]).

في قصة "يوم عادي" ، يستيقظ أنا السارد /الموظف في صبيحة أحد الأيام، وينطلق من قريته التي يسكن فيها إلى المدينة المجاورة، ويصف ما رآه وما شاهده في ذلك اليوم من أحداث في الضفة الغربية، ويتذكر تجربة الهنود الحمر، وقصة إبادتهم من البيض الأمريكان، دون أن يكون لذلك علاقة بالحدث الرئيس ؛أي أن القصة تسير في اتجاهين متقابلين:الاتجاه الأول، يقص السارد فيه عن رحلته من قريته نحو المدينة التي يعمل فيها، ويصور الأحداث التي عايشها في ذلك اليوم، من قصف وتدمير وقتل بحق الفلسطينيين، من الاحتلال، وينقل حركة الحياة في تلك المدينة.والاتجاه الثاني، يقدم فيه معلومات عن قدرة طائرة الأباتشي القتالية، وقصة إبادة شعب الأباتشي على يد الجنود البيض.

وهكذا نجد أن الأحداث تسير باتجاهين مختلفين ليس بينهما رابط، لكن الكاتب ترك للقارئ فسحة عقلية للربط بين التجربتين :التجربة الفلسطينية تحت الاحتلال وتجربة الهنود الحمر على أيدي الأمريكان ؛ ليجد أن التجربة الفلسطينية مع الاحتلال من قتل وتدمير و محاولة الإبادة الجماعية غير الإنسانية والعنصرية تشابه تجربة الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين على يد البيض، وكأن التاريخ يعيد نفسه، مع فارق بسيط هو اختلاف الزمان والمكان. ([2])

وبعد هذا العرض لقصص الكاتب يخلص المرء إلى أن الكاتب عبر عن خيبة أمله من موقف الإسرائيلي وإجراءاته ضد الإنسان الفلسطيني، ورأى أن حياة الفلسطيني، قبل عملية السلام وبعدها، لم يطرأ عليها تغير، بل إن ما قام به الاحتلال في المرحلة الثانية اشد وأعتى مما قام به في المرحلة الأولى، ضمن سياسة مبرمجة تهدف إلى تنغيص حياة الفلسطيني وكسر شوكته وعزيمته وبالتالية إبادته، وان هذه السياسة ستستمر في المستقبل، وظهر ذلك من خلال لجوء الكاتب إلى استخدام الفعل المضارع المقترن بالسين.

ج_موقف الفلسطيني من الاحتلال

أبرز القاص بعض النماذج الإيجابية الواقعية التي عايشها داخل الأرض المحتلة، أو تلك النماذج التي كان يتمنى وجودها، من خلال التركيز على الجوانب المضيئة في حياتها، لتكون نماذج إيجابية تحتذى، ولم ينسَ الوجه الآخر المعتم لبعض النماذج، فصورها كذلك؛

---

[1] ــ الأسطة ، عادل، "النص وصلته بالنصوص الأخرى"، ص99.

[2] _ السابق، ينظر: ما كتبه الأسطة، عادل حول القصة في دراسته "النص وصلته بالنصوص الأخرى، ص90.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للتنفير منها. وقد تراوحت هذه النماذج بين النماذج الذكرية والأنثوية، تمثل موقفا أو تتبنى فكرة ؛ لينقل صورة متكاملة لواقع الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، وما يتعرض له، وكانت القضية الوطنية وحب الأرض أو التفريط بها الإطار الذي يجمع هذه النماذج. لهذا، سأركز على النموذج المقاوم والنموذج السلبي والنموذج العادي.

1_ النموذج المقاوم:

كانت قضية الأرض، والدفاع عنها، من أبرز القضايا النضالية في المرحلة التي أنجـزت فيها مجموعات الكاتب ؛لذا نعثر على كثير من النماذج المدافعة عن هذه الأرض والمحتجة على مجمل الإجراءات الصهيونية بحقها.

وتعد قصص "أبو القاسم يشارك في النهوض الجماهيري" و"تحولات الرجل الثالث" و"بوح سريري" أبرز هذه القصص .

في قصة "أبو القاسم يشارك في النهوض الجماهيري "، تناول الكاتب نموذج المناضل المقاوم الرافض للاحتلال و أبرز أشكال المقاومة في الشارع الفلسطيني، ومنها النضـال السلبي مثل كتابة الشعارات ورفع الأعلام والدعوة إلى الإضراب.فأبو القاسم الإنسان البسيط الذي يعمل حارسا، يكلفه مدير المدرسة بإزالة الشعارات عن سور المدرسـة خوفـا مـن إغلاقها واعتقال الطلاب، فيشعر بالخزي، وحينما يكلفه مدير المدرسة بحراستها ليلا خوفـا من كتابة الشعارات على جدرانها، يتسلل ليلا، بعد يأسه من قدوم الطلاب، إلـى مخـزن المدرسة ؛ليستل فرشاة، ويكتب :"إضراب...الحرية للمعتقلين ...لا للاحتلال".([1]) وبذلك يدفعه حسه الوطني للمشاركة في مقارعة الاحتلال.

ويتناول الكاتب في قصة "تحولات الرجل الثالث"، سجينا فلسطينيا ويصور معاناته فـي ظروف لا إنسانية؛ حيث يتعرض للضرب والشتم، كما أنه يعاني من عدم السماح له بالنوم، ويلجأ الإسرائيليون إلى عزل أبناء المنطقة الواحدة والبلد الواحد عن بعضهم من أجل منـع التواصل بين السجناء و ويفرضون عليهم جواً من الإرهاب والضغط النفسي ويزرعون بينهم العملاء .ولعل السبب في تسمية الرجل الثالث بهذا الاسم يعود إلى رغبة الكاتب في عرض نموذج من قاع الهرم الاجتماعي ليخرج القارئ بحمولة دلالية، وبوصله إلى حالة الإعجاب والإدهاش للتغيرات التي طرأت على هذه الشخصية، من خلال المقارنة بين واقعهـا قبـل دخولها السجن، وواقعها بعد دخولها السجن والتحولات التي طرأت عليها.

---

[1] ــ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما صور الكفاح اليومي للجماهير الفلسطينية إبان انتفاضة الأقصى الأخيرة، فقد أبرز القاص نموذجين في قصتي: "بوح سريري " و"أسرار الدوري"، وإن كانت القصة الأخيرة تبرز واقع المناضل الفلسطيني ودوره إثر اتفاقات (أوسلو).

في "بوح سريري"، يأتي الكاتب على تسجيل الحيثيات اليومية لانتفاضة الأقصى، وصور المواجهات اليومية التي تدور رحاها في القرى والمدن الفلسطينية، حيث يقص أنا الشهيد قصة استشهاده، من لحظة انطلاقه في المظاهرة حتى بعد دفنه:من خلال تجمع الشبان وتوجههم نحو الحواجز، وصور الصحفيين والإعلاميين وسيارات الإسعاف، وما يدور بينهم من حديث. حتى يصل إلى الحاجز ليرى الجندي المدجج بالسلاح، ويفتش السارد عن أسباب الكراهية التي تعتمل في نفس الصهيوني دون التوصل إلى نتيجة، ثم يسرد أنا الشهيد كيف تم نقله إلى المشفى، وما شاهده، وما اعتمل في صدره من مشاعر حتى لحظة دفنه، و ينقل كلمات العهد والقسم في مقاومة الاحتلال والثأر لدمه.

وإذا كانت النماذج الإيجابية السابقة، قد أبرزت علاقة الفلسطيني بالصهيوني، فإن قصة "أسرار الدوري "تبرز النموذج الفلسطيني في زمن حكم السلطة الوطنية.بطل القصة "مهند" الفلسطيني، من سكان الضفة الغربية، الذي نظم في الخارج على يد أبى عزيز، قاوم الاحتلال تحت اسم حركي (الدوري)، وانقطعت صلته بالثورة بعد موت أبي عزيز، ويظل مهند يمارس عمله الثوري في الخفاء حتى قدوم السلطة الوطنية.

وأمام التباهي والتفاخر وقطف الإنجازات في هذه المرحلة الجديدة لمن شاركوا في النضال ضد الاحتلال، من أبناء الضفة الغربية وقطاع غزة، يشعر ابن مهند "علاء "بأن أباه لم يناضل، ولم يقدم شيئا، وذلك لأن أباه لم يسجن، ويتحسر على ذلك ؛لهذا وفي إحدى الليالي يسأل أباه :"أبي هل سبق أن اعتقلت؟ألم تكن عضوا في أي منظمة، ألم تكن فدائيا؟ ماذا كان دورك في النضال ضد الاحتلال ؟"([1])

لكن مهندا لم يقدم الإجابات الشافية، ولم يبح بسره لابنه. تثير هذه الأسئلة حفيظته لتأكيد دوره النضالي، فيقرر، بعد أن قرأ في إحدى الصحف إعلان تهنئة للعقيد "مجدي الصباحي"(أبي حسام) بالعودة إلى الوطن، وكان هذا يعرف عن صلة مهند بأبي عزيز، يقرر مهند السفر إلى غزة من أجل الحصول على ورقة تثبت نضاله وتعترف بدوره السابق. فيبدأ رحلته إلى غزة للقاء العقيد، ويظن العقيد أن مهندا قدم من أجل مخصصاته، أو من أجل وظيفة في السلطة، لكن مهندا يجيبه بأنه قانع في وظيفته، ولم يأت من أجل ذلك، و يكشف له، عن الأمانة التي بحوزته من السلاح الذي ما زال يحتفظ به حتى الآن، ويسأله عمّ

[1] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص82.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يفعل به "فيجيبه العقيد:أبقها حتى قدوم السلطة إلى رام الله، ويعود الدوري ظافرا بورقته التي تثبت نضاله ليظهرها أمام ولده علاء.

تحفل القصة بنقد بعض مسئولي السلطة، وتنقد بعض الفئات الانتهازية بعد قدوم السلطة الوطنية، ولكنها في الوقت نفسه، تبرز صورة إيجابية لبعض الفئات الأخرى، وتقدم رؤية هنية للمناضل وطبيعة النضال.

وقد ظهرت من خلال الإجابات التي قدمها الدوري لابنه:" علاء علمتك مرارا لا يشترط أن تكون قد اعتقلت أو تكون عضوا في منظمة كي تكون وطنيا ".فعلت الكثير صمدت فوق أرضي حملت كروم الزيتون التي ورثتها عن جدك، علمت أجيالا وغرست فيهم حب الوطن ربيت أولادي على أن يرفضوا الاحتلال وان يحبوا فلسطين ...ألا يكفي هذا ؟" ([1])وهكذا يبدو كل فلسطيني صمد على أرضه وأحب فلسطين وعمل من أجلها مناضلا، ولا يشترط أن يكون السجن أو الإصابة أو الوظيفة هي دلائل النضال، فبعض الناس عملوا في السر، ونجحوا في عملهم، وقدموا الكثير في الخفاء ولم يدرِ بهم أحد، وهم قصة نجاح كاملة في العمل الثوري.

لا تبرز قصص القاص النموذج المقاوم، بل تظهر أيضا النماذج التي تفصح عن موقف رافض للعمل في المستوطنات التي تقام في مناطق الاحتلال الثاني، وبخاصة منطقة القدس، وهو ما يبدو في قصة "ظهيرة يوم رجل حزين".وهنا نقرأ عن أبى كمال، الذي لا يجد عملا في بلده ؛ فتدفعه الحاجة للبحث عن عمل، ويقف في ساحة المصرارة في القدس، فينقله أحد المقاولين الإسرائيليين إلى العمل في إحدى المستوطنات القائمة حول مدينة القدس، فيشعر بالخزي والعار، ونقرأ ذلك من خلال الصراع النفسي الذي يدور في داخله، فهو يريد أن يعمل ولكنه لا يرغب في أن يكون عمله في المستوطنات، وتهبط دمعة من عينيه، ويقرر في نفسه "لن أعود إلى هنا غدا".([2])

وتظهر القصة السابقة الطريقة المهينة التي يعامل فيها العامل الفلسطيني والظروف القاسية التي يعاني منها، ويبرز فيها حس نقدي يتمثل في نقد العمال الفلسطينيين الذين لا يعون خطر العمل في المستوطنات، وهذا ما يفصح عنه أبو كمال حين يقول: " ستة أفواه تنتظر عودتي لتأكل هذا المساء"، ولكن إذا رفضت العمل..سيقبله غيري ".([3])

---

[1] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص82.

[2] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم أخر، ص34.

[3] _السابق، ص33.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعليه نجد الكاتب قد عرض لمعظم أشكال النضال اليومي للشعب الفلسطيني، وأبرز نماذجه الإيجابية ؛لتمرير رؤيته لبعض القضايا التي كانت تؤرقه، من خلال اختيار نماذجه من معظم فئات الشعب الفلسطيني عدا الطبقة البرجوازية التي لا نجد لها وجودا داخل نتاجه، وكانت النماذج الإيجابية، هي النماذج الطاغية في معظم نصوصه، وهي التي كانت تدير رحى الصراع مع الصهيوني.

2_النموذج السلبي:

تعرض المجتمع الفلسطيني لكثير من التغيرات التي هزت بنيته على جميع الأصعدة، ولا نستغرب كثيرا بأن يستطيع الاحتلال تحييد بعض الفئات الاجتماعية، واستغلال بعضها، من خلال سيطرته على جميع مصادر الحياة، التي تشكل عاملا ضاغطا على السكان المحليين، كما أنه دأب منذ احتل هذه الأرض، على محاولة استقطاب بعض الفئات الاجتماعية التي تعمل لصالحه، أو تمرر سياسته.أما بعض الفئات التي لم يستطع استقطابها، فقد عمد إلى محاولة تحييدها عن طريق تضييق الخناق عليها من خلال السجن والملاحقة؛ فآثر بعضها الفرار والهجرة أمام الضغوطات من أجل المكاسب المادية وحماية الذات، وهي بهذا كانت تؤدي خدمة مجانية للاحتلال من خلال إفراغ الأرض.

ولكن ألا يحق للمرء أن يتساءل عن المغزى من توظيف القاص مثل هذه الشخصيات السلبية ؟ ولعل السبب في ذلك يكمن في رغبة الكاتب التحذير منها وكشفها وتعريتها حتى تكون رادعا لمن يحاول أن يسلك سلوكها.

وأبرز القصص التي ظهرت فيها هذه النماذج هي قصتا "وقت وشموس كثيرة " و"كل شيء وهذه النظرة بالذات"، ولكننا لا نعدم معالجة هذا الموضوع في قصص سابقة وأخرى لاحقة.

في قصة "القرار" التي تناولت خطر الاستيطان وكيفية مواجهته نعثر على نموذجين سلبيين هما: فئة الصرافين وسائقي سيارات الأجرة.أما الفئة الأولى، فقد أخذ من ينتمون إليها ينقلون أموالهم إلى الخارج، وبدأوا يبيعون بيوتهم وأثاثهم استعدادا للرحيل لعمان أو دول الخليج أو لأوروبا خوفا من تضرر مصالحهم.أما الفئة الثانية، فقد استغل من ينتمون إليها الظرف السياسي من أجل فرض أجور باهظة على السكان الذين يخرجون من الوطن للبحث عن مكان آمن.

في قصة "وقائع التغريبة الثانية للهلالي "، نجد الفلسطيني ينكر أحد أبنائه الذين يعملون في دول الخليج ؛لأنه كان يؤثر المال والجاه والقصور على الوطن.أصبح الابن صديقا للزناتي ولشهبندر التجار وشيوخ القبائل. وتشيع في نفسه روح انهزامية، ويرى أن من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعجزة الصمود أو تحرير الوطن أو البقاء فيه أو النضال من أجله.

وإذا كانت النماذج السابقة يمكن العثور عليها من خلال الدور الثانوي لها في القصة، فإن قصتي "وقت وشموس كثيرة " و"كل شيء وهذه النظرة بالذات" هي الأبرز في تناول الشخصيات السلبية ؛لهذا سأقف عندها في الدراسة والتحليل.

٥٨٧٧٨٤

في قصة "وقت وشموس كثيرة "صورة حية لواقع المختار المتعاون الذي لا تهمه إلا مصالحه الذاتية، ويدرك الناس مثل هذه الحقيقة، فتحاول كل شخصية من الشخصيات إهانته، سواء بشكل فردي أو جماعي، فيصعد إلى (باص) البلدة ويشق طريقه وحده دون أن يقف أحد لإجلاسه مكانه أو في مكان ملائم، وقبل أن يصل إلى مقعده يهزأ منه سائق الباص، ويبدأ الهمز واللمز، فيشعر المختار بالإهانة والمرارة والخيبة في هذا الزمن الذي يعيش فيه، فيستذكر ماضيه، عندما كانت كلمة مختار لها رنين، أما اليوم، ففقدت الكلمة معناها وبريقها، وفقد صاحبها تلك الهيبة، كما أنه يستذكر مواطن الإهانة التي حاقت به من رجال القرية وشبابها ويسترجعها.يقارن بين هذا الزمن والزمن الماضي، وشتان بين الزمنيين.

ولكن كيف صور القاص هذه الشخصية ؟وما الأعمال التي كانت تقوم بها حتى استحقت مثل هذه الإهانة ؟شخصية المختار داخل القصة تقف في وجه كل ما هو وطني وتقدمي، فهو الذي ينقل أخبار القرية إلى سلطات الاحتلال، وهو العين الساهرة على أمن الاحتلال، و يقف في طريق التعليم، ويتخذ من مشاركة المرأة في الحياة وتنويرها موقفا معاديا، و يقف في وجه الطلائع الشبابية التي تقوم بأعمال تطوعية، مثل إصلاح الأرض وتعميرها؛والقاص يشير إلى ما كانت تقوم به الجامعات الفلسطينية من عمل تطوعي حيث كان على طلاب جامعة بيرزيت مثلا أن يقوموا بخدمة اجتماعية وطنية بقدر عدد الساعات المعتمدة ؛ولهذا كانت الجامعة تخصص أياما للعمل التطوعي من أجل مساندة الفلاحين والتواصل مع المجتمع المحلي، والقاص عمل في جامعة بير زيت، وكان على صلة بالموضوع، وكانت هذه الأعمال تزعج الاحتلال، ويحاول إحباطها واعتقال الطلاب أو وضع الحواجز العسكرية في محاولة لإفشال مثل هذا التواصل _ والمختار الذي كان ضد هذا يصيح :"إحنا ناس عندنا شرف وأخلاق لا نسمح للبنات والأولاد بالعمل معا ...نحن نستطيع أن ننظف أرضنا ونحرثها دون مساعدة."([1])

وكان يقف في وجه الحركة الوطنية، أوفي وجه أية إجراءات من شأنها أن تساهم في نشر الوعي أو التنوير داخل القرية، ويرى فيها تهديدا لوجوده ومصلحته، فقد اصطدم مع الشباب الوطنيين داخل القرية مرارا، فإبراهيم السجين كان " مرة يريد إنشاء نادي[ناد] رياضي في

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص56.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرية ....ومرة يفتح في إحدى غرف بيته مكتبة عامة ...ومرة يدعو لإنشاء جمعية زراعية ...ومرة أخرى يدعو إلى إنشاء مجلس قروي في القرية..مشاريع لا تنتهي. "([1])

والمختار لاتهمه إلا نفسه، ولا يرفض للحاكم العسكري أي طلب، ما دام لا يمس أرضه هو شخصيا.

وهذه المواقف التي يقفها المختار تتقاطع مع أهداف الاحتلال ومراميه، وهي مواقف غير إيجابية وتضر بالمصلحة الوطنية. أما الأوصاف التي أسبغها القاص على "المختار": فهي السذاجة، وهو لا يعرف القراءة والكتابة، فكره رجعي، كما وصف ملابس المختار وذكر نوع سجائره وحركة الشفتين بصورة (كركاتيرية) مضحكة ومنفرة، في محاولة من القاص لإهانة أية شخصية تتمتع بمثل تلك المقومات، أو من اجل التنفير من هذا السلوك الذي تسلكه؛ويعاني المختارمن الانهيار و هو مأزوم مهان، يتحسر على ماضيه حيث كان معززا مكرما .

ومثل المختار، بائع الأرض لليهود، ففي قصة " كل شيء وهذه النظرة بالذات "، يصور حالة الرعب والخوف والاضطراب التي تعتمل نفسيته نتيجة فعلتها المشينة ؛لذا تلقى النبذ والمقاطعة من كافة الفئات الاجتماعية؛ فعلى صعيد الأسرة نجد الزوجة وأبناءها قد اتخذوا ركنا من البيت، ورفضوا التعامل معه في المأكل والمشرب وحتى نفقات البيت، فلم يعودوا يطلبون منه شيئا، وابنه في الخارج قد تبرأ منه، وفقد سطوته وسيطرته داخل الأسرة، فلا يستطيع أن ينبس بكلمة واحدة لابنه محمود الذي يحضر في وقت متأخر.

أما على الصعيد الاجتماعي خارج الأسرة، فنجد المقاطعة أعتى وأمر، فقد فَقَدَ مكانته الاجتماعية، ولم يَعُد يدعى إلى حفلات الزفاف والخطوبة، حتى شعر أنه كالأجرب ؛ما إن يجلس بين مجموعة من أهل القرية أو يحضر إلى بيت من البيوت التي اعتاد الذهاب إليها، إلا وخلقوا المعاذير له بانشغالهم، وبالتالي يخرج من بينهم أومن بيوتهم ذليلا.كما أن حركة الشارع داخل القرية تسلقه بالكلمات المؤذية والمزرية، فهو لم يعد بطلا في نظرهم بل البطل ابنه الذي تبرأ منه.

وأثر ذلك على وضعه الاقتصادي، فلم يعد أحد من المتسوقين يتعامل معه، كما أن دكانه الذي كان، قبل بيعه أرضه، موئلا للعمال الذين يحضرون لشراء حاجياتهم، قبل ذهابهم إلى أعمالهم، لم يعد يعج بالحركة السابقة، وحتى سائقو السيارات لم يعودوا يقفون أمام دكانه.

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص57.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد شعر أولاده بالخزي والعار الذي ألحقه بهم أبوهم، فابنه أسعد يسلقه الطلاب بنظراتهم الحادة والكلمات المؤذية لدرجة أنه قرر عدم الذهاب إلى المدرسة، وطلاب المدارس يقفون أمام دكان السمسار يتندرون عليه ويهزؤون منه ومن تصرفه.

لقد كانت المقاطعة عامة مما ولد في نفسه الشعور بالخوف والرهبة والحصار، ويظهر ذلك، من خلال تصوير الاحتياطات التي كان يحاول أن يحمي بها نفسه داخل البيت، والحذر في التعامل مع الآخرين، وتلك النظرة السوداوية للوجود، لقد شعر بهذه النظرة وبهذا الخوف، فحاول التكفير عن ذنبه، لكن القصة تظهر أن الناس أخرجوه من رحمتهم، فلا توبة لبائع أرض؛ على الرغم من أنه حاول التبرع بمائة دينار أردني في إحدى الاجتماعات في مدرسة البلدة في محاولة لتحسين صورته وتجميلها، إلا أن أحد الشباب رفض قائلا :"لا نريد أموالا حراما "، ([1])وحين يحاول مساعدة الأهالي في قطف الزيتون من خلال دفع أجرة عامل."([2]) يكتشف أنهم سيرفضون أية معونة منه. وهنا يبدأ يزدري ذاته، ويقارن بين نفسه الدنيئة وبين أبي أسعد" الذي صودرت كل أراضيه ورفض أن يتناول فلسا واحدا كتعويض عنه."([3]) ولهذا يحظى أبو أسعد بالاحترام والتقدير أينما ذهب و حل.

3_ النموذج العادي:

تمثل قصة "موت في صباح باكر "، وهي قصة فكرة، حال الفئة المسحوقة من أبناء المجتمع العربي الذي يعاني سوء الحال وكثرة العيال، في مقابل فئة مترفة لا ترنو بعينها نحو تلك الطبقة المسحوقة. تسرد القصة، عبر ضمير الهو، حال أبي احمد الذي يعمل بائعا للجرائد، فتدفعه الحاجة الاقتصادية والعوز إلى الاستعانة بأحد أبنائه من أجل التغلب على مصاعب الحياة، وبذلك يتسرب ابنه سليمان من المدرسة _على الرغم من رغبة ابنه في التعلم _من أجل أن يساعده في تعليم أخويه، وتوفير الحد الأدنى من الحياة الكريمة لأسرته.

يخرج الاثنان في صباح باكر _كالعادة_ لتوزيع الجرائد في المدينة، ويصور القاص عبر تيار (المونولوج) الحالة النفسية للأب، وهو يرى ولده في هذا الحال من الشقاء.ويعده في نفسه بأنه سيعوضه عن كل شيء، ولكن في معمعان العمل يقتل الأب ويداس تحت إحدى عجلات السيارات الفارهة ليستمر مشوار الشقاء.ويحمل السارد أسباب هذا الشقاء للحكومة بسب ارتفاع الأسعار وسوء الحالة الاقتصادية للمواطنين.

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص22.

[2] _السابق، ص22.

[3] _السابق، ص24/23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلمس في هذه القصة التركيز على البعد الإنساني الذي تجلى بضرورة التعاطف مع الطبقات المسحوقة، كما أنه أبرز الجانب غير الإنساني لبعض الفئات حيث لم تهتز مشاعرها لهذا الحدث، وبقي الجميع يتفرجون على الضحية وهو ملقى على الأرض، ولم يتقدم أحد لإنقاذ أبي أحمد أو مساعدته، وهو يتضرج في دمه. ولعلها صورة مبالغ فيها على أرض الواقع، فلم يبلغ تفسخ العلاقات الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني أو المجتمع العربي إلى هذا الحد، ولعل ضرورة التعاطف بين أفراد المجتمع كانت تلح على القاص، فرسم صورة منفرة لواقع بشع غير متماسك محتجا وناقدا لهذا الواقع هادفا إلى تغييره.

3_المرأة في قصص أكرم هنية:

كان للمرأة في قصص الكاتب حضور بارز لفت أنظار الدارسين ([1])، وكان يشكل أحيانا القصة كلها، وأحيانا جزءا منها، ولم يصور الكاتب المرأة من حيث هي جسد فقط، وإنما أبرزها إنسانا له همومه الوطنية والإنسانية.و برزت المرأة ذات الملامح الإيجابية في معظم قصصه، في حين لا نعثر على المرأة ذات الملامح السلبية إلا نادرا.سوف أتوقف أمام نموذجين وأبرزهما، هما:

أ_ نموذج الفتاة الجامعية والمثقفة:

كتب أكرم هنية في قصصه عن الفتاة الجامعية والمثقفة، وقد بدا هذا جليا في قصصه الأولى التي صور فيها حياة الطلبة الجامعيين، وهو ما يبدو في قصة"وردتان للزميلة ندى"، فندى نموذج الفتاة المتعلمة التي تشارك في النشاط السياسي، وتشارك أنا المتكلم همه العربي، وتسير إلى جانبه في المظاهرات ظنا منها أن "بإمكان الطلاب.. وحدهم..أن يغيروا العالم...ولكنها تبدأ بالتحرر من أوهامها هذه عندما تصطدم بحقائق الواقع . وهي نموذج من تلك الفترة الساخنة التي امتدت منذ أواخر الستينات حتى منتصف السبعينات تقريبا، التي شهدت الانتفاضات الطلابية في العديد من دول العالم."([2])

و قصة " شهادات واقعية حول موت المواطنة منى "ل" "وسأتناول هذه القصة بشيء من التفصيل باعتبارها أبرز نموذج للمرأة المثقفة.

---

[1] _ينظر:"المرأة في أدب أكرم هنية" للكاتب الغزاوي، عزت، ص17-21.و"المرأة في قصص أكرم هنية" للكاتب جوهر، إبراهيم، ص22-32. و"المرأة في أدب أكرم هنية "، لمجموعة من الكتاب(عقل، عباش، الكيلاني).وجميع هذه المقابلات في كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص138-140.

[2] _ينظر: الحديث الذي أجراه الأسطة، عادل مع الكاتب، ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص105.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتلخص أحداث القصة في محاولة اكتشاف أسرار انتحار الشابة منى. ل أو موتها في شقتها، يقوم مراسل الصحيفة أكرم هنية، بجمع المعلومات عن أسباب انتحارها، من خلال الاطلاع على الوثائق الرسمية ومذكرات الفتاة والاتصال بمعارفها.ويتولى نشرها بعد موافقة رئيس قسم التحرير عليها.ولمعرفة ذلك لجأ الكاتب إلى مراسلة معارفها، كما قام بالإطلاع على مذكراتها ومذكرات من احتكوا بها من أجل معرفة أسباب موتها وانتحارها، وهذا الأسلوب من شأنه أن يوهم القارئ، ويجعل القصة أكثر واقعية.

ولكن من هي منى ؟ وماذا تعمل ؟ و لماذا ماتت ؟ ولماذا تتبع الكاتب قضيتها بالذات، وأصر على جمع مذكراتها والشهادات حول موتها ؟ تلك الأسئلة يثيرها العنوان للوهلة الأولى.

منى "ل" هي نموذج يصوره القاص للمرأة العربية عامة، وللمرأة الفلسطينية خاصة، المرأة العربية التي تحاول الانعتاق من قمقمها الذي تعيش فيه، وتريد أن تتحرر من الضغوطات الاجتماعية التي تحاصرها في الميادين كافة، والمرأة الفلسطينية التي تعاني هي الأخرى من قمع مزدوج، يمسك الاحتلال بأحد أطرافه، في حين تقف العلاقات الاجتماعية البالية، ونظرة المجتمع للمرأة وقضيتها في الطرف الآخر ؛لهذا جمع الكاتب نتفا مشرقة من واقع المرأة العربية والفلسطينية المثقفة لطرح قضيتها من عدة زوايا، وهذا ما كشفت عنه القصة من خلال مذكرات منى وخواطرها، ففي رسالة بعثت بها إلى زميلتها سامية، قبل أسابيع من موتها، يعثر المرء على روح السخط والخوف والوحدة والعزلة التي تشعر بها إزاء الواقع الذي تعيشه، وهي لا تقبل بواقع المرأة الراهن، بل تطمح أن تراها تمارس دورها الاجتماعي ؛لهذا تبنت قضيتها وناضلت من أجلها، وهذا ما برز في مقالة بعثت بها منى إلى إحدى المجلات العربية في استطلاع حول دور المرأة الفلسطينية والعربية، رأت أن من واجب المرأة العربية والفلسطينية " أن تحارب في جبهتين...الجبهة الواسعة لنضال شعبنا من أجل نيل استقلاله الوطني وحق تقرير المصير ...والجبهة الأضيق والتي يجب علينا كنساء أن نناضل من خلالها لانتزاع الاعتراف بدورنا في الحياة.وهناك ترابط جدلي لا ينفصم بين الجبهتين لكنه في حاجة دائمة للتعزيز والتأكيد."([1])

ولكن هل استطاعت منى أن تحقق ما تصبو إليه من طموحات في مشروعها الثوري تجاه حقوقها السياسية والاجتماعية؟ وما هي الصعوبات التي وقفت في سبيلها من اجل تحقيق مشروعها وقضيتها؟

---

[1] _ هنية ، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص115.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد حاولت منى أن تحقق ما تصبو إليه كثيرا، وضحت في سبيل ذلك، حاولت إدخال تحسينات على نظام التعليم واتباع طرق جديدة للتدريس، وحاولت إنشاء نقابة نسائية، وتحدت قيود العائلة وقيود المجتمع الذي يحاول محاصرتها والتضييق عليها، وانفصلت عن خطيبها، وسجنت في سبيل ذلك كله، لقد حاولت العمل على الصعد كلها من أجل إنجاح مشروعها، ففي المدرسة التي عملت فيها اعترضت المديرة وبعض زميلاتها على تصرفاتها ومحاولاتها اتباع طرق جديدة في التعليم، ورفعت المديرة تقريرا سريا في نشاطاتها، وصرحت إحداهن في شهادتها عن موت منى.ل قائلة :"اذكروا محاسن موتاكم... لو لم تكن تتدخل فيما لا يعنيها ولو لم تحمل السلم بالعرض لعاشت سعيدة".([1]) لهذا فصلت من عملها في التدريس، وحين حاولت العمل في أحد المصانع وجدت مدير الشركة مهتما بالتحديق في تقاطيع جسمها أكثر من اهتمامه بالنظر إلى شهاداتها، وحاولت التخصص في الفن التشكيلي، إلا أن عائلتها اعترضت على تخصصها، واستطاعت من خلال فنها التشكيلي الخروج عن المألوف من خلال إبراز الواقع المشوه، وإعادة تشكيله من جديد في فنها، والتنظير لما تؤمن به، إلا أنها اعتقلت بسبب نشاطها السياسي .

أما خطيبها سعيد الذي أحبته، فهو الآخر انفصل عنها بعد أن حوصر وطرد من عشرات الوظائف، لينتقل إلى العمل خارج الوطن، وآثر الفرار والسلامة على المواجهة والصمود والتحدي، لكنها رفضت تلك الروح الانهزامية فيه، "ووجدته رجلا عربيا أسير تقاليده البالية ومفاهيمه الرجعية."([2]) وحين حاولت العودة إلى الوطن رفضت عائلتها تجديد تصريحها _من أجل العودة إلى القدس_ حتى لا تتعرض لفترة سجن جديدة وتخلت عنها.

ونتيجة لتلك العوامل المعاكسة التي وقفت في طريقها، لم تستطع الحركة والعمل في هذه الأجواء ؛فكرت بالانتحار، وكان تفكيرها ذروة معاناتها، لكن فتاة تحمل قضية تؤمن بها وتدافع عنها ما كان لها أن تقبل بهذه النهاية ؛لهذا نجد شهادة الطبيب الشرعي تفصح أن الفتاة تراجعت عن الانتحار، وإن فكرت فيه. لهذا تفصح القصة أن سبب وفاتها هو نوبة قلبية ؛بسب التزامها نحو قضيتها، كما تقول زميلتها سامية.

ولنعد إلى السؤال الذي طرحناه في البداية، لماذا تبنى الكاتب قضيتها، وما المغزى الذي يرمي إليه ؟

أرى أن ذلك يعود لسببين، هما: إيمان الكاتب بقضية المرأة العربية والفلسطينية من خلال إعادة النظر في دورها في إطار المجتمع، وظهر ذلك من خلال انحياز الكاتب لقضيتها،

---

[1] ــ هنية، اكرم، طقوس ليوم آخر، ص115.

[2] ــ ينظر :اللقاء الذي أجره الأسطة مع الكاتب، الدخول إلى حبر الروح، ص107

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنه حين طرح قضيتها طرح قضية المرأة بشكل عام والصعوبات التي تعتري طريقها في سبيل النهوض بواقعها ؛ لهذا نوّه في هامش القصة: " تعمدت عدم نشر الاسم الصريح الكامل للمواطنة "منى"ل" ربما لان هناك آلافا مثل "منى.ل".([1]) ورأى أن مجتمعا مأزوما لا يمكن أن يوفر للمرأة دورها الطليعي الذي تؤمن به، إلا من خلال توفير الأجواء التي تساعدها في تخطي الأزمات المتعددة ؛لهذا نجده يبرز في شهاداته معظم الشرائح الاجتماعية من مديرة ومعلمة وصاحبة الشقة وضابط تحقيق و أفراد عائلتها وخطيبها ومدير المصنع، ليقول إن غير جهة وقفت في طريق طموحاتها، وليعرض صورة متكاملة لواقع المجتمع ونظرته إلى المرأة ودورها، وبدت في معظمها، هذه الرؤى، كما عكستها القصة، سلبية، تحاول أن تسلب المرأة إنسانيتها وحقوقها. أما السبب الثاني، فيعود إلى رغبة الكاتب في"التحريض ضد القوى التي تقف سببا في موتها".([2])

وقد يبدو للوهلة الأولى، أن الكاتب، بعكس معظم قصصه، قد اختار نهاية مأساوية لقضية المرأة ودورها السياسي والاجتماعي، إلا أنه رفض ذلك في لقاء معه، وقال:" أما إمكانية الإحساس بالطرح اليائس تنفيها حقيقة أن منى.ل تراجعت عن الانتحار وأن أفكارها منتشرة سواء بين زميلاتها أو تلميذاتها." ([3])

ب_المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال:

صوّر أكرم هنية في قصصه نماذج نسوية فلسطينية تعاني تحت الاحتلال، ونستطيع أن نعثر على هذه النماذج في كثير من قصص الكاتب، ويعود ذلك لأمرين:الأول أننا نجد هذه النماذج بالفعل في الواقع الفلسطيني، والثاني أن القاص، وهو يكتب، لم يكن يتخلى عن دور المثقف للآخرين.وعليه فقد عرض نماذج أحب أن تكون موجودة حتى لو كانت نادرة.

برز نموذج المرأة_الأم والزوجة_ بصورة إيجابية تكررت في كثير من قصصه.وغالبا ما بدت الأم وفية لزوجها ولأولادها ولأرضها.وهي الصورة التي تبدو عموما في مجتمعنا الفلسطيني، حيث انحدرت من ثقافة عربية إسلامية تحث على ضرورة احترام الأسرة والزوج والقيام بواجب الأبناء. وبسبب احتلال الأرض الفلسطينية، فقد فرضت عليها مهام جديدة تجاوزت دورها التقليدي، إذ أخذت المرأة أحيانا تسد مسد الزوج المعتقل، كما في قصة"بعد الحصار قبل الشمس بقليل" وتعتني بتربية أبنائها بعد سجن زوجها، ويبرز هذا في

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص112.

[2] _ ينظر :اللقاء الذي أجراه عادل الأسطة مع الكاتب ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص106.

[3] _السابق، ص107.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصة "يوم قتل إبراهيم الأقرع ".كلتا المرأتين تذهبان إلى السوق وتبيعان من ثمار أرضهما لتحصلا على النقود، أو تقوم مقام زوجها المهاجر، كما في قصة" مؤتمر القرية يصدر نداء هاما"، ويبدو دورها النضالي في قصة" وقت وشموس كثيرة"وفي هذه تقف أم محمد للمختار بالمرصاد، لأنه يحول بين أبناء الجامعات وبناتها حين يذهب هؤلاء معا للعمل بالأرض. ونجد المرأة التي تساند زوجها وتشاركه رؤيته الوطنية، وتصبر معه على العمل في المستوطنات، فتشد أزر زوجها وتعزز موقفه الرافض، ويبدو هذا هو الحال في قصة "ظهيرة رجل حزين".

تعد قصة "أم محمود تشارك في اعتصام نسائي " أبرز قصة تعكس نموذج لصورة المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال.تعكس القصة نموذج المرأة الريفية البسيطة ذات الحس الوطني الذي أيقظته الأحداث، فزجّت المرأة في ساحة الصراع، وذلك بعد أن يسجن ابنها، وتشارك المرأة في النضال، وتتعلم القراءة والكتابة وتشارك في إنشاء روضة، وتكافح من أجل السجناء عبر الاعتصامات النسائية، وترسل لابنها رسالة تعزز من صموده: "الله يحميك ...ولا يهمك.لازم ننتصر ".([1])

وعليه، نجد المرأة احتلت موقعا متميزا داخل أدب أكرم هنيه، فهي الأم والزوجة والحبيبة التي تستحضر وقت الشدائد لتنير الداخل وتدفع إلى الصمود والاستمرار في النضال السياسي، لكن الصورة التي رسمها، لكل من المرأة الريفية والمدنية، صورة مبالغ فيها، في كثير من الأحيان، ولعل سعيه للتعليم ونشر فكره الثوري كان يفرض عليه رسم هذا النموذج.

4 - صورة اليهودي:

لا تحضر صورة اليهودي في قصص أكرم هنية حضورا بارزا، وحين يمعن المرء النظر في هذه الصورة لا يرى فيها تنوعا.اليهودي الذي يبرز هو اليهودي الجندي الذي يحمل سلاحا. يبرز هذا في القصص التي كتبها قبل اتفاقيات السلام الموقعة وبعدها.ولا عجب في ذلك، فاليهودي الذي يحضر في الضفة الغربية وقطاع غزة هو الجندي الإسرائيلي والمستوطن، وان كانت تجربة هنية نفسه تشير إلى أنه عرف إسرائيليين آخرين، وهو يعمل رئيسا لتحرير جريدة الشعب، أو وهو يفاوض في (واشنطن). ولا يدري المرء لماذا لم يكتب القاص عن النماذج التي التقى بها، ألأن لقاءه كان عابرا ؟

[1] _ينظر :اللقاء الذي أجراه الأسطة، عادل مع الكاتب ضمن كتاب، الدخول إلى حبر الروح، ص37/36.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا استعرضنا القصص التي حضرت فيها شخصية اليهودي فسنجد أنها قليلة، وإن كان اليهود حاضرين في أكثر قصصه.

يمكن أن أتوقف هنا أمام قصتي "شمال شرق دير اللطرون "و"بوح سريري ". إنهما الأبرز في هذا المجال.

يقص أنا المتكلم في قصة "شمال شرق دير اللطرون "عن عودته من مدينة غزة إلى رام الله وما حدث معه في يوم ماطر، يتذكر موعدا ضربه مع حبيبته التي يود الزواج منها إلا أن محرك سيارته يتعطل، وينزل ليحتمي بمظلة، ويحضر شخص إسرائيلي إلى نفس المكان بزي عسكري، ويلقي على أنا المتكلم التحية بالعبرية، ليردها هذا بالإنجليزية، ويدور الحوار بينهما على النحو الآتي :

"_مطر غريب

هززت رأسي موافقا.

أخذ يتلفت حوله وهو يتعمد أن يزيح طرف سترته فيبدو المسدس تحتها، ثم بادرني بالقول:

_هذه المنطقة جميلة.

أجبته بسرعة:كل بلادنا جميلة.

لم يرد... أشار نحو المرتفعات على يميننا وقال " هذه الحديقة جميلة.لقد جئت إلى هنا عدة مرات ".

أجبته : إنها ليست حديقة أساسا.كانت هنا قرى دمرها الجيش الإسرائيلي في أوائل حرب حزيران".

احتقن وجهه....حدق فيّ وسأل بحدة :هل أنت من هذه المنطقة؟".

....أجبته :"لا ...أنا أصلا من قرية قرب يافا.وقد ولدت قريبا من هنا".

اغتصب ضحكة قصيرة وقال "بلد الإنسان حيث يولد".

عاجلته بالرد "هل ينطبق هذا عليك؟".

لم يرد...قطع الصمت بعد دقائق ضجيج سيارة قادمة عن بعد.كانت سيارة جيب عسكرية... ثم قفز إلى المقاعد الخلفية".([1])

تبدو صورة اليهودي، من خلال المقطع السابق، صورة الجندي الذي يرفض التعايش مع الآخر، ويرفض الحوار معه خاصة إذا ما تعلق الموضوع بالأرض، ولا يروق له الحديث حول هذا الموضوع، وذهب الأسطة عند تناوله لموقف الآخر إلى أن "الآخر هو الذي يرفض كل شيء، وهو الذي لا يريد الآخر إلا ميتا أو دون ذلك:ذليلا، وهو الذي

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، صص17/16.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحرك بزته ليظهر شيئا ما مذكرا الآخر حين يتحاوران (وهكذا فان الحوار ليس حوارا متكافئا) بل انه ليس حوارا حضاريا وإنسانيا ولن يجلب سوى الموت والدمار، وقد يكون الموت والدمار طابعا عاما، ولن ينجو الآخر منه، لأن تصرفه هذا قد يدفع بالآخر لأن يفعل مثلما يفعل هو في فترة تفوقه".([1])

أما القصة الثانية التي تبرز فيها صورة لليهودي فهي قصة "بوح سريري " وقد كتبها القاص في فترة انتفاضة الأقصى، ولم تكن الأحوال بين الفلسطينيين والإسرائيليين بأحسن مما كانت عليه حين كتب قصته الأولى.صورة اليهودي هنا هي أيضا صورة الجندي الذي يقتل، الجندي الذي يحمل السلاح.

يقص الشهيد، من خلال الضمير الأول، قصة استشهاده، ومن خلال قصه يأتي على الجندي، ويحدث نفسه عن أسباب الحقد والكراهية التي يكنها اليهودي له، وعن أسباب عدم التحول في عقليته على الرغم من تحول الظروف، ويبدأ يسترجع صورة اليهودي التي ألفها من قبل "ألا يشبه مستوطنا في المستوطنة القريبة من بيتنا يواظب على الاعتداء على البيوت القريبة من المستوطنة، ألا يشبه جنديا تعمد إذلالي قبل أسابيع على الحاجز، ألا يشبه محققا ضربني ضربا مبرحا عندما اعتقلت لأيام قليلة في سنوات الانتفاضة الأولى؟". ([2])

ويحاول السارد، في صفحات لاحقة، أن يبحث عن تبرير لسلوك اليهودي، لكنه لا يجد مبررا لذلك، وسأدع كلمات القصة تعبر عن نفسها، " سينطق الجندي ذو العيون الحديدية:أنا أكرهك بمقدار كرهك لي.

سأعاجله بالرد :إذا أنت تكرهني كثيرا..كثيرا جدا.

سيرد :إذا نتعادل

سأجيب بسرعة :لا...أنا الضحية، أنت القاتل، أنا اكره بزتك العسكرية، الرشاش المزروع في جسمك، حاول أن تخلع رداءك العسكري حاول أن تقتلع الرشاش من جسمك، وابتعد عني، جرب وسترى...

لن يرد، ...وأنا اهتف حاول حاول.

ولكنه مضى وبدلته العسكرية وخوذته ملتصقتان بجسده حتى بدت كإحدى طبقات جلده، وبندقيته تخرج من جسده كأحد أطرافه الطبيعية".([3])

---

[1] _ الأسطة، عادل "أكرم هنية يضيء ليل القس الطويل"، جريدة الشعب المقدسية، 1986/12/9.

[2] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص45.

[3] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري ، ص52/51.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تتغير صورة اليهودي في نصوص هنية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى انه كتب نصوصه، كما ذكرت، في فترات التوتر، وانه لم يكتب نصا في مرحلة السلام، ولعل السبب أيضا في ذلك يعود إلى أن الكاتب ما زال يرى الإسرائيليين يحتلون كثيرا من مناطق الاحتلال الثاني، وأنهم، على الرغم مما قدمه الفلسطينيون، لم ينسحبوا من الضفة وقطاع غزة انسحابا كاملا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخصائص الفنية

أ- طرق القص (العرض):

يرى إبراهيم العلم، وهو يدرس القصة الفلسطينية القصيرة، أن هناك" نقلة نوعية في الشكل والمضمون قد تحققت في سنوات السبعين وأحرزت تفوقا ملحوظا لدى الكتاب المبدعين."([1])

ولقد كان لأكرم هنية وإخوانه القاصين الفضل الكبير في دفع القصة الفلسطينية إلى الأمام على صعيد الشكل الفني، من خلال توظيف التقنيات الحديثة في كثير من أعمالهم القصصية، ورغبته العارمة في التجريب، للخروج من دائرة الشكل التقليدي، دفعتهم إلى انتهاج سبل جديدة في البحث عن تجارب جديدة لإغناء فنهم القصصي. ولا يعني هذا أن الكاتب لم يجنح إلى توظيف الشكل التقليدي، بل نجده وظفه في عدد من قصصه، لكنه فاق كثيرا من القاصين في النزوع نحو التجريب، وقد تأتى له ذلك من خلال دراسته في مصر، حيث اطلع هناك على أعمال كثير من القاصين المصريين الذين عبّدوا الطريق للقصة العربية، وتأثر بنتاجهم في تلك الفترة، كما أن إتقان الكاتب اللغة الإنجليزية مكنه من الإطلاع على الأدب الغربي، ورفد عمله الصحفي فيما بعد تجربته القصصية، إضافة إلى رغبته في البحث عن طريق جديدة للقصة الفلسطينية للرقي بها على صعيد الشكل والمضمون.كل تلك العوامل أسهمت في نزوع الكاتب نحو التجريب.

وسأقف عند قضايا الشكل الفني لأتناول بالدراسة الشكل التقليدي والشكل الحديث، ثم أقف على أبرز الظواهر الفنية في قصصه.والآن سأتناول أشهر طرق القص عند الكاتب

1_ أسلوب الحكاية:

الحكاية أبسط أشكال القص، وهي تختلف عن القصة القصيرة من حيث "أن القصة القصيرة فن حديث النشأة له خصائصه التي تختلف عن الحكاية التي لا تعدو أن تكون اكثر من حوادث تقص حسب ترتيبها الزمني ليأتي فيها الغداء بعد الإفطار والثلاثاء بعد الاثنين والانحلال بعد الموت وهكذا."([2])

"والحكاية في المتوسط أربع صفحات وهو حجم قصير نسبيا بالنسبة لمتوسط حجم القصة القصيرة، ويبدو وضع البطل والموضوع أو الفكرة هو الهدف الذي تركز عليه الحكاية،

---

[1] _ العلم ، إبراهيم، القصة القصيرة الفلسطينية داخل الوطن المحتل، دار الكاتب، 1987، ص27.

[2] _ أ.م، فورستر، أركان القصة، ترجمة كمال عياد، الناصرة، (د.ت)، ص33.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعادة يكون الهدف وعظيا أو تعليميا ؛أي أن الحكاية لها مغزى اجتماعي وسياسي وأخلاقي يهدف القاص من ورائه إلى النقد والسخرية من وضع ما."([1])

وبناء الحكاية يقوم على وحدات ثلاث هي: البداية والعرض والنهاية.

وقد وظف الكاتب الحكاية الشعبية في إطار ما هو سياسي.وبدا هذا التوظيف في مجموعته الثانية، في حين لم يجنح إلى توظيفه في مجموعاته اللاحقة، وأبرز القصص التي وظف فيها هذا الشكل هي :"هزيمة الشاطر حسن "و"أمنيات محمد العربي "و"القرار".

تتفق القصص الثلاث في شكل البناء، وإن اختلفت في طبيعة الموضوعات التي تناولتها كل قصة، وعلى الرغم من ذلك، فلا أجد عنتا في دراستها مجتمعة. فمقدمة أمنيات محمد العربي تبدأ بوجود مشكلة يتحسسها المرء من خلال الفقر المدقع الذي يعيشه محمد العربي، والذي لا يجد ما يقيته ويقيت عياله، فيدفعه ذلك إلى البحر من أجل العثور على شيء يسد رمقه ورمق عياله، وما أن يرمي الشبكة حتى يعلق فيها شيء ثقيل. وقصة "هزيمة الشاطر حسن"، تبدأ بموسم محل حل بأهل قريته أهلك الزرع والضرع، والخوف الذي اعترى أهل القرية من عدم توفر الماء بسب انحباس المطر، ويبدأ الشاطر حسن بالبحث عن الحل لهذه المشكلة.وقصة "القرار "تبدأ بنبوءة عراف نابلسي لامتداد خلايا سرطانية أو حدوث زلزال، ويشيع الخبر بين الناس، وتعقد الهيئات والمؤسسات اجتماعات مختلفة لتلافي هذا الأمر الجلل.

هذه هي البدايات المثيرة التي تضع القارئ في مشكلة ما منذ البداية، وتجذبه لمعرفة ماذا سيحصل فيما بعد من أحداث، و تدفعه إلى التساؤل عن الطريق لحل هذه المشاكل ؟ بعد ذلك يبدأ العرض، حيث يلعب البطل دورا أساسيا، وتدور الأحداث حوله، وعادة يختار من أبناء الفئة المسحوقة أو من أبناء الطبقات الفقيرة، وفي معظم الأحيان، يحقق رغباته ورغبات شعبه ضد الطغمة السياسية أو القوى المعاكسة التي تقف في طريقه. وإذا ما حاولنا تقصي حركة البطل في القصص الثلاث نجدها تتفق مع ما ذهبنا إليه على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، لكن مصيره يختلف، وقد ظهر على النحو الآتي: محمد العربي يعثر على قمقم، فيخرج منه المارد ليلبي بعض حاجاته إلا المطالب السياسية التي كان يتمناها، وبدا البطل عاجزا عن فعل شيء.أما الشاطر حسن فيبدأ رحلة البحث عن الماء، ولكنه يفشل، ويقبض عليه ويسجن. أما قصة "القرار" فلا نعثر على البطل، كما في القصص السابقة بل على بطولة جماعية.

---

[1] _ الشاروني، يوسف، دراسات في الرواية والقصة القصيرة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1967، ص188.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما آلية الحل فقد اختلفت بين قصة وأخرى:ففي حين تبرز قصة "أمنيات محمد العربي"، النهاية التشاؤمية لمصير البطل، حيث يهرب المارد، ويأخذ معه عندما يسمع بكلمة رجال المخابرات كل أحلام محمد العربي، يعثر المرء على نهاية مأسوية للبطل في قصة" هزيمة الشاطر حسن"، يعجز البطل عن تحقيق حلمه وحلم شعبه بسب رؤيته الفردية، ويقرأ المرء عن حل جماعي وبطولة جماعية في نهاية القصة، يسأم الناس من عودة البطل، ويحاولون الاعتماد على أنفسهم وهذا ما يكون ، فتتفجر الينابيع بين أيديهم، ولعلها رؤية الكاتب بضرورة تعزيز العمل الجماعي بدلا من العمل الفردي. وفي القصة الثالثة يقر قرار أهل الضفة على المواجهة والتحدي لمقاومة خطر الاستيطان الداهم.

ولا يجد المرء في قصتيه خصوصية للزمان والمكان، فالمكان والزمان مبهمان، والصدفة تلعب دورا رئيسا في أحداث القصص، وتختلف قصة "القرار "، إذ تدور أحداثها في مدن الضفة الغربية، تحديدا في نابلس، إذ يعثر المرء على بعض الإشارات لذلك.

2_ السرد والتقرير من خلال استخدام ضمير الغائب:

مال الكاتب إلى استخدام أسلوب السرد المباشر وهذا الاتجاه الأقدم زمنيا في السرد، إذ تسرد عادة الأحداث بطريقة تسلسلية من خلال استخدام ضمير الغائب. توضع الشخصية في موقف معين حتى تصل إلى لحظة التنوير، وعندها، يمكن أن يكتب لها الحياة الكريمة أو التعيسة.ويقوم السارد في هذا الشكل برفع العنت عن الشخصية ليقوم هو بسرد الأحداث والتكلم بلسانها والولوج إلى عالمها الداخلي، وبالتالي لا نجد شخصية حية قادرة على الحياة وسط العمل الأدبي.

يميل الكاتب في هذا الشكل إلى تقديم الأحداث بأسلوب مباشر وتقريري؛ لأن له غرضا تعليميا ووعظيا يريد أن يقدمه إلى قرّائه، يمكن العثور عليه عادة في نهاية القصة.ويرى (أنريكي أندرسون)" أن فسيولوجية القصة القصيرة ذات البنية الكلاسيكية لا زالت لها دلالتها، فوظيفة البداية هي تقديم "موقف" ولا يقتصر دور الراوي على وصف الموقف بل يعدو ذلك إلى التعبير عن ماهية المشكلة التي تقلق الشخصية، أما وظيفة الوسط" فهي عرض محاولات الشخصية حل هذه المشكلة التي طرأت على الموقف وأخذت تشتد وطأتها وأصبحت عقبة أمام قوى أخرى أو إرادة الشخصيات الأخرى. أما وظيفة النهاية فهي تقديم الحل من خلال خطوات لها صلة من قريب أو بعيد بالشخصية بحيث ترضي عملية الترقب_ خيرا أو شرا _بطريقة غير متوقعة."([1])

---

[1] _ أمبرت، أنريكي أندرسون، القصة القصيرة النظرية والتقنية، ترجمة إبراهيم علي منوفي، مراجعة صلاح فضل، ط1، المجلس الوطني الأعلى للثقافة، 2000، ص136.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل جنوح الكتّاب إلى هذا الشكل في السرد يعود ؛لما له من قدرة إيجابية في إمتاع القارئ. وعادة يجنح الأدباء في باكورة أعمالهم الأدبية إلى توظيفه لعدم اكتمال أدواتهم الفنية ؛لما له من قدرة على إيصال أفكارهم التي ينادون بها ؛ولهذا نجد كثيرا من الكتاب جنحوا إلى توظيفه، من أجل إيصال رسالتهم الثورية إلى أبناء جلدتهم تحت الاحتلال، كشكل من أشكال المقاومة التي تهدف إلى توعية الجماهير، وهذا ما توخاه هنية عند توظيفه، حين أشار "إلى أن واقع المرحلة بما يحمله من تكثيف للألم والمعاناة والتحدي الصريح يتطلب أدبا يستجيب لسماته، أي أنه علينا أن نشير للأشياء _قدر المستطاع بدلالاتها الحقيقية وبخاصة في الأرض المحتلة، وهذه ليست دعوة للمباشرة الفجة ولأدب الملصق أو (الشعار)، ولكنها محاولة للاستجابة لسخونة المرحلة ومهامها الملحة وجرحها النازف."([1])

وظف الكاتب هذه الطريقة في خمس عشرة قصة من مجموع قصصه، وسأختار أبرز قصة تمثل هذا الأسلوب، وهي قصة"أم محمود تشارك في اعتصام نسائي"، وأقوم بتحليلها.

بدأ الكاتب قصته مستخدما ضمير الغائب :"احكمت يديها على الصرة التي كانت تحملها. كانت عيناها تنظران إلى الأمام دون تركيز على شيء محدد، ولم تنتبه للأحاديث التي كان الركاب يتبادلونها، منذ أن استقلت السيارة في قريتها في الصباح الباكر متوجهة إلى المدينة.وعندما سألها السائق :إلى أين ستذهبين في المدينة يا حجة أجابت أم محمود بصوت واهن."السجن".([2])

تظهر هذه البداية البسيطة السهلة الواقعية ، اسم الشخصية ومشكلتها، وإطار وقوع الحدث ونقطة الانطلاق في الحدث السردي في التوجه إلى المدينة لزيارته، ثم ينمو الحدث تدريجيا إلى الأمام بعد أن تصل أم محمود إلى المدينة، وتصطحب معها أحد المارة ليدلها على السجن المتواجد فيه ابنها إسماعيل الذي اعتقل في أواخر تلك الليلة، وتلتقي بنساء هناك يشابهنها في التجربة، لكن عزيمتهن أقوى، ويلاحظ ذلك من خلال الموقف الذي وقفته إحداهن حيث زغردت زغرودة عندما حكم على ابنها بالسجن المؤبد، وتبلغ القصة ذروتها عندما تبدأ أم محمود تخفي الصرة التي اصطحبتها لابنها ظنا منها أنها ستستطيع إطعام ابنها السجين، في إشارة من الكاتب لبساطة أم محمود وعدم خبرتها، و بعد أن يحكم على ابنها بالسجن المؤبد، يبدأ تحول في موقفها ورؤيتها للواقع.

تميزت الشخصية ببساطتها حيث اختارها الكاتب من الناس العاديين وبدت ثقافتها في بداية القصة محدودة، واتسمت بحنانها، وبدا ذلك من خلال مجمل الصفات التي اسبغها عليها

---

[1] _ ينظر: اللقاء الذي أجراه عادل الأسطة مع الكاتب ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص104.

[2] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص36.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السارد، فأم محمود اصطحبت معها صرة الأكل لابنها ظنا منها أنهـا وبمجـرد وصـولها سيسمح لها بزيارته.وكذلك عدم معرفتها بالطريق المؤدي إلى السجن، وعدم خبرتها ببعض المفردات المتعلقة بالسجن والاعتقال "الزنازين .18 يوم[يوما].الصـليب الأحمـر.المـدعي العسكري تمديد اعتقال.كفالة."([1])

ولكن هذه الشخصية البسيطة قد نمت وتطورت من خلال ملاحظتها وتجربتها ومعاناتها. وبدا ذلك من خلال التحول الذي طرأ على شخصيتها، والذي ظهـر علـى الصـعيدين العـام والخاص: حيث بدأت تشارك في الإضرابات وتدعو لها، وانفتحت على العالم الخارجي من خلال تكوين صداقات متعددة وجديدة، وانخرطت في العمل النضالي.أمـا علـى الصـعيد الخاص فقد تعلمت القراءة والكتابة، وظهرت قائدة اجتماعية، فافتتحت روضة البلدة. ولقـد ركز الكاتب على شخصية واحدة دارت حولها الأحداث، أما الشخصيات الثانوية فقد جاءت في خدمة الشخصية الرئيسة.

أما السارد فهو كلي المعرفة حيث يعرف عن عالم أم محمود كل تفاصيل حياتهـا، ولـم يترك لها حرية التعبير عن ذاتها في مواقف كثيرة، ولم يركز على عالمها الداخلي بل ركـز على الجوانب الخارجية للشخصية. ويمكن التمثيل لذلك من خلال المقطع التـالي :"كانـت غادرت بيتها في ساعة مبكرة في الصباح، رفضت الاستماع لنصائح الجيران الذين قـدموا لبيتها بعد وقت قصير من الاعتقال، وابلغوها بأن لا فائدة ترجى من ذهابها للسـجن، وأن عليها أن تنتظر يومين أو ثلاثة ثم توكل محاميا ليتابع القضية *إن كان هناك قضية*. " ([2])

3 _طريقة السرد الذاتي:

يكتب القاص قصته بضمير المتكلم، وقد تكون ترجمة ذاتية لصاحبها حيث "يضع نفسه مكان البطل أو البطلة، أو مكان إحدى الشخصيات الثانوية، ليبث على لسانها ترجمة ذاتية. "([3]) أو يميل القاص إلى اصطناع هذا الضمير لما له من ميزة، كما يرى عبد الملك مرتاض في"القدرة المدهشة في إذابة الفروق الزمنية والسردية بين السارد والشخصية والزمن جميعا، إذ كثيرا ما يستحيل السارد نفسه إلى شخصية كثيرا ما تكون مركزية."([4])لكن مـن المآخـذ على هذه الطريقة، "أن القراء، وأحيانا النقاد، غالبا ما تستقر فـي ضـمائرهم أن القصـة

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص36.

[2] _السابق، ص36.

[3] _ نجم، محمد يوسف، فن القصة، ط7، بيروت-لبنان، نشر وتوزيع دار الثقافة، 1979، ص78.

[4] _ مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية :بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، عدد 240، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (كانون الأول-1998)، ص184.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المروية ما هي إلا ترجمة ذاتية لمؤلفها، وأنها وقعت بالتفصيل."([1]) وان الراوي أو الشخصية هو الكاتب.

وظف الكاتب هذه الطريقة في ثماني قصص من مجموع قصصه، يستطيع المرء تلمس بعض الملامح المشتركة بين المؤلف والشخصية القصصية والسارد، ولكن هذا التطابق كان جزئيا، في كثير من الأحيان ؛أي ليس كل القصص التي كتبت بصيغة المتكلم تحيل في السرد على الكاتب، بل يعثر المرء على بعض القصص التي يكون السارد فيها شاهدا على ما يجري، وما يدور حوله من أحداث، ولا تعثر على ملامح خاصة تحيل على حياة الكاتب، كما هو الحال في قصتي "صلاة في المرحلة السادسة "و"بوح سريري".

أما أبرز القصص التي تبرز ملامح التشابه بين السارد والكاتب، فقد ظهرت في قصة "وردتان للزميلة ندى" و"المرحلة " و"لماذا لم أذهب لمقابلة صديقتي؟"و"سحر الحب" و"فلاش باك":

في قصة"وردتان للزميلة ندى". يتحدث أنا السارد وهو طالب جامعي يدرس في الجامعات المصرية، عن انتفاضة الطلبة في الجامعة، ويومها كان الكاتب طالبا في إحدى الجامعات المصرية، وشهد هذه الانتفاضات، فقص عن تجربته وما شاهده من أحداث.

أما القصة الثانية "المرحلة "، فيسرد أنا المثقف صورة عن مرحلة الجزر الثوري، وكذلك صورة عن واقع القمع والملاحقة التي يعيشها المثقف في العالم العربي، والمؤلف ينتمي إلى هذه الفئة.

تعكس قصة "سحر الحب " ملامح مشتركة بين السارد والكاتب، فالسارد يعيش في مدينة رام الله، ويعمل مدرسا في جامعة بيرزيت، ويحلم بكتابة قصة بل رواية طالما حلم بكتابتها. ومن خلال اطلاعنا على حياة الكاتب نعرف أنه عمل في هذه الجامعة، ، وإن كان ذلك في الماضي_أوائل الثمانينات_ وليس زمن كتابة القصة.

أما حلمه بكتابة رواية، فالكاتب -كما أشرنا- في سيرة حياته، حاول كتابة رواية، ولم تكتمل، وهي رواية "المكاتيب لا تصل لعناوينها". أما بعض الأحداث الأخرى داخل القصة والتي تتعلق بمجريات الحياة اليومية للسارد، فلا يمكن التنبؤ بها فيما إذا كانت تمت للكاتب بصلة حول مسيرة حياته اليومية.([2])

---

[1] – بارد، ايفلين فريد جورج، نجيب محفوظ والقصة القصيرة، ط1، عمان _ الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1988، ص161.

[2] _ينظر: ما كتبه الأسطة، عادل في دراسته"النص وصلته بالنصوص الأخرى"، ص84/83.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستطيع المرء من خلال هذه القصة، كذلك أن يكتشف آلية كتابة القصة وطريقتها لدى الكاتب ؛من حيث ورود الفكرة أولا، ثم التفكير بالعنوان فالشخصيات، ثم البحث عن نهاية مناسبة لأحداث قصته.

أما القصة الأبرز في هذا الاتجاه، فهي قصة"فلاش باك "، تبدأ القصة على النحو الآتي:

" هذا ليس زماني. سأحمل جسدي عضوا عضوا، سنة سنة، خيبة خيبة، حزنا حزنا، وسأضعني في زاوية ساحة ذات إضاءة خافتة جدا، سأحدق في اللاشيء الماثل أمامي، ورائحة تعفن أعضائي تعبق الجو، وأنتظر حزني القادم."([1])

وتبدو روح الاختناق تنبعث من الكلمات حيث يشعر القارئ للوهلة الأولى أنه أمام أحداث فادحة ستواجهه فيما بعد. يسترجع بعد ذلك حديث جدته عن قريته قرب مدينة يافا، والحياة الكريمة التي عاشتها العائلة في تلك القرية، وينتقل بعدها ليتذكر طفولته في المدرسة في إحدى مدن الضفة الغربية قبل هزيمة عام 1967م، وما أعقب ذلك من إجراءات صهيونية شهدها بعد دخول القوات الإسرائيلية لتلك المدينة من هدم للبيوت وسجن الوطنيين وبروز العمل الفدائي، والتحاقه بإحدى الفصائل الفلسطينية عندها.

ثم ينتقل إلى فترة دراسته في مصر وعلاقاته الاجتماعية ونشاطاته السياسية هناك، ويصف الأجواء العامة في تلك المدينة، ثم يقص بعد ذلك عن عمله في دول الخليج، وسفره إلى أوروبا ليعيش هناك، ثم يسرد عودته إلى أرض الوطن.ويعبر عن خيبة أمله من موقف اليهود بسب الحصار والاستيطان والحواجز العسكرية. ثم ينهي القصة بما آل إليه جيله، وكيف انتهت أحلامه ؟ ويبقى السؤال المحير الذي يراوده ويراود الجيل الجديد:"لماذا يقتلنا الإسرائيليون، وسأستعيد حكايات أبي وأمي وجدتي، وسأروي له روايتنا كاملة". ([2])

ومن خلال اطلاعنا على حياة الكاتب، نجد أنه قد ماهى بينه وبين السارد في معظم أحداث القصة، فالكاتب من سكان قرية أبو شوشة بالقرب من مدينة الرملة التي طردت منها عائلته، وولد في مدينة رام الله التي درس في مدارسها، وشهد هزيمة 1967م، وغادر المدينة ليدرس في إحدى الجامعات المصرية، وطرد من الضفة الغربية بسب نشاطه السياسي وانتمائه إلى حركة فتح ليعيش في المهجر، وعاش فترة طويلة هناك وعاد مع العائدين بعد

---

[1] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص57. وحول القصة ينظر : الأسطة، عادل، النص وصلته بالنصوص الأخرى، ص84.

[2] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، 76.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توقيع اتفاقيات (أوسلو)، وعبر في أكثر من موقف عن خيبته من عملية السلام بسب تعنت الحكومات الإسرائيلية.

وهكذا، نجد تشابها بين السارد والكاتب والشخصية القصصية في معظم جوانب القصة، إلا أن هناك بعض الجوانب لا تتفق وحياة الكاتب.فلم نعهده عاش في الخليج العربي وعمل هناك، ولم يعش كذلك في دولة أجنبية وان كان سافر إلى بعضها ومر منها مسافرا، لكنه لم يكن ضيفا مرحبا به في تلك البلاد.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم القصص التي تعكس ملامح مشتركة بين السارد والمؤلف، تكشفت عن إنسان مأزوم يعاني القلق والخوف والمطاردة، شخصية قلقة تبحث عن الأمان في هذا الزمان فلا تعثر عليه، ولعل تلك العبارات التي افتتح واختتم فيها قصة(فلاش باك) و لخص فيها مسيرة حياته، تعبر عن مشاعره بصدق:

"هذا ليس زماني.

سأحمل جسدي عضوا عضوا، سنة سنة، خيبة خيبة، حزنا حزنا..وانتظر حزني القادم

...هناك وجع في قلب كهل متعب ومرارة في الحلق هناك دخان أسود شديد السواد يشيد السماء.أنه الاختناق.. إنه الموت البطيء."([1])

4_تيار الوعي:

وهو تقنية حديثة في القصة والرواية، ولقد حاول الكاتب محمد عزام تلخيص أبرز مقومات تيار الوعي في الرواية الحديثة، من خلال اعتماده على كتاب(روبرت همفري)، فوجد أنها تتمثل في :

1_المونولوج الداخلي المباشر :وفيه يغيب المؤلف وعلامات الترقيم ويتم الحديث فيه بضميري المفرد والغائب.

2- المونولوج الداخلي غير المباشر: وفيه يحضر المؤلف عبر الوصف والتعليق والتداخل ويقوم الحكي فيه بضمير المتكلم.

3_وصف الوعي وهو أسلوب تقليدي موضوعه الوعي والحياة الذهنية للشخصيات.

4- مناجاة النفس :وفيه يجري التعامل مع طبقة الوعي القريب إلى السطح، وهي تتيح تصوير الشخصية من الداخل والخارج.

5- التداعي الحر وتنظمه الذاكرة والخيال والحواس.

6_المونتاج السينمائي وتتولى فيه الصور واللقطات والقطع والارتداد.

---

[1]_ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص57.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

7-الوسائل الميكانيكية كألوان الطباعة وعلامات الترقيم والأقواس التي تحول اتجاه الرواية وزمانها ومكانها."([1])

تأثر الكاتب بهذه النزعة الجديدة لتيار الوعي ووظفه في مجمل نتاجه، ولكن بشكل متفاوت بين قصة وأخرى، و مجموعة وأخرى.؛لهذا سأقوم بالتوقف أمام أبرز القصص التي وظف فيها الكاتب هذه التقنية.

أ-الارتجاع ا لفني(فلاش باك)

تعتمد هذه التقنية في القصة والرواية على "ذاكرة الشخصية القصصية ليتم من خلالها استدعاء أحداث الماضي وجعلها تنشط في نطاق الزمن الحاضر وأحداثه"؛أي أن الشخصية القصصية تسترجع عبر التذكر أحداثا متداخلة في نظام جديد من الزمن حيث تقوم هذه الشخصية بالحديث عن ذاتها واليها؛ أي أن هناك مسافة بينه وبين ما تتحدث عنه."([2])

وترى سيزا القاسم "أن الكاتب يلجأ إلى الاسترجاع لملء فراغات زمنية تساعد على فهم مسار الأحداث، وعند ظهور شخصية جديدة لنتعرف على ماضيها وطبيعة علاقاتها بالشخصيات الأخرى، أو لربط حادثة بسلسلة من الحوادث السابقة والمماثلة لها ولم تذكر في النص من باب الاقتصاد. "([3])

في قصة"بعد الحصار.. قبل الشمس بقليل "، وظف الاسترجاع بطريقة خارجية ؛أي أن السارد العليم لا الشخصية كان يقوم بفعل التذكر، إذ تولى السارد نقل التجربة الذهنية الداخلية للشخصيات، ولم يمنحها فرصة للتفكير والارتداد الزمني، فالسارد حينما عرض وجهة نظر سليمان_ مثلا _عند حادثة اختفاء قبة الصخرة، قدمها على لسانه لا على لسان الشخصية: "لا يتذكر كيف وقف وضع عائلته المادي عائقا أمام إكمال تعليمه الجامعي رغم أنه أحرز معدلا معقولا في التوجيهي... يتذكر تلك السنوات التي كان يدور فيها بين المصانع الإسرائيلية حتى استقر في الفرن الذي يعمل فيه الآن والذي يملكه أحد أقاربه...يدق الأرض بقدميه... لقد فكر مرات عديدة في الهجرة ولكن كان يتراجع...كان يشعر انه مشدود إلى هذه الأرض بروابط شتى."([4])

---

[1] _ لم يتيسر كتاب (روبرت همفواي)؛ لذا اعتمدت على كتاب، عزام ، محمد، فضاء النص الروائي، ط1، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1996، ص59.

[2] _ عبد السلام، فاتح، الحوار القصصي:تقنياته وعلاقاته السردية، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999، ص130.

[3] _ القاسم ، سيزا،بناء الرواية:دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ"، ط1، بيروت لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر، 1985، ص55/54.

[4] - هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر،، ص158.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعثر المرء على مثل هذا التوظيف في مجموعتيه الثانية والثالثة، من خلال استخدام بعض الأفعال والعبارات :تذكر، استرجع، يتذكر، قبل هذا الزمن، في الماضي وغيرها، من الأفعال التي تحيل على الزمن الماضي لاسترجاع سنوات، أو لحظات خلت.

وسنعرض بإيجاز لقصتين من هاتين المجموعتين، الأولى هي: "وقت وشموس كثيرة"، لأن الاسترجاع فكرة اعتمد عليها الكاتب في تقديم وعي الشخصية في هذه القصة، حيث كانت العودة إلى الوراء البؤرة المحورية التي أسهمت في تطوير الحدث القصصي، والكشف عن لواعج الشخصية الرئيسة/المختار الذي فقد سطوته ومركزه في الحاضر، فتنشط ذاكرته على امتداد السرد لتذكر الأيام الخوالي الذهبية التي كان فيها لوقع كلمة مختار رنين، ويظهر إيقاع كلمة "زمن" في القصة، كفكرة احتجاج على الحاضر، وبذرة للانطلاق نحو الماضي، فحينما لا يهب أحد من الجالسين لإجلاسه مكانه في الحافلة، في المقاعد الأمامية، يستعيد تلك الأيام التي كان الناس فيها يتسابقون على إجلاسه مكانهم في المقاعد الأمامية تقديرا له.

وعندما يشاهد المختار أبا محمد وزوجته وابنته المعلمة في الحافلة "تتوارد إلى ذهنه صور شتى"في الماضي لم يكن للبنات صوت...أما الآن ففاطمة بنت أبي محمد وأمها تتدخلان في أمور تخص الكبار ومن شؤون الرجال "زمن".ثم يتذكر ابنه سالم الذي سجن، ويوم العمل التطوعي الذي حضر فيه طلاب وطالبات إحدى الجامعات، وكيف رفض يومها مشاركة البنات في العمل بحجة العادات والتقاليد، وكيف وقفت أم محمد في وجهه وقامت بتوبيخه. وتذكر –كذلك– موقف إبراهيم المعلم الذي سيتزوج فاطمة ابنة أبي محمد الذي حاول زعزعة نفوذه في القرية من خلال تأليب بعض حمائل وعائلات القرية عليه، وحاول التخلص منه. وعند نزوله من الحافلة ذهب إلى أحد المطاعم وجد أحد شباب القرية هناك، وتذكر والد هذا الشاب الذي كان يعمل عنده أجيرا.

وهكذا يستمر المختار في استرجاعاته الزمنية، وهذه الاسترجاعات قدمت لنا جوانب من ماضي الشخصية وهمومها وعلاقتها بالشخصيات الأخرى، ولولا الاسترجاع في هذه القصة لفقدت قيمتها الفنية، لكن السارد كان في أحيان كثيرة يستخدم الطريقة غير المباشرة في تقديم وعي الشخصية، ولم يترك الشخصية أن تقدم وعيها بذاتها.ولكن هذا الحكم يبقى ناقصا إذا ما وقف المرء أمام القصة الثانية وهي "أبو القاسم يشارك في النهوض الجماهيري" حيث يجد المرء أن الشخصية تقوم بارتداد إلى الماضي، واختلط هذا الارتداد بالمناجاة الداخلية للشخصية وهواجسها مما يرقى في توظيف هذه التقنية إلى الأمام.

وظف الكاتب هذه التقنية في أكثر قصص مجموعته الأخيرة، ولعل أبرزها قصتا: " أسرار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدوري "و"فلاش باك"، سأقف عند القصة الأولى، أما القصة الثانية فقد توقف أمامها بعض الدارسين وتناولتها وأنا أدرس قصص السرد الذاتي.([1])

تبدو سمة الاسترجاع في قصة "أسرار الدوري"واضحة، ومن خلاله نستطيع معرفة ماضي الشخصية وهواجسها، ويشكل الاسترجاع حالة ذهنية تمر بها الشخصية، وتسهم في تعميق الحالة الشعورية الداخلية، وتعبر عن البواعث والأسباب التي حذت بالشخصية للانطلاق في الحدث القصصي نحو لحظة التنوير.

تكشف القصة عن رغبة مهند- الشخصية الرئيسة_ في الحصول على ورقة تثبت نضاله بعد قدوم السلطة الوطنية عبر اتفاقيات (أوسلو)، ولعل الدافع في ذلك رغبته في إثبات دوره النضالي ضد الاحتلال قبل قدوم السلطة، خاصة، بعد أن استفسر ولده كمال منه إن كان قد سجن أو اعتقل زمن الاحتلال، ولا يستطيع التصريح لولده بدوره النضالي التليد؛ لأنه ما زال يحتفظ بالسلاح الذي بحوزته، ولأن الشخص الذي نظمه _ وهو أبو عزيز_ توفي ولا يعرف أحد عن دوره النضالي، لهذا تستحضر ذاكرته التهنئة للعقيد أبي حسام الذي كان يعرف أبا عزيز، ويقرر السفر إلى غزة حيث مكان عمل العقيد.ولكن الكاتب لم يقدم الأحداث متسلسلة كما عرضتها، بل برز السرد في القصة على النحو الآتي :

_ يقوم السارد بتقديم الشخصية _مهند_، وهي من مدينة رام الله.

_ يبرز السارد مشاعر مهند حين تمر السيارة بمنطقة دير اللطرون حيث مبنى الإدارة المدنية.

- ينقل السارد هواجس الشخصية بعد ذلك.
- يرتد مهند إلى الوراء ليتذكر زوجته وهي تسأله عن أسباب ذهابه إلى مدينة غزة، وكيف أخفى عنها سر الذهاب وأسبابه.
- يقطع أحد الركاب الجالسين بجانبه حبل أفكاره حين يسأله :هل تذهب لأول مرة إلى غزة بعد أن جاءت السلطة إليها؟يرد عليه بالنفي، وبصورة موجزة ليعود إلى ذكرياته.
- يتذكر ما حصل بينه وبين ابنه علاء في إحدى الليالي، حين سأله ابنه :هل اعتقلت حتى تكون مناضلا؟ ولا يبوح لابنه بما في نفسه، ويشعر بالحرج.
- يعود السارد إلى الوراء مدة أسبوعين ليتذكرمهند التهنئة للعقيد أبي حسام.
- يرتد مهند إلى الوراء عشرين عاما ليعرض علاقته الشخصية بأبي عزيز الذي التقى به في عمان، حيث كانا طالبين، في مدينة رام الله، قبل ذلك اللقاء بعشر سنوات.

---

[1] _ينظر :ما كتبه الأسطة، عادل، في دراسته "النص وصلته بالنصوص الأخرى "، ص84.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- يأتي السارد على فترة طويلة من حياة مهند إبان الاحتلال، وبخاصة بعد أن نظمه أبو عزيز وأخذ ينقل السلاح من مكان إلى آخر.
- يسرد السارد ما حصل مع مهند قبل أربع سنوات، عندما انقطعت صلته بالثورة، بعد موت أبي عزيز، وبذلك لم يبق أحد يعرف عن ماضي الشخصية النضالي.
- يتذكر مهند أن أبا حسام هو الوحيد الذي يعرف السر.والآن هو موجود في مدينة غزة، في قوات الأمن الوطني.
- يعود مهند من شروده الذهني عندما تقترب السيارة من حاجز (ايرز).
- يسرد السارد ما دار بين مهند والعقيد أبي حسام في مدينة غزة، ورغبة مهند في الحصول على ورقة تثبت انتماءه الثوري، وكيفية التصرف بالسلاح الذي بحوزته.
- يلبي أبو حسام رغبة مهند في حصوله على ورقة تثبت نضاله.

وهكذا نجد الكاتب وظف تقنية الاسترجاع لتشكل معظم القصة، كشف من خلالها ماضي الشخصية التي تواجه أزمنة وأمكنة متعددة ومختلفة. وبدأ الاسترجاع منذ اللحظة الأولى في عملية السرد، لأن الماضي يشكل الدعامة الأساسية في مسار الأحداث، وهو المحور الأهم في القصة ؛لأنه يسترجع سنوات خلت من التاريخ النضالي للشخصية التي قامت بعملها على أكمل وجه وبإخلاص، وكانت حلقة وصل إيجابية بين الماضي والحاضر في إثبات المواطنة الصالحة، وتكشف كذلك عن الأسلوب الذي كانت تنتهجه الثورة في السابق، من خلال الكفاح المسلح، وطبيعة التغيرات المفترضة بعد توقيع الاتفاقيات.

ب_ الحوار الداخلي (المونولوج)

وهو شكل جديد من أشكال المعالجة الفنية عند كتاب القصة، يقوم على تحليل المشاعر والرغبات والأفكار التي عليها الشخصيات".([1])بعيدا عن تقديم الحدث أو الحوار الملفوظ، ومن غير تقيد بالترتيب النحوي والمنطقي للكلام، ويستمد الحوار الداخلي طاقته التعبيرية من قدرة الراوي على تسجيل الجو الباطني لشخصياته، وهي تؤدي حدثا معينا حتى يستطيع الراوي استبطان الذات ورصد ومضات الوعي وتدفقاته إزاء أي موقف في الحياة استدعاءً وتصورا وتركيبا."([2]) ومن "ميزة هذا التكنيك أنه يقدم الاستبطان دون تلخيص، فلا يشعر القارئ بتصرف الراوي فيه ... ومن طبيعة المونولوج كذلك، الإبطاء في الحركة القصصية بعكس السرد الخارجي الذي يضغط فترات زمنية طويلة في قليل من

---

[1] _ امبرت، انريكي أندرسون، القصة القصيرة النظرية والتقنية، ص289.

[2] _ عبد السلام، فاتح، الحوار القصصي:تقنياته وعلاقاته السردية، ص67.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلمات، كما أن المونولوج يعود بالحركة القصصية إلى الـوراء أو أنـه يتوقـف علـى الحاضر، لكنه لا يتقدم إلى الأمام."([1])

وذهب (انريكي أندرسون) إلى أن هناك مستويان لتقديم المونولوج في السرد القصصـي هما :

" 1 –طريقة الحوار الداخلي غير المباشر :يقوم الراوي العليم بتقديم مشاعر الشخصية من خلال استخدام بعض الكلمات التي تشعر بذلك، مثل: فكـر، شـعر، خـاف..قـال فـي نفسه..وهنا يقف الكاتب عند القشرة الخارجية لوعي الشخصية، وعـادة يسـتخدم ضـمير الغائب.

2- طريقة الحوار الداخلي المباشر "وتقوم هنا الشخصية بتقديم وعيها دون تدخل من الراوي الذي يترك للشخصية للتعبير عن هواجسه ومخاوفها وتقديم وعيها بذاتها من خلال اسـتخدام ضمير المتكلم."([2])

ولكن هل وظف هنية هذا التكنيك الفني في قصصه ؟وما الغرض منه ؟ومتى استخدمه ؟ يستطيع المرء أن يلمس هذا التوظيف من خلال مجمل نتاجه، وقد تراوح هذا التوظيف بين مجموعة وأخرى، وكان جزئيا في بعض قصصه، في حين اعتمد هذا البناء بطريقة شـبه كلية في بعض قصصه الأخرى.

برز التوظيف الجزئي في قصة"ليل بارد...واحتمالات أخرى "، يستطيع المرء أن يكشف عن أعماق الصراع الكامن في نفس الشخصية والهواجس التي تعتمل في صدرها من خلال أثر الخارج السلبي بكل معطياته على الواقع النفسي للشخصية. يحضر الخارج في القصـة، من أقوال المذيع الذي ينقل زيارة السادات لمدينة القدس، ومن خلال تلـك العبـارات التـي يطلقها عن سيادة القانون والعدل والأمان والسلام والطمأنينة والعيش الرغيـد. أمـا البطـل فيسخر من أقوال المذيع، ويشعر بالمرارة من أقواله "يتأوه.. يمد يده نحو كتفه حس بـالألم "هذه ديمقراطيتهم وسيادة قانونهم "..يمد يده نحو ساقه يتحسس الجرح الغـائر "هـذه نتـائج مزايدتي و غوغائيتي ومواجهتي للأعداء في المعارك "...يلتقط سيجارة، يشعلها...الشوارع خالية..."لم تأتِ بعد".([3]) ويعمد الكاتب إلى حصر المونولوج ووضعه بين علامتي تنصيص حتى يميز السرد الداخلي عن سياق السرد العادي، ويأتي الحوار الداخلي _أحيانـا_ علـى

---

[1] _ غنايم، محمود ، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، ط1، بيروت، دار الجيل، 1992، ص25/24.

[2] _اعتمدت في هذا التقسيم على تقسيمات انريكي للمنولوج، ص302/301.

[3] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص134.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكل سردي حيث يقدم وعي الشخصية من خلال الراوي العليم، كما هو الحال في المقطع السابق حيث قدم نوعين من المونولوج.

والشيء نفسه، يعثر عليه المرء في قصة"ظهيرة يوم رجل حزين "، فأبو أحمد هو نموذج للعامل الفلسطيني العادي تنازعه عوامل :العوز والفقر، وعدم توفر فرصة عمل في مدينته، مما يدفعه للبحث عن فرصة عمل، مثل باقي عمال مدينة القدس، ليجد نفسه في إحدى المستوطنات المقامة على أراضي الضفة الغربية، وعامل الواجب الوطني الذي يقضي بضرورة مقاطعة العمل في المستوطنات من ناحية ثانية ؛فيدخل في صراع نفسي مرير بين الحاجة والواجب، لكن صوت الواجب ينتصر في النهاية، حين يقرر في نفسه: "لن أعود إلى هنا غدا" أحس بدمعة حقيقية تهبط من عينيه وأحس بدوار في رأسه وكان الرجل يواصل عمله قرب البيت الشيدي الأبيض ""هل كان يجب أن آتي هنا ؟"تساءل، شعر بحاجة إلى الراحة والدوار يشتد وبالغثيان :وحاول أن يمنع الدموع من الانهمار من عينيه أمسك بالفأس بقوة رفعها عاليا وهوى بها على الأرض اصطدمت بجسم صلب واصل الحفر حوله... اكتشف بقايا جذع زيتونة تمتد بجذورها في الأرض انقبض ووضع أصابعه حول رقبته شاعرا في الحاجة لقذف ما في جوفه ثم هبط منهارا ضعيفا على الأرض يتطلع حوله بحيرة."([1])

ومن خلال هذا النص المجتزأ يستطيع المرء أن يلمس مستويين في تقديم وعي الشخصية: الأول، تقوم فيه الشخصية بتقديم وعيها بذاتها دون تدخل من السارد، وعمد الكاتب إلى وضعه بين علامتي تنصيص.أما المستوى الثاني، فكان يقدم من خلال وعي السارد من خلال الإتكاء على ألفاظ: أحس"، "شعر"، يشعر".

ويلمس المرء الارتقاء بهذه التقنية في مجموعته الأخيرة، وخاصة في قصص"بوح سريري و"فاصل طويل " و"سحرالحب"، من خلال اصطناع ضمير المتكلم في السرد، ولهذا الضمير القدرة في إبراز وعي الشخصية والإحالة على الذات دون تدخل من الكاتب في تلخيص وعي الشخصية أو تقديم وعيها من خلاله.

5-التجريب في الشكل القصصي:

يرى (إنريكي امبرت) أن" القصة القصيرة هي أحد أشكال فن السرد القصصي ولما كانت شكلا فلا يمكن أن تكون غير متبلورة.إلا أن الكثير من كتاب القصة القصيرة المعاصرين مولعون بالتجريب وبذلك كسروا كل الحواجز الخاصة بالبنية القصصية، ورغم

[1] _ هنية ، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك ففي الحالات القصوى هناك شكل بالإضافة إلى الحد الأدنى من التماسك، إذ بدونه يصبح العمل غير صالح للقراءة."([1]) ويقوم الكاتب "في هذا الشكل بالتخلي عن وجود الراوي وعن الشخصيات والحبكات والترتيب الزمني والمكان."([2])بعكس القصة التقليدية التي كانت تلتزم بهذه القواعد.

برزت محاولات عدة للخروج عن الشكل التقليدي للقصة القصيرة في العالم العربي، ولقد ظهرت تلك المحاولات في جيل الستينيات والسبعينيات، في محاولة لرفد القصة القصيرة بشكل جديد يضمن استمراريتها وحيويتها، ولقد كان للرواية والقصة القصيرة الغربية أثر واضح في دفع القصة إلى الأمام من خلال الاستفادة والاستعانة بتقنيات الفنون الحديثة في مجال السينما والتصوير والإذاعة والتلفاز، " فاقبل بعض كتاب القصة القصيرة الفلسطينية على تجريب هذه الأشكال القصصية الجديدة مما أغنى القصة المحلية ورفدها بعطاء جديد".([3])

ولقد استفاد أكرم هنية من هذه التقنيات الحديثة، ونوع في أشكال فنه وقصه، وشهد له معظم من تصدوا لأعماله بالدراسة، ويرى الأسطة "أن التجديد في أسلوب القص هاجس أساسي من هواجس الكاتب ولا اعرف شخصيا[والقول للأسطة] في حدود ما قرأت من قصص قصيرة لكتابنا، لا اعرف كاتبا نوع في أسلوب قصه قدر أكرم هنية ومحمود شقير وأظن أنهما قاصان قدما للقصة الفلسطينية القصيرة من حيث البناء الفني ما لم يقدمه قاص ثالث تقريبا".([4])

ولقد ظهر التجريب في الشكل القصصي لدى الكاتب عبر أسلوبين:

أ_أسلوب القطع:

يقوم هذا الشكل القصصي على "تقسيم القصة إلى عدد من اللوحات أو المقاطع والاستغناء عن الروابط المادية اعتمادا على إدراك القارئ الذي يطالب باستخلاص وحدة الجو الداخلي بنفسه."([5])"والتركيز على عنصر اللغة لإكساب العمل القصصي شفافية تقربه من الشعر، بالإضافة إلى توظيف الرمز الجزئي داخل بنية القصة."([6])"ووحدة العمل القصصي فيها لا تعتمد على تسلسل الأحداث ولكن على البيئة التي تتحرك فيها القصة، أو

---

[1] - أمبرت، أنريكي أندرسون، القصة القصيرة النظرية والتطبيق، ص196.

[2] _السابق، ص196.

[3] _ الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص125.

[4] _ الأسطة، عادل، "النص وصلته بالنصوص الأخرى، ص87.

[5] _ الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص123.

[6] _ السابق، ص123.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الشخصية الأولى فيها، أو على النتيجة العامة التي ستنجلي عنها الأحداث أخيرا".([1])و"أفادت القصة القصيرة في بنائها هذا من السينما من خلال نظام اللقطات للخروج بعنوانات فرعية ولوحات بأسماء الشخصيات في قصة ذات حبكة مفككة."([2])ويرى (انريكي) أن"كلا من السينما والقصة تتفقان في السرد، فالفيلم بصورة مركبة والقصة القصيرة بالكلمات والجمل.ومونتاج الفيلم يساوي العلاقات النحوية في جمل القصة."([3])

وظف أكرم هنية هذا الشكل الجديد، في قصتين من مجمل نتاجه، وهما: "ذات موت..ذات مدينة "و "المرحلة " في مجموعتيه الأولى والثانية، في حين عزف عن توظيف هذا الشكل في مجموعاته اللاحقة. ويلحظ المرء اختلاف موقف الكتاب والنقاد الفلسطينيين من هاتين القصتين، إذ تراوح موقفهما بين مادح وقادح على صعيد الشكل، وخاصة قصة "ذات موت...ذات مدينة"، ففي حين بشر بعضهم بعطاء جديد رفد القصة المحلية، كما هو حال كل من إبراهيم العلم وعادل الأسطة ونبيل علقم([4])، إلا أن فريقا آخر ذهب إلى، " أنها خواطر غامضة لا قيمة فنية وراءها."([5]) وأنها "أسوأ قصة في المجموعة حيث لا نجد لها شكلا ولا مضمونا، مجرد فقرات على شكل خواطر غامضة ولا مجدية."([6]) وهذا الاختلاف في وجهات النظر يكشف أن هنية تجاوز المألوف في هاتين القصتين، على صعيد الشكل والبناء، من خلال محاولاته المتكررة في التجديد في الفن القصصي وتجريب طرق جديدة لم يألفها بعض الكتاب على صعيد القصة المحلية.ولهذا سأبحث عن وسائل التجديد على صعيد البناء الفني في هاتين القصتين.

تتكون قصة "ذات موت ...ذات مدينة" من ستة مقاطع هي:

-إشارة لا بد منها

-الرجل

-المرأة

-اللقيا

---

[1] _ نجم ، محمد يوسف، فن القصة، ص73.

[2]- عبد السلام، فاتح، الحوار القصصي :تقنياته وعلاقاته السردية، ، ص64.

[3] _ أمبرت، أنريكي أندرسن، القصة القصيرة النظرية والتقنية، ص261.

[4] ينظر:ما كتبه العلم، إبراهيم، ص35. والأسطة، عادل، ص54. وعلقم، نبيل، ص61، ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح.

[5] _ينظر: ما كتبه السواحيري، خليل، ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص37.

[6] _ينظر:ما كتبه العيلة، زكي، ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص39.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-فلاش باك: _وجهة نظر أولى

_وجهة نظر ثانية.

-الفراق مرة أخرى

أما القصة الثانية "المرحلة"، فتتألف من أربعة مقاطع هي :

-نهار

-حديث

-لقاء

-حب

في القصة الأولى، يتنامى الحدث عبر لوحات متتالية، في اللوحة الأولى يصور الكاتب شارعا يموج بالحركة.وفي اللوحة الثانية نلمح رجلا مضطربا يسير في مدينة كبيرة، ثم يشاهد المرأة. وفي اللوحة الثالثة تلمحه المرأة، ويحاولان الاقتراب من بعضهما، لأنه يجمعهما علاقة حميمة في الماضي، لكنهما لا يستطيعان الاقتراب بسب أجواء القمع التي تسود المدينة.أما المقطع الخامس(فلاش باك)، فيظهر الرجل يحدثنا عن تجربته مع الفتاة وسر خفوت العلاقة بينهما، في حين تظهر الفتاة في وجهة نظر ثانية، تحدثنا عن تجربتهما معا، وسر خفوت العلاقة بينهما. وفي المقطع الأخير يفترقان ولا يستطيعان اللقاء والتواصل.([1])

وفي القصة الثانية، "ينتقل الكاتب في عرض الحدث عبر لوحات، فيتنامى الحدث بعفوية وصدق فني.ففي اللوحة الأولى تستوقفنا صورة لرجل المخابرات الذي يقوم بوظيفته غير متحمس لها، وتتناول اللوحة الثانية حديث الناس في سيارة الأجرة وفي الدائرة التي يعمل فيها حول شؤون يومية صغيرة تظهر انصرافهم عن التفكير في قضايا أولى بالاهتمام.أما اللوحة الثالثة ففيها تقوم مقابلة بين بطل القصة وضابط المخابرات.وتبرز اللوحة الرابعة لقاء البطل بالحبيبة التي يزمع أن يخطبها إلى أبيها."([2])

يلحظ المرء أن الأحداث في هاتين القصتين لا تتطور على النحو الذي عرفناه في القصة التقليدية:البداية والوسط والنهاية.بل نلحظ غياب التسلسل والترابط في الأحداث، وتقوم كل لوحة بعينها بمشهد خاص تربطها وحدة الانطباع والفكرة العامة التي يستخلصها القارئ بعد الانتهاء من قراءة النص، وهذا يؤدي إلى غياب العقدة السببية لتحل محلها العقدة المفككة، ولا نغالي إذا ما قلنا بعدم وجود العقدة البتة.

---

[1] ينظر :ما كتبه الأسطة، عادل، القصةالقصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص127/126.

[2] _ العلم ، إبراهيم، الدخول إلى حبر الروح، 36/35.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يقتصر الأمر على أحداث القصة، بل يمتد ليطال عنصري الزمان والمكان فيها، أما الزمان فهو مبهم وغير محدد، ولا تتضح معالم المكان فهو مكان غير محدد، في مدينة ما غير معروفة بالاسم، وإن كانت أجواء هذه المدينة أجواء مرعبة وغير طبيعية وغير سوية؛ لذلك يعيش أصحابها وسكانها حياة قلقة مرعبة، بسب القمع الذي يسودها، لذلك نجد الرجل والفتاة يرغبون في التواصل واللقاء مع بعضهما، إلا أن أجواء المدينة لا تسمح بذلك ؛لهذا لم يتم اللقاء، وتنتهي القصة بالتالي: "لا شمس في السماء".فالإبهام والغموض وعدم التحديد هما السمتان اللتان تعكسهما القصتان. بعكس القصة التقليدية التي تحفل بعنصري الزمان والمكان لتحديد إطار وقوع الحدث وزمانه.

ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل يمتد ليطال الشخصية، إذ يهتم الكاتب في الشكل التقليدي برسم ملامح شخصياته وأسمائها وصفاتها، لكن في هاتين القصتين لا يعتد الكاتب بأسمائهم:رجل ما وامرأة ما ورجل مخابرات.

أما الحوار الخارجي بين الشخصيات، فلا يبرز في القصة الأولى، في حين يظهر في القصة الثانية، لكن يبقى المهم هو الجانب الفكري الداخلي للشخصية والذي نطلع عليه من خلال وعي الشخصية من خلال تيار الوعي، و يحتل مساحة أكبر من الحوار الخارجي، والدليل على ذلك، في القصة الأولى، تبدو الرغبة الشديدة للشخصيات في الحوار والتواصل، إلا أن الظروف الموضوعية تحول دون ذلك الحوار الخارجي، بسب القمع، لتعود كل شخصية إلى ذاتها.وفي القصة الثانية، لم يستطع السارد الحوار والحديث مع ركاب السيارة، على الرغم من سماعه ما يدور بينهم، ووعيه والتزامه الوطني بضرورة تحسس مشاعر الجماهير وهمومها، بسب الخوف الشديد الذي يشعر به.في حين ظهر الحوار في القصة في موضعين :الحوار مع رجل المخابرات، والحوار مع الذات.ولعل السبب في ذلك يعود إلى حالة الخوف التي تعتري الشخصية من الآخرين.

ب_ توظيف المذكرات والرسائل:

يعتمد أسلوب المذكرات والرسائل في بنائه على تقديم الأحداث عن طريق المذكرات والرسائل. والمذكرات والروايات الفلسطينية، والقصص التي سلكت هذه الطريق في بنائها، كما يرى يوسف الحطيني، نادرة جدا " وإن كانت بعض الروايات لا تخلو من رسائل عابرة واعترافات ومذكرات قصيرة أو مقتطعات تسهم في خلق المنطق الروائي ولا تجعل من هذه الطريقة أساسا في بناء الحدث."([1])

[1] _ الحطيني ، يوسف، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص73/72.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذهب محمد يوسف نجم إلى أن لأسلوب المذكرات والرسائل فوائد عديدة "تتجلى في إتاحتها للكاتب للتعبير عن الأحاسيس والعواطف التي تعتمل في نفوس مختلف الشخصيات بحرية وانطلاق، كما أنها تساعد على الإرهاص والتنبؤ بالمصائب قبل وقوعها وبالنتائج قبل تكشفها إلا أنها إذا وقعت بين يدي كاتب محدود الموهبة، انقلبت إلى صورة مضطربة قبيحة، تتضح بالتكلف والافتعال. "([1])

ويزيد (تزفتيان تدروروف) على ما سبق أن" ميزة استخدام الرسائل تساعدنا في الإطلاع على كافة وجوه الشخصيات من خلال رسائلها الخاصة ...لان الرسائل تكتبها عدة شخصيات حول حدث واحد (أو شخصية واحدة) تعطينا رؤية" تعددية_ مجسمة".وتبين الرسائل كذلك طريقة الشخصيات في إدراك الأحداث المروية، وبما أن ليس للرسائل سوى متلق واحد عموما، فالشخصيات اقل إطلاعا من القارئ."([2])ويرى عادل الأسطة في أثناء كتابته عن القصة القصيرة في الأرض المحتلة "أن القصص التي صيغت بهذه الطريقة لا تتعدى أصابع اليدين".([3])

وظف الكاتب أكرم هنية هذه الطريقة توظيفا جزئيا في قصة يتيمة في نتاجه، وهي قصة"شهادات واقعية حول موت المواطنة "منى "ل" "، وشهد لهذه القصة معظم من اطّلع عليها وكتب عن أدب الكاتب.

يلحظ القارئ أن القصة لا تسير، كما تسير القصة التقليدية، ولم تسرد أحداثها سردا زمنيا منتظما :بداية، وسط، نهاية، وإنما يبدأ السرد من لحظة النهاية، وهو خبر وفاة فتاة، تدعى منى"ل" تبلغ من العمر سبعة وعشرين عاما، في شقتها، ويعتقد أنها أقدمت على الانتحار ويعود المحرر الصحفي الذي انتبه لخبر وفاتها، إلى الوراء ليتذكر أنه التقى بهذه الفتاة وله علاقة سابقة معها ومعرفة حميمة بها. ويعتمد الكاتب في كشف جوانب الشخصية من خلال جمع المعلومات من بعض الشخصيات التي كانت لها صلة بها، مثل: عامل المقهى، وطالبة في الثانوية درستها منى، وزميلة أخرى ل"منى" في المدرسة، والاتصال بمحقق قام باستجواب منى قبل وفاتها، و تقرير الطبيب الشرعي :وسعيد "م"خطيب منى، وسامية إحدى صديقاتها.والإطلاع على مذكرات منى، وما كتبته في إحدى الصحف العربية الشهرية.. ويبدو دور السارد في القصة جمع المعلومات وترتيبها وقد ارتدى قناع الناشر

---

[1]ـ نجم، محمد يوسف، فن القصة، ص84/83.

[2] ـ تودوروف، تزفتيان، الأدب والدلالة، ترجمة محمد نديم حشفة، ط1، حلب،.مركز الإنماء الحضاري، 1996، ص34.

[3]- الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص122.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يجمع المعلومات، في حين أفسح المجال لتعدد وجهات النظر في القصة، مما أفسح المجال للقارئ أن يبقى في حالة ترقب شديدة لمعرفة ردود رسائل الشخصيات المختلفة له. وتجدر الإشارة_ كذلك_ إلى أن الكاتب مارس في هذه القصة لعبة الإيهام من خلال الاعتقاد بواقعية القصة، فالقارئ للوهلة الأولى يظن أن القصة وقعت بالفعل؛ لأن كاتب القصة مشارك في أحداثها باسمه وبوظيفته الصحفية التي كان يشغلها مما يوهم القارئ بواقعيتها، وهذا مكن الكاتب من طرح قضية منى التي تجسد قضية المرأة بشكل عام. وأفسح مجالا للقارئ ليبلور موقفا خاصا عن أسباب موتها وترك له المجال ليتوصل إلى أسباب موتها دون أن يصرح به الكاتب .ومنح هذا الأسلوب الكاتب قدرة أكبر في التنقل في الزمان والمكان.

ب_ ظواهر فنية في قصص أكرم هنية:

1__الرمز:

يعدل بعض الكتاب عن تصوير الواقع من خلال توظيف الرمز، ويرجع السبب في ذلك، كما يرى الكاتب سمير حجازي، إلى عدد من العوامل "بعضها يرجع إلى شخص الكاتب، وبعضها يرجع إلى الواقع نفسه. فالكاتب يمكن أن يواجه موقفا معينا يترتب عليه زيادة درجة التوتر إلى نسبة معينة، تجعله يرى الواقع الخارجي بصورة مغايرة لأشكاله المألوفة، بحيث ينقل إليه دلالات جديدة تمليها عليه فاعلية الموقف، والكاتب قد يضطر في أحيان أخرى إلى أن يوظف الرمز للتعبير عن وجهة نظر معينة لا يريد التعبير عنها بأسلوب مباشر، فقد تتعارض مثلا آراؤه مع أيديولوجية الطبقة الحاكمة، أو مع بعض القيم السائدة في عصره".([1])

وقد فرقت الكاتبة فاطمة الزهراء عند دراستها العناصر الرمزية في القصة القصيرة بين طريقتين يلجأ إليهما الكتاب عادة في توظيف الرمز، هما :"الرمزية الموضوعية التي تتعامل مع أيسر مستويات الرمز لأنها تعتمد على الطرق التقليدية في السرد والبناء واستشفاف الرمز من الموضوع بكليته أو من شخصية ما أو موقف يحمل الدلالة موحيا بفكرة أو قضية، ولكنها في نهاية الأمر تلتزم بالواقع والبناء التقليدي...كاستخدام الحلم واللاشعور وربط الواقع

---

[1] _ حجازي، سمير، التفسير السوسيولوجي لشيوع القصة القصيرة"، فصول، المجلد الثاني، العدد 4، القاهرة، 1982، ص161.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النفسي للشخصيات مع الواقع الخارجي..ولذا يمكن أن تكون القصة بهذا التكوين كتابة عن فكرة أو قضية، وقد اكتسبت صفة الإيماء وهي إحدى خصائص الرمز."([1])

و "الرمزية الفنية فهي تتجنب البناء التقليدي وتتحول إلى التجريد الذي تطالعنا فيه ضبابية الحدث والأسلوب الذي يتضمن خصائص الشعر...وتقدم الرمزية الفنية الشخصيات في إطار تجريدي، يضفي عليها تعددا في الدلالة، وفيها يختصر الزمن في لحظات نفسية مكثفة تعتمد التركيز على اللحظة أو الموقف الشعوري.ويبدو الرمز الفني في تراسل مع النوازع النفسية والفكرية والشعورية التي تدفع بهذه اللحظة أو الموقف إلى النمو والتصاعد."([2])

يجد المرء بعض قصص الكاتب التي أتى فيها على توظيف مثل هاتين الطريقتين من خلال توظيف الرمز الجزئي والرمز التاريخي والتراثي، والرموز التراثية التي وظفها مستقاة من الأدب العربي القديم الفصيح ومن الأدب الشعبي أيضا.الأولى هي:النابغة الذبياني والنعمان بن المنذر.وأما الثانية فهي:الشاطر حسن، وأبو زيد الهلالي، والزناتي خليفة. سوف أتناول هذه القصص بقدر من التفصيل.

أ_الرمز الجزئي:

مال الكاتب في قصة"القرار" إلى توظيف بعض الألفاظ مثل "السائل الهلامي" و"خروج بعض السوائل من جوف الأرض" ليرمز إلى خطر انتشار المستوطنات على أراضي الضفة الغربية، كما استخدم لفظة العقارب في قصة"مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما "ليرمز إلى الاحتلال الصهيوني، وعصفور الدوري ليرمز إلى الحيطة والحذر كما في قصة "أسرار الدوري"، لكن استخدام الرمز الجزئي في قصص الكاتب كان واضحا، يستطيع المرء بيسر وسهولة أن يستشف المعنى المراد، بعكس بعض القصص التي استخدم فيها الرمز بشكل كلي والتي تحتاج إلى عناء من القارئ ليستشف مضمونها ويفك إشاراتها، كما في قصص "السفينة الأخيرة الميناء الأخير"و"أربع شرفات وأحلام زائدة"و "عندما أضيء ليل القدس"، وإن كان الرمز في القصة الأخيرة أوضح منه في القصتين السابقتين.

في القصة الأولى، يجد المرء نفسه أمام شخصية منهكة تركض خلف سفينة للحاق بها للهروب من واقع مزر تعيشه في مدينة ما يسودها القمع، وتبدو الشخصية متخبطة في مواقفها وأفكارها، ولا تستطيع في نهاية القصة اللحاق بالسفينة، ويبقى مصيرها غامضا غموض زمان القصة ومكانها.ويبدو أن الكاتب حاول في بداية مشواره الميل إلى استخدام

---

[1] _ الزهراء، فاطمة، العناصر الرمزية في القصة القصيرة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، (د.ت)، ص57.

[2] _الزهراء، فاطمة، العناصر الرمزية في القصة القصيرة، ص58/57

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرمز، لكنه لم يوفق في ذلك ؛مما جعل القصة خواطر غامضة ومبهمة لا تستطيع البوح بمضمونها.

أما في قصة" أربع شرفات وأحلام زائدة" فيصف المكان الذي يقيم فيه السارد في مدينة صغيرة، في بناية مكونة من أربع شقق، أمام محطة القطار، ولا نعرف اسم المدينة، ولا أسماء الشخصيات، ولا زمان وقوع الأحداث.

يقف المرء عاجزا في الخروج بمعنى يمكن الركون إليه بعد قراءة القصة، بسب ضبابية المواقف التي تعيشها الشخصيات، وحالة التناقض التي تمر بها الشخصيات، فما هو أكيد في حياة الشخصيات ليس أكيدا، ولا نستطيع التكهن بواقع الشخصيات وخلفياتها الاجتماعية، ولا نعرف سر حركة الترقب والانتظار التي يعشها الجميع في انتظار المجهول، لكن المرء يعيش لحظات من الترقب والانتظار ويظل مشدودا لمعرفة ما ستؤول إليه الأمور في النهاية، ويشعر بحالة من الخوف والحزن والغرابة والدهشة لواقع المكان وقسوته على السارد والشخصيات الأخرى، وهكذا تبقى القصة برموزها تحمل دلالات يصعب على المرء الخروج بإحداها.ويرى أحمد دحبور أن الرمز في القصة من الحساسية بحيث لا يحتمل التأويل الأليغوري.أي أن الكاتب لا يريد أن يرمز إلى هذه القضية بتلك الشخصية، ولكن يتحسس مناخا خانقا، ويعاني شعورا بالضيق والفقدان.بل أن تحلل البطل ورائحته العفنة التي تضيق بها الحبيبة، إثبات فادح بأنه ليس مجرد مراقب.بل هو جزء من المشهد.([1])

تعد قصة "عندما أضيء ليل القدس "نموذجا جيدا للقصة الرمزية التي اعتمدت الرمز الواضح. اعتمد الكاتب على وجهات النظر في سرد أحداث القصة من خلال مسرحة الحدث حيث منح كل شخصية حرية التعبير عن وجهة نظرها دون تدخل مباشر منه.

يجد المرء شخصية كل من المؤلف والطفل والفتاة والرجل ورجل الضوء.يصف المؤلف منظر قدوم أهل القدس والقرى المجاورة، وقد تجمعوا في ليلة رمضانية في مدينة القدس حيث يشاهدون نورا ساطعا "رجل الضوء"، وتتعدد وجهات نظرهم حول هذا الرجل وأسباب قدومه في تلك اللحظة بالذات، فيرى فيه الطفل_والذي أول من شاهده_ والده الذي فقده، في حين تجد فيه الفتاة حبيبها الذي طالما تنتظره، في حين يجد فيه الرجل صديقه الذي استشهد في مواقع كثيرة، وهو على يقين تام بأنه لم يمت حتى الآن، وهو ما زال في انتظاره.

أما رجل الضوء فيكشف للجميع عن نفسه : لقد قاتل في معارك كثيرة، وهو الكنعاني الأول، وهو الذي وقف في وجه أول سفينة أغراب حطت على الساحل الفلسطيني منذ عام

[1] _ دحبور، أحمد، اكرم هنية يسرد "أسرار الدوري"، الحياة الجديدة، ص14.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1882م، وأن له قبرا في الأردن ولبنان...، وانه انبثق من بين حشود المتجمعين في مدينة القدس.

وهكذا نجد التوحد بين رجل الضوء والمجتمعين، لكن في نهاية القصة يلعلع الرصاص من قبل حرس الحدود فيعكرون صفو لحظة الفرح تلك، ويجرح رجل الضوء ...ويرفرف العلم عاليا.إن رجل الضوء هو الفدائي الفلسطيني الذي مثل في مكان ولقب في مكان آخر.

ب-الرمز التاريخي :

من الأشكال الأخرى لتوظيف الرمز لدى الكاتب اعتماده على مرجعيات تاريخية في بناء قصته والاستفادة من بعض الأحداث والوقائع التاريخية وإسقاطها على الواقع المعيش، أو استعارة الأجواء التاريخية.وقد ظهر ذلك في قصتين :

في قصة "عبر النافذة"، يستعير الأجواء التاريخية من خلال استخدام أسماء تاريخية غير معروفة بالاسم، مثل: الوزير، الحاكم، الرعية، وبعض الألفاظ القديمة، مثل:القصر، إلا أن المرء يعثر على بعض المفردات العصرية التي تحيل على الزمن الحاضر وتومئ إليه.([1]) والشيء نفسه، يعثر عليه المرء في قصة "النابغة الذبياني يهجو النعمان بن المنذر" والتي استعار أجواءها من التاريخ العربي القديم، وعليه سأقف بالدراسة أمام كيفية توظيف الكاتب للرمز التاريخي في هذه القصة.([2])

يوظف الكاتب، شخصية الشاعر النابغة توظيفا فنيا، من أجل معالجة قضايا سياسية معيشة، ليس بهدف إحياء هذه الشخصية بطريقة تسجيلية. ويظهر هذا، من خلال أوجه التشابه بين ما ورد في المصادر التاريخية وما يرد في القصة ، فنلاحظ الشخصيات تعيش في أجوائها التاريخية وبعلاقاتها المأثورة عنها، وبطبيعة عملها التي تتفق وواقعها التاريخي والأدبي الذي وصل إلينا من المصادر الأدبية.

فالنابغة شاعر جاهلي، أثر عنه اتصاله بالنعمان بن المنذر ومدحه إياه في قصائد كثيرة، وقد تحول النابغة عن مدح النعمان نحو خصومه التقليديين (الغساسنة) ؛ مما أثار حفيظة النعمان، كما وتشير المصادر التاريخية([3]) إلى أسباب شخصية أخرى أدت إلى فتور العلاقة بين الطرفين، منها :التشبيب بزوجة النعمان، ووشاية المنخل اليشكري الذي سعى بين

---

[1] ينظر:ما كتبه الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص135/136.وما كتبه، و العيلة، زكي، ص44، أبو لبدة ، حسن، ص 52، علقم، نبيل، ص60، ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح.

[2] ينظر :ما كتبه كل من العيلة، زكي، ص44، أبو لبدة، حسن، ص 52، علقم، نبيل، ص60، ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح.

[3] _ ينظر: الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني، ط1، القاهرة، مطبعة التقدم، 1978، ص40-46.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرجلين، لكن النابغة في النهاية استطاع التغلب على هذه المصاعب، ونظم اعتذاراته للنعمان، وساد الوئام بين الشخصيتين حتى مقتل النعمان بن المنذر.([1])

يتناول القاص في نصه مرحلة سوء التفاهم بين الشاعر والحاكم، ليبني قصته. فصوّر النابغة الذبياني أشعث، أغبر، يجوب الصحاري من أجل الوصول إلى ممدوحه، ليثبت له كذب الوشاة، وليدافع عن مصلحة القبيلة. ويصل النابغة إلى الحيرة، لكنه يصد من النعمان وجنوده ؛لأن قصائد الشاعر وقصائد غيره لم يعد يصغي إليها الناس.ويلقي الحراس النابغة خارج القصر بطريقة مهينة، وبعد ذلك ينظم قصيدة في هجاء النعمان بن المنذر.

ومن خلال التعالقات النصية بين القصة ومصادرها التاريخية والأدبية نجد تطابقا وتقاطعا بين ما ورد في القصة وبين ما ورد في المصادر التاريخية، من خلال الأجواء العامة التي وظفها القاص لتنسجم وأجواءها التاريخية، مثل: القصر والصحراء والحيرة عاصمة المناذرة والمتجردة زوجة النعمان بن المنذر، إضافة إلى أسماء الشخصيات الأخرى التي تتطابق في اسمها ووظيفتها مع النص التراثي، وتوظيف المفردات القديمة، في محاولة من القاص في خلق أجواء تاريخية تتوافق وواقع الشخصيات من أجل خلق التواصل مع القارئ ليعيش مثل هذه الأجواء التاريخية.

ولكن القارئ ما أن يصل إلى نهاية القصة حتى يكتشف أن هناك تغايرا واختلافا بين النصين، يتجلى في وصف حالة النابغة، وموقفه من النعمان بن المنذر، وموقف النعمان من النابغة، وموقف الجماهير من كلتا الشخصيتين.

فالنابغة فيما وصل إلينا من مصادر أدبية "كان سيدا، شريفا من سادات قومه، وسيدا وقورا ذا خلق وشيم كريمة، فهو لا يتدنى في سفاهة ولا يبتذل في مجون."([2])، لكن القاص عكس هذه الصورة، وصوّره بصورة مهينة مبتذلة ودنيئة، يقف على عتبة الملك، ويلاقي الصد والمهانة والطرد من النعمان وحراسه، وهذا ما لا نعثر عليه في المصادر الأدبية، كما أننا لا نعثر على قصيدة هجا فيها النعمان بن المنذر، مما يؤكد أن القاص كان يستخدمهما كقناعين، ليجعل القارئ يبحث عن هذه الاسقاطات لهاتين الشخصيتين، من أجل إيجاد معادل موضوعي لهما في الحاضر، والبحث عن قصدية الكاتب من وراء هذا التوظيف.

وتجلت هذه القصدية من خلال علاقة الشاعر بالنظام وعلاقة النظام بالجماهير، فبدت هذه العلاقات سلبية، فالجماهير رفضت الشاعر الذي لا يعبر عن طموحاتها، وترفض الحاكم

---

[1] _ ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، مصر، دار المعارف، 1960، ص272/273.

[2] _السابق، ص273.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي لا يلبي مصالحها وتطلعاتها كذلك ؛ لذلك حين تحول الشاعر في موقفه السلبي وانحاز لصالح الجماهير أخذت تردد قصائده التي يهجو بها النظام.

وذهب فخري صالح إلى أنه في هذه القصة "نقص كثير متمثل في عدم القدرة على إعادة الطرح التاريخي برؤية معاصرة وقادرة على التجاوز. فالشخصية لا تتشكل من جديد وفي ثوب قادر على طرح فكرة الكاتب عن التحول بل تحتفظ الشخصية بصفاتها السلبية ...وحتى التحول الذي يأتي خاتمة للقصة نتيجة تأثرية وليست ثورة قادرة على التغير."([1])

ج_السيرة التراثية:

استفاد القاص في قصة "أمنيات محمد العربي "، من أجواء "ألف ليلة وليلة" وخاصة قصة "عبدالله البريّ و عبدالله البحري"([2])، وتدور أحداث القصة التراثية حول حياة صياد بائس يشكو سوء الحال وقلة المال وكثرة العيال، ولا يملك إلا شبكة صيد، فيأخذ شبكته إلى البحر ليصطاد السمك ولكنه يفشل عدة مرات، و في أحد الأيام يمرّ من باب الفرّان فيعطف عليه، ويمنحه حاجته من الخبز، ويقرر في اليوم التالي أن يذهب إلى البحر، ويلقى شبكته في الماء فتعلق بها جرة، فيكسرها، فيخرج منها مارد، فيشتد روعه هلعا وخوفا، لكن المارد يهدّئ روعه وتنشأ بينهما صداقة، ويعرض المارد على عبدالله بأن يأتيه بسلة من فواكه البر ليعطيه سلة من المجوهرات، فيوافق، وبعد ذلك، يعرض عبدالله المجوهرات التي حصل عليها من المارد في السوق ليبيعها، فيقبض عليه بتهمة السرقة من الملكة التي فقدت جواهرها، لكن الملكة عندما تشاهد المجوهرات التي بحوزته تجد أنها تختلف عن تلك التي سرقت منها، ويحكي عبدالله للملك قصته، فيقربه إليه، ويجعله وزيره. ويصبح ذا ثروة وسلطان.

تتشابه قصة الكاتب في أجوائها مع الحكاية التراثية، "فمحمد العربي صياد كادح تحمل إليه شبكته جرة قديمة يخرج منها مارد يسأله عن أمنياته، فيطلب الخبز واللحم ...والملابس لستر أجساد أولاده العارية...ويسأله المارد إن كان بحاجة إلى شيء آخر، فيطلب منه أن يخلصه من رجال المخابرات الذين ينتشرون في الشوارع....، ولكن المارد يرتسم على وجهه الذعر والرعب ويختفي وتختفي معه قطع الخبز واللحم والملابس والجرة."([3])

---

[1] _ينظر : صالح ، فخري، كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص42.وخول هذه القصة، أنظر:ما كتبه الأسطة، عادل في كتابه"دراسات نقدية"، ص.

[2] _ ينظر :ألف ليلة وليلة، ج4، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده بميدان الأزهر _مصر، (د.ت)، ص198-208.

[3] _ينظر : علقم، نبيل، الدخول إلى حبر الروح، 59.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتضح من خلال قصة الكاتب، أن هناك أجواء عصرية تمثلت في رجال المخابرات، وأجواء المدينة العربية المعاصرة، وأن لم يصرح القاص باسمها، إلا أن التصريح باسم، محمد العربي، يدل على أن هذه المدينة عربية. والقاص استفاد من الأجواء التراثية ليرمز إلى حال الإنسان العربي الذي يعاني الفقر والحرمان والقمع والتسلط.

أما القصة الأخرى التي وظف فيها الرمز التراثي فهي قصة "هزيمة الشاطر حسن"، استقى الكاتب شخصية الشاطر حسن من الحكاية الشعبية، ووظفها بطريقة جديدة، من أجل تعزيز مفهوم جديد يناقض المفهوم القديم.فالفرد في زماننا ما عاد له دور مثل الدور الذي كان يناط به في الأزمنة السابقة. يخبرنا الراوي في بداية القصة، عن موسم محل، حل بشعب الشاطر حسن؛ أهلك الزرع وأدى إلى انتشار الجوع في القرى والبلاد، يقف الناس إزاءه حائرين لا يدرون ما العمل، فيبادر الشاطر حسن لحل هذه المشكلة، ويبدأ رحلته الشاقة في البحث عن الماء، ويعده السلطان بست الحسن. يستطيع الشاطر حسن في المرة الأولى أن يجلب الماء لقومه ولشعبه، إلا أن الحال يعود إلى طبيعته الأولى، فيجف النبع، فيشرع الشاطر حسن في خوض تجربته الثانية في البحث عن الماء، فيقبض عليه رجال السلطان، ويسجن، ولا يستطيع أن يجلب الماء، وبعد انتظار شعبه له ويأسهم من عودته، يقترح بعض الشباب البحث عن الحل، فيبدأ فريق في العمل، وتتفجر الينابيع بين أيديهم، ويعثرون على الماء.

وبالعودة إلى المصادر التكوينية لهذه القصة، نجد أن هذه الحكاية تتطابق في بنائها ووظيفتها وملامح الشخصية واسم البطل مع الحكاية الشعبية من حيث الإطار العام للحكاية الشعبية، إلا أننا نجد التغاير والاختلاف بين الحكايتين :في طبيعة الأحداث ومصير البطل ونهاية القصة.

ومن هنا، نجد أن القاص استفاد في قصته، ليس من بناء الحكاية فقط، بل من وظيفتها الهادفة إلى النقد اللاذع لفئة الحكام، إلا أنه لم يبارك العمل الفردي، كما هو الحال في الحكاية التراثية، ليحل محله العمل الجماعي، وهذا ما أكد عليه القاص من خلال مقابلة معه حول المغزى من توظيف شخصية الشاطر حسن:"في القصة هناك محور أساسي هو إدانة العمل أو الحل الفردي الذي يلغي دور الجماهير، وإدانة النمط(البونابرتي) في الحكم الذي يعلن تبنيه لهموم وآمال الجماهير دون أن يشاركها في النضال لتحقيق هذه الآمال، بل يختزل دورها إلى متفرج مصفق وهذا ما عانيناه وما زلنا نعانيه في الكثير من دولنا العربية.فهزيمة الشاطر حسن هي بالتأكيد هزيمة النمط الفردي في مختلف المجالات سواء كان ذلك على مستوى ذاتي أو على مستوى أنظمة حكم.ولكن الجانب المهم هو أن هزيمة الشاطر حسن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقابلها انتصار شعبه الذي اكتشف قدرته وطريقه".([1])

وعليه، نجد أن القاص وظف نموذجه بطريقة عصرية، وأسقط أفكاره على هذه الشخصية، لمناقشة أسباب الهزيمة في الواقع العربي في العصر الحديث، أمام التحديات التي تعترض سبيلها، والرؤية لكيفية تجاوز هذه الهزيمة عبر العمل الجماعي.

في قصة "وقائع التغريبة الثانية للهلالي"، استوحى القاص أجواء السيرة التراثية لقصة "تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة" كذلك.وقد أورد أسماء بعض الشخصيات بالاسم نفسه، أبو زيد الهلالي والزناتي خليفة، إلا أنه استغنى في قصته عن كثير من الشخصيات، وأضاف إليها بعض الشخصيات التي لا توجد في مصدرها الأصلي، مثل:الغريب وأولاده.

وإذا حاولنا _أيضا_ تلمس الخطوط العامة بين ما ورد في قصة الكاتب والقصة المتناصة، من حيث مجرى الأحداث وطبيعة اللغة، ومصير الشخصيات وفضاء النص والزمان، فإننا نعثر على خطوط واهية بينهما حتى في مواقف الشخصيات المتطابقة أسماؤها، وفي مصيرهما، وطبيعة علاقتهما بالشخصيات الأخرى ؛مما يوحي أن العلاقة بين النصين تقوم على التغاير والاختلاف، إلا في الفكرة العامة، والأجواء التي استفاد منها القاص في بناء قصته، ليتوسم بهذه النماذج لتكون أقنعة بشرية تحمل إسقاطات الكاتب العصرية ورؤيته الخاصة للحاضر.

ولا نعدم وجود بعض الشخصيات التراثية الأخرى داخل نصوصه، كشخصية عنترة، وسنمار كذلك، والقديسة (فرونيكا)، والعذراء، وسمعان القيرواني لكن هذه الشخصيات وردت في إطار السرد، ولم يوظفها كشخصيات رئيسة يمكن التعويل عليها في دراسة النماذج التراثية.

وعليه، نجد أن القاص قد وظف التراث لتناول ما هو سياسي، وأن معظم هذه النماذج تنتمي في اسقاطاتها، إما إلى الشخصية العربية _وخاصة فئة الحكام _، أو إلى الشخصية الفلسطينية، في حين لم يستلهم نماذج أخرى تمت إلى العدو الصهيوني أو علاقة الفلسطيني بالصهيوني، ولعل السبب في ذلك يعود لأسباب فنية.

كما أن القاص في توظيفه للتراث لم يعمدْ إلى النسخ التقريري لواقع النماذج، بل حور وأضاف في طبيعة الشخصيات ووظائفها وعلاقاتها وسلوكها، وكان يميل إلى استعارة أجواء القصة، أو الفكرة العامة من القصة، ثم يشكلها وفق رؤيته الفنية ليقدمها للقارئ.

---

[1] _ طه، المتوكل، الدخول إلى حبر الروح، ص106/105.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2_المخيلة واللامعقول:

وظف هنية أسلوب اللامعقول الذي يقوم على حدث متخيل غير عادي وغير مألوف، في محاولة منه للتجديد في فن القصة القصيرة داخل الأرض المحتلة عام 1967م، لأنه كان يشعر"أن قصتنا القصيرة في غالبها أسيرة في الشكل لذلك النمط الكلاسيكي، من هنا، فاستخدام اللامعقول يجيء كمحاولة لخدمة المضمون والشكل في القصة، فهذا الشكل يتضمن عملية لإعادة تشكيل جزئيات الواقع ومنظارا جديدا لتفسيره وتغيره أيضا ؛أي أنه يساعد على خلق واقعية بدون ضفاف لاستنساخ الواقع بميكانيكية باردة بل تشكله من جديد وفق الرؤية الخاصة للكاتب. وإذا كان اللامعقول يعني تناولا جديدا لموضوع جديد أو قديم فهو يستلزم بالضرورة شكلا جديدا ينبع من هذا المضمون ويحقق معه الوحدة العضوية والجدلية في آن واحد، تلك الوحدة اللازمة والأساسية لنجاح العمل الفني، وبالتالي فان اللامعقول يساهم في تغيير الشكل الكلاسيكي للقصة من داخلها دون الحاجة لإغراقها في لغة الشعر التي لا تستطيع التعبير عن حدة الواقع وفجيعته وآفاقه ودون الحاجة لفرض أطر خارجية على هيكل القصة تؤدي إلى تفككها دون أن تقدم خدمة للمضمون أو المعنى."([1])

و"يذكر أن هذا الأسلوب كان شائعا في عصور ما قبل الرواية والقصة، ولما كان الكتاب المعاصرون يلجؤون لشتى الوسائل من اجل كسر جمود الأسلوب الذي خيم على فن السرد، فقد رأوا أنفسهم يخلطون الواقعي بالفنتازي سعيا وراء مزيد من الكشف والتشويق لعالم غير مطروق."([2])

وظف الكاتب اللامعقول في عدد من قصصه، منها: "تلك القرية.. ذلك الصباح "و"بعد الحصار.. قبل الشمس بقليل "و"عندما أضيء ليل القدس" و"مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما" و"بوح سريري".

في قصة "تلك القرية ... ذلك الصباح"، بعث السارد أبا محمود القاسمي من مرقده، في مقبرة القرية بعد مضي عشرين عاما على وفاته على أثر الإزعاج الذي سببته له الجرافات الإسرائيلية.ودار حوار بين الشخصية والحاكم العسكري والجنود حول أسباب التجريف لمعالم قريته، لكن الحاكم العسكري يقرر إبعاده إلى الضفة الشرقية، لكن أبا محمود يرفض ذلك، ويلقي بنفسه في النهر ليصب في البحر الميت.

---

[1] _ينظر :اللقاء الذي أجراه الأسطة، عادل مع الكاتب، ضمن كتاب الدخول الى حبر الروح، ص108/109.

[2] _ خليل، إبراهيم، القصة القصيرة في الأردن، ط1، عمان، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، 1994، ص23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونجد الكاتب في هذه القصة قد خلط بين الواقعي واللامعقول، في محاولة منه لإبراز حجم الكارثة التي حلت بالأراضي الفلسطينية، وفي محاولة منه للتنبيه على خطر الاستيطان وضرورة إحباطه.

أما قصة" بعد الحصار.. قبل الشمس بقليل "، فهي الأخرى بنيت على حدث غير معقول ومتخيل، وهو سرقة قبة الصخرة، وبنيت قصة "مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما "، على حدث غير معقول، تمثل برفض الأجنة الخروج من بطون أمهاتها في إحدى القرى، وتعجز قابلتا القرية في مساعدة النساء على الإنجاب. ويجتمع أهل القرية ويقررون أن يتوجهوا بنداء لأباء الأجنة أن يعودوا.

أما قصة "عندما أضيء ليل القدس "، فهي الأخرى بنيت على حدث متخيل، هو ظهور رجل الضوء على أسوار مدينة القدس في إحدى الليالي، ومحاولة كل واحد من المتواجدين هناك العثور على تفسير لهذه الظاهرة الغريبة، فيرى كل شخص فيه ذاته، وخاصة أن معظم الحاضرين في المكان يشعرون بحالة فقد، ويعد رجل الضوء بالعودة إلى المكان. وللرمز في القصة نصيب كبير.

وعاد أكرم هنية، في مجموعته الأخيرة ليوظف هذا الأسلوب في قصة" بوح سريري"، واستوحاها القاص من انتفاضة الأقصى .تبدو لا معقوليتها من خلال حديث السارد، وهو شاب في العشرين من العمر، لما حصل معه أثناء اشتراكه في مظاهرة ضد الصهيوني، حيث يصاب حينها برصاصة قاتلة وينقل على أثرها إلى المشفى، ثم تشيع جنازته إلى المقبرة ليدفن هناك، والغريب في القصة أن الشاب الميت هو العين التي ترى والأذن التي تسمع، وهنا يبدو اللامعقول، وكان أحرى أن تسرد القصة من سارد حي، أو مرافق له، أو شاهد، أو سامع سمع قصته لينقل هذه الحادثة، لكن الكاتب نجح في جعل السارد الميت ينقل الحدث من خلال استخدام ضمير المتكلم ليكون السارد شاهدا وساردا في الوقت نفسه، ويرى عزت الغزاوي أن قسوة الواقع جعلت الراوي "يقص حكاية الأحياء من حوله وكأنه يسخر من قناعتهم بأنهم أكثر قدرة منه على رواية الحدث، إنه يجعلنا نبكي هؤلاء الأحياء حين ينبغي لنا أن نبكي عليه، هو المسجى دون صوت أو فعل على سريره."([1])

[1] _ الغزاوي ، عزت، حكمة الراوي في أسرار الدوري "، الأيام، ع 2078، (2001/9/30)، ص21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3_اللغة في قصص أكرم هنية:

تعد اللغة في القصة الركيزة الأساسية في بنائها الفني ؛لأن بوساطتها تظهر عناصر القصة الأخرى؛فلا شخصية ولا فضاء ولا زمان ولا أحداث يمكن أن تظهر إلا بها ؛أي أن اللغة العمود الفقري في بنية القصة، كما الريشة وسيلة الفنان والأصوات وسيلة الموسيقى.

وتوظف اللغة في القصة عبر مستويين :الأول سردي، والثاني حواري.وتباينت آراء النقاد حول طبيعة توظيف القاصين لهذين الشكلين :ففي حين ذهب عامة النقاد إلى ضرورة توظيف اللغة الفصحى في السرد، ورأوا أن لغة السرد "لا بد إلا أن تكتب بالفصحى "، ([1]) زاد عبد الملك مرتاض ضرورة تبني " لغة شعرية، ولكن ليست كالشعر؛ ولغة عالية المستوى، ولكن ليست بالمقدار الذي تصبح فيه تقعرا وتفيهقا...غير أن عدم علوها لا يعني إسفافها وفسادها وهزلها وركاكتها... وذلك على أساس أن أي عمل إبداعي حداثي هو عمل باللغة قبل كل شيء."([2])

أما المستوى الحواري فانقسم النقاد والكتاب إزاءه إلى فريقين :فريق يدعو إلى استعمال العامية في الحوار، لإكساب القصة جوا من الواقعية، وجملة من المستويات اللغوية في التعبير عن حال المتكلمين، ومنهم (ساسون سوميخ) الذي رأى أن استخدام الفصحى في الحوارمن شأنه أن يذهب "المعاني والإشارات إلى ماهية العلاقات بين المتحدثين، والموقف الشعوري للمتحدث.فإذا كان الكاتب الذي يستخدم الفصحى في حواره فنانا حساسا فانه يضطر اضطرارا إلى التعويض عما فقد من معلومات وظلال معان بوسائل شتى، منها إقحام كلمات إضافية أو التعليق من قبل الراوي."([3]) لكن عبد الملك مرتاض رأى في تلك الأراء التي تدعو إلى توظيف العامية "مغالطة ومخادعة ...وأن لغة الحوار لا ينبغي لها أن تكون، رفيعة عالية المستوى، ولا سوقية عامية ملحونة ركيكة سخيفة ؛إلا إذا كان السياق يقتضي بعض ذلك. "([4])ورأى من خلال تجربته الشخصية في كتابة الرواية"أن الإكثار من الحوار في أي عمل روائي يعود إلى أحد أمرين أو إليهما جميعا :إما إلى أن الكاتب يتملص من موقف صعب في التحليل والوصف والكشف ؛فيعمد إلى إلقاء المؤونة على الشخصيات لينطقها بأي كلام... ويعني بعض هذا أنه يسلك هذا السلوك عن وعي، وأكاد أقول :عن غش ومخادعة

---

[1] – تيمور، محمود، القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى، القاهرة، مكتبة الآداب، الحلمية الجديدة، (د.ت)، ص24.

[2] – مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، ص136.

[3] – سوميخ، ساسون، لغة القصة في أدب يوسف إدريس، عكا، مكتبة ومطبعة السروجي، 1984، ص39.

[4] – مرتاض، عبد الملك، "في نظرية الرواية "، ص135.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمتلقي.وإما إلى انه مبتدئ محروم، فيعمد إلى كتابة هذه المحاورات دون وعي فنـــي كبيـــر فيصول فيها ويجول." ([1])

في حين نجد أن فريقا آخر ارتضى لنفسه منزلة بين المنزلتين، من خلال اســـتخدام اللغـــة الوسطى أو الثنائية بين الفصحى والعامية.

وبذلك نجد أن التباين في الآراء حتى الآن، لم يصل إلى رأي محدد حول طبيعة لغـــة الحوار، وإن أجمع النقاد والكتاب على ضرورة استخدام اللغة الفصحى في السرد.

وعليه سأقف أمام دراسة أشكال اللغة في قصص الكاتـــب، ومـــدى توظيـــف الكاتـــب لمستويات اللغة.

أ-اللغة السردية:

يعرف عز الدين إسماعيل السرد بأنه: "نقل الحادثة اللغوية من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية."([2])وبذلك تتجسد وظيفة هذا الشكل اللغوي ، كما يقول مرتـــاض "فـــي تقـــديم الشخصيات، ووصف المناظر، والأحياز، والأهواء، والعواطف ...فهو شكل مركزي، ولا يمكن الاستغناء عنه في أي عمل روائي[أو قصصي]."([3])

سيطرت اللغة السردية على لغة الكاتب من خلال استخدام اللغة الفصحى الواقعية البســـيطة في بعض جوانبها، في حين لا يعدم المرء العثور على اللغة الشاعرية رفيعة المستوى فـــي الجانب الآخر. وسيطر النموذج الأول اللغة البسيطة في مجموعته الأولى، وتميـــزت اللغـــة بوضوحها وكثافتها ومباشرتها والتزامها التراكيب النحوية السليمة، فضلا عن المتعة التـــي تتركها في نفس القارئ ؛مما يرفد حصيلته اللغوية، ولعل نزوع الكاتب إلى ذلـــك النمـــوذج البسيط في السرد، بسبب موضوعاته التي غلب عليها الطابع السياسي، فمال إلى استخدام اللغة القريبة الفهم، السهلة البعيدة عن الإنزياح والشاعرية؛ لقد توخى من اللغة أن تقوم بالـــدور المنوط بها ؛وهو الهدف التعبوي التعليمي لحشد الجماهير خلف الرسالة التي ينـــادي بهـــا، وبهذا كان الكاتب على وعي تام بأهمية اللغة ودورها وآلية توظيفها.ويمكن التمثيل للمستوى السابق، بمعظم قصص المجموعة الأولى التي مال فيها إلى استخدام ضمير الغائب /الهو من خلال الفعل الماضي، التي مكنت الراوي من أن يسيطر على لغة القص. والمقطع التالي من قصة "بعد الحصار ...قبل الشمس بقليل "يمثل هذا المستوى السردي البسيط:

---

[1] -السابق، ص135.

[2] - إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه :دراسة ونقد، ط، 6دار الفكر العربي، 1976، ص187.

[3] - مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، ص134.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"كان أول من انتبه لما حدث أربعة أشخاص تصادف خروجهم في وقت مبكر واحد من صباح ذلك اليوم الصيفي الجميل إلى حواري المدينة القديمة.

كانت السيارات الملأى بالعمال الذاهبين للمصانع الإسرائيلية قد أنزلت آمنة عند الطرف الغربي للمدينة القديمة، وكان عليها أن تتجه نحو باب العامود لاحتلال موقع استراتيجي كي تبيع بسرعة التين الطازج الذي كانت تحمله على رأسها.... وهي تبكر في القدوم من قريتها هذه الأيام، فالعمال يقبلون كثيرا على الشراء منها كما أن المدينة المقدسة تحتشد طوال الصباح ببشر من كل لون وصنف وخاصة زوار الصيف."([1])

تبدو اللغة السردية في النص السابق قريبة من اللغة العادية البسيطة المتقشفة، ويبدو الراوي العليم المسيطر على السرد عبر ضمير الهو، وهو راو مثقف يلتزم قواعد النحو ويصوغ تراكيبه بطريقة سليمة.كما أن اللغة تصور واقع الشخصية، وتكشف عن طبيعة الفضاء الذي تعيشه الشخصيات وعن واقعها الاجتماعي والاقتصادي في مدينة القدس.

وتقترب لغته السردية من اللغة الصحفية، من خلال ذكر التفصيلات الكثيرة والمباشرة والسهولة والإثارة، ويبرز ذلك بوضوح في قصة "القرار" :"لم يكن الخبر بحاجة لأكثر من ساعة لينتشر في كل أرجاء نابلس...فقد قامت النساء اللواتي كن مجتمعات أمام البيت بمهمتهن بكل فاعلية ودقة لا يشوبها سوى بعض التشويه -غير المتعمد على ما يبدو والذي يعكس عادة اختلاف الناس في النظر للشيء الواحد -ففي أحد المخيمات كان الخبر الذي نقله أحد السائقين يقول أن زلزالا كبيرا سيقع ولن يبقى حجر على حجر... في حين أن سكان حي آخر علموا بواسطة سيدة تلقت الخبر بالهاتف أن أنابيب ضخمة ستشق السماء وتنسكب منها قطع الحمم والجمر والنار والموت، ..."([2])والشيء نفسه، يعثر عليه المرء في قصة"شهادات واقعية حول موت المواطنة "منى"ل" حيث طغى الأسلوب الصحفي على السرد من خلال نقل حادثة موت، ثم قيام المراسل الصحفي بالتحقيق في الحادث، ويذكر أن استخدام اللغة في هذه القصة مبرر فنيا، على الرغم من تباين المستويات الاجتماعية والثقافية للشخصيات ؛لأن لغة كتابة المذكرات والرسائل في المجتمع العربي لا تكتب إلا بالفصحى.

ويلمح المرء النموذج السردي الشاعري، من خلال توظيف اللغة الشفافة التي تقترب من لغة الشعر، في مجموعته الأخيرة، لكن المرء لا يعدم العثور على مثل هذه اللغة في قصص المجموعة الأولى، التي مال في بعض قصصها إلى استخدام اللغة الشاعرية، من خلال استخدام الفعل المضارع، كما في قصص: "السفينة الأخيرة الميناء الأخير "و"ليل بارد

---

[1] - هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص153.

[2] - هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص90.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحتمالات أخرى"؛ والقصص التي استخدم فيها أسلوب القطع.لكن لغة "السفينة الأخيرة... الميناء الأخير " تحولت إلى خواطر ذهنية، لم تستطع اللغة أن تبوح بسرها الرمزي، وإن أبرزت حالة الإرباك والخوف النفسية التي يشعر بها السارد، وهو يتطلع للحاق بالسفينة، ويمكن اختيار النص التالي من القصة لملاحظة طبيعة اللغة السردية الشاعرية التي استخدمها الكاتب :" يخفت وهج النيران...تتوقف الانهيارات إلا من بعض سقوف الحيطان تتخخل وتسقط ...أنين الذين ماتوا في البيوت أو في الطرقات لا يزال مسموعا...الدم يسطع في ضوء الشمس التي توهجت في السماء بعد انقطاع الدخان... الرجل يواصل عدوه نحو السفينة الأخيرة المبتعدة عن الميناء الأخير، تقتحم بثقة آفاق البحر الواضح."([1])

وذهب الأسطة عند تناوله صيغة اللغة في هذه القصة إلى أنها" تخدم الحالة النفسية لبطل القصة الذي يعيش حالة من القلق والبحث عن السفينة التي تنقذه من حالة الدمار التي تحياها المدينة." ([2])

ونجد مثل هذا التوظيف في قصة" وقائع التغريبة الثانية للهلالي "، وهذا الأسلوب ساعد الكاتب"على إضفاء جو من الحيوية على قصته، إذ تبتعد القصة عن الرتابة والملل.كما تساعده على تكثيف الفعل – الفعل داخل بنية القصة- فيتوالى حدوث الفعل داخل بنية القصة بسرعة تشد القارئ، ولا تجعله يضيع في تفاصيل هامشية، وهو ما نلحظه في هذه القصة."([3])ونلمس في قصة "سحر الحب "توظيف اللغة بطريقة جديدة، حيث راوح في استخدام الأفعال التي تحيل على الماضي، والأفعال التي تحيل على المستقبل، فحين كان يتحدث أنا السارد بضمير المتكلم عن الواقع مال إلى استخدام الفعل الماضي، في حين اعتمد على أفعال المستقبل عند حديثه عن أحداث القصة المتخيلة وشخصياتها(كتابة القصة)، والنص التالي يفصح عن هذه المراوحة في استخدام الأفعال:" كانت مباني الجامعة بدأت تطل أمامي وقد ازداد حماسي للفكرة ..."سحر الحب"...لطالما حلمت بكتابة قصة أو رواية تؤنسن الفلسطيني..تحوله من بطل وحالة وقضية إلى إنسان عادي يسير في زحام شوارع العالم دون أن يثير انتباه أحد...شخص يحب ويضحك ويخدع ويصادق ويخون ويهرج ويموت لأسباب عادية وستوفر لي فكرة "سحر الحب" هذه الفرصة...سأصف هذا السحر بكل ما هو حقيقي وبكل ما هو زائف فيه، سأصف قدرته على أسر حياة الأشخاص وتغير مسارها. سأجعل

---

[1] -السابق، ص133.

[2] – الأسطة ، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص140.

[3] – الأسطة، عادل، القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص140.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القارئ يكتشف من خلال الوصف الفارق بين حياة البطلين العادية الرمادية ذات الإيقاع البطيء والخطوات المتوقعة وحياتهما بعد أن يتملكهما سحر الحب."([1])

تفصح قصة "أربع شرفات وأحلام زائدة"، عن مدى اهتمام الكاتب بلغته السردية والاعتماد على اللغة الموحية الشفافة التي تقترب من روح الشعر، والنص التالي يوضح ذلك:" كان أشبه بصوت ناي يبكي. وكان واضحا أنه ينبعث من الشقة الفارغة التي تعلو شقتي.وعندما خرجت لأطل من شرفتي كنت أرى غرفة مضاءة في تلك الشقة، وكان هذا الصوت يثير فيّ وجعا كنت أتجنبه وذكريات كنت أريد نسيانها، كان يدفعني لبكاء اعتقدت لزمن طويل أن عيوني باتت عاجزة عنه، وسأصرخ ذات ليلة: كفى كفى، هذا يكفي، وسأسمع صوت الرجل العجوز ينطلق محتجا :أن توقف، ما تفعله ليس من حقك، أما الشابة الحامل فستصرخ من شرفتها:أرجوك، إن عزفك يبكي جنيني، أريده أن يخرج سعيدا."([2])

ب-لغة الحوار:

يرى محمد زغلول سلام أن الحوار "من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات، فضلا على أنه كثيرا ما يكون الحوار السلس المتقن مصدرا من أهم مصادر المتعة في القصة، إذ بواسطته تتصل شخصيات القصة بعضها ببعض اتصالا صريحا مباشرا."([3]) "ويعتمد الحوار لنجاحه على اندماجه في صلب القصة حتى لا يبين للقارئ عنصرا دخيلا مقحما عليها أو متطفلا على شخصياتها، كذلك ينبغي أن يكون الحوار طبيعيا سلسا رشيقا مناسبا للشخصيات التي تتحدث به وللمواقف التي يقال فيها، كما ينبغي أن يحتوي على طاقات تمثيلية.ولا يسرف في الهذر والثرثرة والإطالة دون حاجة."([4])

ويرى بعض الدارسين ضرورة استخدام اللهجة العامية في الحوار ؛لأن من شأن ذلك أن يناسب واقع الشخصيات حيث يفسح المجال لكل"شخص أن يتحدث بلغته الخاصة وبلهجته الخاصة، ولكن لا بد أن يصحب ذلك اعتبار للمستويات الفكرية"، ([5])ويشعر بواقعية الحدث الذي تمر فيه، ولكن كيف وظف هنية لغة الحوار في قصصه؟

لقد مال إلى استخدام اللغة الفصحى في تقديم حواره، وهو المستوى الأكثر حظا في مجمل قصصه، ولعل أبرز القصص التي وظف فيها الحوار هي:" عبر النافذة " و"ليل بارد

---

[1] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص10.

[2] – هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص111.

[3] _ سلام، محمد زغلول، دراسات في القصة العربية الحديثة:أصولها، اتجاهاتها، أعلامها، منشأة المعارف بالاسكندرية، (د.ت)، ص35.

[4] _السابق، ص36.

[5] – إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه، ص203.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحتمالات أخرى" و"تلك القرية ذلك الصباح" و"النابغة الذبياني يهجو النعمان بن المنذر"و"شمال شرق دير اللطرون" و"أسرار الدوري".واختلف هذا التوظيف من قصة إلى أخرى، ففي قصة "تلك القرية ذلك الصباح"وظف الحوار بشكل لافت، واحتل مساحة كبيرة من حجم القصة حيث ساهم في دفع أحداثها إلى الأمام، وكشف عن جوانب من حياة "أبي محمود القاسمي"وواقعها الاجتماعي، لكن الحوار لم يتناسب مع ثقافة الشخصية ومستواها الفكري، فأبو محمود القاسمي فلاح من إحدى القرى يتقن في القصة قواعد النحو والعربية ولا يلحن في لغته، بل يدير الحوار مع الجنود والحاكم العسكري بلغة فصيحة عربية، والشيء نفسه، للجنود حيث قدم كلامهم بألفاظ عربية فصيحة لا تختلف عن لغة الشخصية، ولا لغة السرد والوصف، وبهذا لم يتطابق الحوار مع الواقع الاجتماعي للشخصيات، ويمكن التمثيل لذلك من خلال الحوار التالي الذي دار بين أبى محمود والحاكم العسكري:"

-هل أنت من مواليد هذه القرية؟

-نعم.

-متي توفيت؟

احتاج أبو محمود وقتا ليجيب:

-بعد الهجرة بخمس سنوات أو ست سنوات.

عاود الحاكم طرح الأسئلة :

-أين كنتم عام الهجرة ؟

-كنت هنا في قريتي.

-ألم تغادرها تلك الأيام؟

تردد أبو محمود وأجاب بسرعة:

-لا."([1])

يلاحظ من المقطع السابق أن الكاتب مال إلى استخدام الجمل الحوارية القصيرة، إلا أننا نلمس مستوى واحدا في السرد لثلاثة مواقف حوارية، وهي : الشخصية الرئيسة، الحاكم العسكري، الحوار السردي.

والشي نفسه يلمسه المرء في قصة"شمال دير اللطرون"، يجري الحوار بين السارد/الفلسطيني والجندي الصهيوني باللغة الفصحى، ولم يستخدم ألفاظا غير عربية، ولعل السارد في هذه القصة عمل مترجما جيدا ؛لأن الحوار بين الشخصيتين من المفروض أن يتم باللغة الإنجليزية، وهذا ما عكسته بعض عبارات القصة، إلا أن السارد ترجم هذا

[1] - هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص142/143.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحوار إلى اللغة الفصحى: "وجدته يتوجه بالحديث إلي ناطقا عدة كلمات باللغة العبرية، فأجبته باللغة الإنجليزية وباقتضاب أنني لا أتحدث اللغة العبرية، وجدته يبتسم ويواصل الحديث بالإنجليزية:

- مطر غريب

هززت رأسي موافقا.

أخذ يتلفت حوله وهو يتعمد أن يزيح طرف سترته فيبدو المسدس تحتها، ثم بادرني بالقول:

- هذه المنطقة جميلة.

أجبته بسرعة:كل بلادنا جميلة."([1])

وعلى العكس من ذلك، قصة "النابغة الذبياني يهجو النعمان بن المنذر "، فلغة الحوار مبررة فنيا؛ لأن الشخصيتين تنتميان إلى العصر الجاهلي، فلا غرابة أن ترتفع لغة الحوار، لان كلتا الشخصيتين لم تعرفا العامية واللحن، فلا غرو أن تتحاور الشخصيتان باللغة الفصحى:"

-مولاي لقد طوقني عظيم فضلك بجميل سأبذل مهجتي وحياتي لقاءه.

-ها... أيها المنافق... ماذا وراءك؟

-جئتك بقصيدة قضيت حولا انظمها في كريم صفاتك وعظيم شمائلك وتريك مدى ولائي وولاء قبيلتي لك.اغتصب النعمان ابتسامة وقال بأسف حقيقي:

-لا فائدة يا نابغة ... لا فائدة ...

-ماذا تقصد يا مولاي؟

-ما عادت قصائدك وقصائد غيرك تقنع الناس والعبيد."([2])

إلا أننا نعثر على استخدام اللهجة العامية في الحوار أحيانا، وخاصة إذا كانت الشخصيات من الناس العاديين البسطاء، وذلك في محاولة من الكاتب لإضفاء الصبغة المحلية على قصصه، كما في قصة "يوم قتل إبراهيم الأقرع"حيث نلمس التباين بين لغة المحامي ولغة الفلاح، ويظهر ذلك عند سؤال المحامي أحد الفلاحين، فيرد أحدهم :"احنا موجودين على الأرض قبل ما ينخلق الطابو."([3])

لكن هذا المستوى قليل في مجمل نتاجه القصصي، وخاصة المجموعة الأخيرة ؛لأنه مال إلى استخدام ضمير المتكلم واللغة الشاعرية.

---

[1] - هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص17/16.

[2] - السابق، ص151.

[3] -السابق، ص12.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج-الحوار الداخلي:

يعرف عبد الملك مرتاض لغة المناجاة على أنها :"خطاب مضمن داخل خطاب آخر يتسم حتما بالسردية :الأول جواني، والثاني براني ولكنهما يندمجان معا اندماجا تاما لإضافة بعد حدثي، أو سردي، أو نفسي، إلى الخطاب الروائي[والقصصي]."([1])

قدم الكاتب الحوار الداخلي المباشر وغير المباشر باللغة الفصحى في الأغلب الأعم، دون التفات إلى واقع الشخصية الثقافي ؛وذلك لأن السارد في الطريقة المباشرة، كان يميل إلى استخدام ضمير المتكلم، ويقدم وعيه بذاته دون واسطة، في حين في الطريقة غير المباشرة نسمع صوت السارد الذي اتخذ اللغة الفصحى وسيلة للسرد، فكان يقدم وعي الشخصيات من خلاله. وتبرز الطريقة الأخيرة في كثير من قصصه، والمقطع التالي من قصة "كل شيء وهذه النظرة بالذات "، يكشف طبيعة توظيف الحوار غير المباشر، من خلال تقديم وعي أحد سكان القرى الفلسطينية، باللغة الفصحى، على الرغم من أن الفصحى ليست لغة الحديث الدارج في القرى الفلسطينية:"كأن دهرا بكامله مر خلال الأسابيع القليلة الماضية "، يهمس أبو محمد لنفسه وهو يحدق في بقعة ضوء عبر النافذة على أرضية الغرفة، يشعر بضيق في التنفس يلف أصابعه حول رقبته.يفتح فمه ينهض ويتجه بخطوات متثاقلة ليشرب كوب ماء.ثمة مذاق مر يلتصق بلسانه :"سأحاول غدا أن اصلح كل شيء".يضيف." سأتبرع بجزء من ثمن الأرض لمشاريع في القرية "تقفز إلى ذهنه ذكرى تلك الحادثة المشؤومة.عندما حشر نفسه في اجتماع عقد في إحدى المدارس لتجهيز مقبرة للقرية.وقف مرتجفا يعلن تبرعه بمئة دينار أردني. سرت الهمهمات وكلمات الاستنكار. وقف أحد الشبان وصرخ: "لا نريد أموالا حراما".([2])

ويلاحظ من خلال النص السابق حالة الإرباك والخوف التي تشعر بها الشخصية وقدرة اللغة على التعبير عن الجو الانفعالي من تردد وخوف من خلال استخدام الجمل القصيرة المكثفة.

لكن هذه الحالة الشعورية الانفعالية لو قدمت من الشخصية دون تدخل الراوي لشعرنا بواقعيتها أكثر، وكانت مقنعة أكثر لان السارد كان يقوم بدور الوصف والتلخيص لحال الشخصية ولم يترك للشخصية حرية التعبير عن ذاتها إلا من خلال الصوت المزدوج الذي وضع بين علامتي تنصيص.وتجدر الإشارة إلى أن أغلب القصص التي وظفت هذا الأسلوب استخدمت ضمير الغائب.

---

[1] – مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، ص137.

[2] – هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن الحوار الداخلي برز في المجموعة الأخيرة، بلغة شاعرية ووظف الكاتب ضمير المتكلم في نقل مشاعر الشخصيات، وظهرت لغة الحوار الداخلي عالية المستوى.

وهكذا واءم الكاتب بين لغة الحوار والسرد، فلا يجد المرء هوة كبيرة بينهما مما يسهل على القارئ الانتقال بينهما دون الشعور بتباعد المستويين عن بعضهما البعض.ورفد الحوار السرد بالحيوية والمتعة التي يجلبها للقارئ وحالة الإدهاش التي كان ينقلها الحوار في تقديم خلفيات الشخصيات ومواقفها وحالتها الشعورية والتي تنبع من داخل بنية الحدث، فيضيء عوالم ما كان لها أن تظهر إلا من خلال الحوار.

4_المكان في قصص الكاتب:

يعد المكان عنصرا أساسيا في البناء القصصي وواحدا من المكونات الأساسية لأي نص سردي؛ وذلك لأن "كل حادثة تقع لا بد أن تقع في مكان معين وزمان بذاته، وهي لذلك ترتبط بظروف وعادات ومبادئ خاصة بالزمن والمكان اللذين وقعت فيهما. "([1])

يشكل المكان في القصة " الخلفية التي تقع فيها الأحداث."([2])ولذلك يعد وصف المكان في العمل القصصي والروائي "جزءا لا يتجزأ من الإعداد للحدث وتقديمه، وتقديم الشخصيات وتصوير نفسياتها وما يدور في دواخلها، وليس زخرفا أو إضافة لا مسوغ له، فهو عنصر له دلالة خاصة، وقيمة جمالية حقة، وكل مقطع من مقاطع وصف المكان يخدم بناء الشخصية بشكل مباشر أوغير مباشر، كما أنه له أثر مباشر أو غير مباشر في تطور الحدث، وفي تحديد إطار وقوعه.ومن هنا أيضا فان ذكر أشياء في العالم الخارجي أو وصفها يدخلها في العالم القصصي والروائي ويجعلها تسهم في صنع المناخ العام لهذا العالم التخييلي."([3])

وإزاء الأهمية الخاصة التي يضطلع بها المكان في القصة، رأيت أن بحثي لا يكتمل إلا بالوقوف على دراسة المكان في قصص الكاتب، والسبب في ذلك يعود إلى أن المكان الفلسطيني والعربي هو المحور والموضوع الرئيس الذي دارت حوله كل موضوعات قصصه، فكتب للمكان أولا ولحياة الإنسان في المكان ثانيا، وسخر الإنسان للدفاع عن المكان

---

[1] _ إسماعيل ، عز الدين، الأدب وفنونه، ص194.

[2] _ القاسم ، سيزا، بناء الرواية، ص102.

[3] _ محمود، حسني، بناء المكان في سداسية الأيام الستة لأميل حبيبي، علامات في النقد، ج3، مج العاشر، الفلاح للنشر والتوزيع، (ديسمبر 1999)، ص196.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو التشبث به، في وجه التهديدات التي تريد تدميره لتحل مكانها على أنقاض المكان الفلسطيني :(شعب بلا أرض لأرض بلا شعب).

والسبب الآخر، يعود إلى التفات الكاتب لأهمية التوظيف الفني للمكان بما يتواءم وطبيعة العناصر الأخرى في الفن القصصي.فلم يقدم المكان بطريقة تقليدية بل بمنظور حداثي جديد، وظهر ذلك من خلال : الوضوح والتعيين وعدمه، .تسمية المكان وذكر صفاته ووصف جزئياته والمرور العابر عبر المكان، الفضاء المفتوح والفضاء المغلق، أماكن الإقامة الإجبارية وأماكن الإقامة الاختيارية، المكان القبيح والمكان الجميل، الداخل والخارج. وتلون المكان بتلون حياة الشخصية وحالتها الشعورية من خلال اللغة ذات الحمولة الدلالية، فتراوح توظيف المفردات بين الجمال والقبح، الرومانسية الهادئة ذات الإيقاع البطيء، والصاخبة ذات الإيقاع السريع.ودلالات الألوان والأصوات والروائح.

ونوع في أمكنته لتشمل المدينة العربية والمدينة الفلسطينية محددة الاسم وغير المحددة، القرية، الشارع، الحارات والأزقة، المقهى، السجن، الغرفة، النافذة، الحديقة، ....الخ

لهذا سأقوم بدراسة المكان القصصي كما تجلى في قصص الكاتب وفق المحاور الآتية:

1_المدينة.

2_ القرية.

3_ السجن.

4_ غياب المخيم.

1_ **المدينة:**

بدت الكتابة عن المدينة واضحة وضوحا لافتا، فقد برزت في ست وعشرين قصة. وحين يمعن المرء النظر في القصص، يلحظ أنه كتب تارة عن مدينة محددة الاسم، وطورا عن مدينة غير محددة الاسم.وعلينا أن نلحظ أن الكاتب عاش في مدن عربية عديدة، هي رام الله والقاهرة وعمان والقدس وتونس، وقد أقام لفترة مؤقتة في بعض المدن الأوروبية.

وقد انعكست إقامته في هذه الأماكن في قصصه، إذ غالبا ما كان يستوحي قصصه من الأحداث التي كان يعايشها أو يكون شاهدا عليها في تلك الأماكن.

وكان أحيانا يكتب قصصه عن الأماكن بعد رحيله عنها، فمثلا لم يكتب القصة وهو في القاهرة عن القاهرة، وإنما أخذ يكتب عن تجاربه هناك بعد أن غادرها، والدليل على ذلك أنه أصدر أولى مجموعاته في أواخر عام 1979؛أي بعد ترك القاهرة بأربعة أعوام، وعمان بعامين.في حين برزت الأماكن الفلسطينية في الفترة التي استقر فيها في مدينة رام الله،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظهر ذلك بوضوح في باقي المجموعات.

أ_المدينة غير محددة الاسم:

نقصد بها تلك المدينة التي لم تحدد جغرافيا، ولم يذكرها بالاسم، ليجد المرء نفسه في أجواء مدينة ما، لكنه يستطيع أن يستشف من خلال الشخصيات وحركة السرد والبيئة العامة للقصة ملامح لها قد تحيل على مدينة عربية أو فلسطينية أو أجنبية أو تكون رمزا لها.

ظهرت المدينة هنا في إحدى عشرة قصة من مجموع قصصه، ([1])وهذا يقارب ثلث إنتاجه القصصي.استحوذت المجموعة الأولى على أربع قصص، هي :"عبر النافذة " و"السفينة الأخيرة... الميناء الأخير" و"ليل بارد واحتمالات أخرى"و"ذات موت ذات مدينة"، في حين برزت بشكل أقل في المجموعة الثانية، إذ برزت في قصتين هما:"المرحلة" و"أبو القاسم يشارك في النهوض الجماهيري"و"شهادات واقعية حول موت المواطنى"ل""، أما المجموعة الثالثة فقد برزت في قصة واحدة فقط، في حين غابت في المجموعة الرابعة، وعادت في مجموعته الأخيرة لتبرز في قصتين، هما :"أربع شرفات وأحلام زائدة "و"يومان فقط.. ". ولعل السب قي عدم تحديد الاسم يعود إلى أن القاص كتب معظم هذه القصص وهو يعيش في العالم العربي، وإن لم ينشرها هناك، وكان ذكر الاسم يسبب له مشاكل عديدة، إذ سيتورط مع أجهزة المخابرات.وقد يكون أنه رأى أن المدن العربية تتشابه من حيث القمع، فلم يذكر واحدة بالاسم، لأنه أراد أن يهجو وضعا عاما.

وعليه، كيف بدت ملامح المدينة هذه في قصصه؟وهل تختلف ملامحها عن ملامح المدينة المحددة الاسم؟

بدت هذه المدينة قبيحة، تأكل أناسها، يسودها الصمت والحزن والضباب والظلام، تنتشر فيها الجثث في الشوارع، تضغط على إنسانها، وهي مدينة طاردة لا يحس المرء فيها بطمأنينة وأمن، وإنسانها مطارد ضعيف بائس، لا يستطيع التفكير، وإن حاول التفكير أو الحلم بحياة كريمة، فالسجن والملاحقة مصيره.وسأجتزئ فقرتين من قصة "السفينة الأخيرة ... الميناء الأخير "، لتلخصا المشهد المتكرر في معظم قصص الكاتب :

-" في عدوه تلتقط عينا الرجل صورا سريعة ولكن واضحة لما يدور حوله... تزكم أنفه رائحة الجثث النتنة... السواد يغطي واجهة بعض المباني الفخمة التي نجت من الدمار الكامل "انه زمن الانهيارات "العربات الفخمة تحولت إلى كتل حديدية مصهورة أو هياكل يعلوها

---

[1] _ "السفينة الأخيرة... الميناء الأخير"، عبر النافذة "، ليل بارد واحتمالات أخرى"، "ذات موت ذات مدينة"، "المرحلة "، "موت في صباح باكر "، "وقائع التغريبة الثانية للهلالي "، "أربع شرفات وأحلام زائدة"، "فاصل طويل".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصدأ ...برك من المياه الذي تفجر من الأنابيب تغطي مساحات واسعة، "كل شيء كالنهاية... ليست النهاية تماما..ولكن يشبهها.

جدران وحوائط وأحجار ضخمة تتناثر ...تسد الطرقات..عشرات يواصلون الركض نحو الأزرق ..."([1])

_ "تصطدم قدماه بجثة شاب في العشرينات ...يفزع للحظة... يكاد يفقد توازنه..يتماسك.. يحدق في الوجه البهي للجسد الذي افترش الأرض مسافة واسعة من الدم..ينقبض ويعاني في لحظة حسرة وندم.

لنغادر هذه المدينة نحو الشاطئ الآخر، لن يبقى هنا إلا العاجزون والمشوهون إن ظلوا أحياء في مدينة سيكون حاكمها الوحيد الموت والصمت."([2])

أما واقع المدينة الجغرافي والمعماري، فهو ينقسم إلى قسمين مختلفين :

1_المناطق الفخمة:العمارات الضخمة، المباني الفخمة، القصور، الشقق ذات الشرفات، الفنادق، المحلات التجارية الضخمة، الدوائر الحكومية، الشوارع الواسعة ذات الأرصفة.

2_المناطق الوضيعة:الخيام، الحارات ذات الأسقف الترابية، الغرف الصغيرة، والعراء.

ويترتب على هذا انقسام الناس إلى فئتين: الفئة البرجوازية، والفئة الفقيرة. الفئة البرجوازية، تتألف من الحكام وطبقة التجار ورجال الدولة، والفئة الثانية، تشمل الفقراء والعبيد والصناع والغرباء وعامة الشعب.

وإزاء هذا التقسيم نلمس التناقضات التي يفرزها المكان والتي يترتب عليها فوارق طبقية واجتماعية واقتصادية وعقلية، لا بد أن تدخل في صدام، طالما أن الفئات تعيش في بقعة جغرافية واحدة.وهذا ما يلمسه المرء في معظم القصص. يشعر بثقل المدينة على نفس أصحابها، يلاقي عامة الناس فيها المصاعب والمتاعب ولا يشعرون بالانتماء والحميمية إليها؛ فكل الشخصيات الإيجابية في هذه المدينة تعرضت لمصائب، فبطل"السفينة الأخيرة.. الميناء الأخير"، يحاول الهروب من المدينة بسب واقعها، وهو في حالة رعب وخوف دائمين، ويركض للحاق بالسفينة حتى يخرج من هذه المدينة القاتلة، والسارد في "ليل بارد واحتمالات أخرى"، يعاني الهم والحزن وعدم القدرة على تحديد الأمور يقبع في غرفته بسب الواقع السياسي، حتى فقد قدرته على المبادرة، وبطل قصة"المرحلة "يلاحق من أجهزة الأمن والمخابرات، والسارد في قصة"يومان فقط"تلاحقه أجهزة الأمن في المطار و .....

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص131.

[2] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، 132.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما حركة الشخصيات في المكان فكانت تبدو سريعة دائما في المكان الخارجي الواسع، وإذا ما دخلت سقفا فهو الآخر يضغط عليها، فلا حميمية وأمان في هذه المدينة، ولا استقرار. ويمكن أن نستشف الإيقاع السريع، لحركة الناس، في المدينة، من خلال اللغة، فأحيانا، يأتي من خلال النعت أو الحال:مسرعا، قادما بسرعة، وأحيانا أخرى من خلال الأفعال:يركض، يموج بالحركة "شارع يموج بالحركة في مدينة كبيرة.ألوف الأشخاص يسيرون ذهابا وإيابا.لا شمس في السماء." ([1])، أو من خلال حركة السرد السريع الذي يعتمد على الفعل المضارع، مثل" قصة السفينة... الأخيرة الميناء الأخير"، أو من خلال الجمل الفعلية المتتالية التي تنعدم فيها علامات الترقيم، مما يعطي السرد حيوية وسرعة.ولهذا وأمام الضغط الخارجي الذي تسببه المدينة كانت هذه الشخصيات تنصرف إلى عالمها الداخلي لاسترداد وضعها الطبيعي من خلال(المونولوج) لمحاولة فهم الواقع وتفسيره، أو من خلال الاستراجاعات الزمنية، والتوق إلى الماضي الذي كان يبدو مشرقا وجميلا في مواجهة الواقع المظلم، فالقديم هو الطبيعي في حياتها وهو الماثل في ذكرياتها والذي يمنحها الإصرار على مواجهة الواقع المظلم من خلال التسلح بالإرادة والتصميم على تغير الوضع القائم.

يبدو هنية في مجموعته الأخيرة، وخاصة، في قصة "أربع شرفات وأحلام زائدة"، قد أحس بوطأة الزمان في ظل هذا الواقع الذي يعيشه. فرسم صورة منفرة للمكان في هذه القصة، حيث لا بطولة في هذه القصة لأحد.

اهتم في هذه القصة بأوصاف المكان وصورته ومعماره الهندسي وترتيبه وأثاثه وكل شيء يدور حوله، فهو:

_ يصور بناية قديمة في مدينة صغيرة_قد ترمز إلى مدينة عربية أو أجنبية_ تتألف من أربع شقق تقع أمامها ساحة ذات أعمدة دائرية، تطل على محطة للقطار، وأمامها محلات تجارية.

-يصف ترتيب الشقق وطبيعة ساكنيها:السارد يسكن في يسار شقة العجوزين، في الطابق الأول، ويمضيان معظم وقتهما على الشرفة بانتظار ولدهما الغائب، يجلسان عادة حول طاولة مستديرة.وفي شرفة الشقة التي تقع فوق شقة العجوزين، تسكن شابة حامل تجلس ساعات طويلة على شرفتها بانتظار زوجها الغائب الذي غادرها للعمل في مكان بعيد.أما الشقة التي تعلو شقته في الطابق الثاني، فيبدو أنها لم تجد من يستأجرها، وفي النهاية يخرج منها صوت حزين يشبه صوت الناي يزعج بصوته كل الموجودين.

---

[1] ــ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص145.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونرى هنا أن مجمل الأوصاف التي أضفاها السارد على المكان، هي أوصاف قاتمة، تمنع التواصل، يتحلل الإنسان فيها، وتبدو المدينة تأكل أصحابها خانقة ضاغطة الكل فيها ينتظر شيئا ومصيرا مجهولا، وهي لا تتطور، ولا تتقدم بل في وضع سكوني أشبه بالمقبرة.

أما علاقة سكان الشقق ببعضهم، فهي معدومة ولا تواصل بينهم، وكل يوم يجلس الجميع على شرفته، ولا يخرج من بيته سوى السارد الذي جاء للعمل في هذه المدينة ويتعرف على صديقة، لكنها تتركه بسب طبيعة المكان وترحل، وتنصحه بالرحيل. أما حركة الشخصيات في المكان فهي محدودة، تسكن أماكن مغلقة لا تبرحها سوى إلى الشرفة، ثم تعود للداخل مما يعني عدم تفاعلها مع العالم الخارجي المحيط بها، وحتى في حالة الجلوس على الشرفات_ وسيلة التفاعل مع العالم الخارجي _لم يكن يعني هذا للشخصيات شيئا، ولم يثر فيها أي انطباع.ولم نسمع طوال القصة صوتا لأي شخصية، بل السارد يصف ما يشاهده، ولم يحاول التقرب من أية شخصية، ومعرفته بواقع الشخصيات كانت من صاحب الحانوت، وبالتالي يخبره الرجل القاتم صاحب العمارة بعدم صحة المعلومات التي يعرفها.

ولا يقتصر انعدام الحركة والحيوية على الشخصيات بل يمتد ليشمل الأشياء المادية في المكان، فتعطلت الساعة _رمز الزمن _المثبتة في ساحة العمارة وتوقفت عن الحركة، والقطار توقف أخيرا عن السير، "والحكومة أقفلت محطة القطار في هذه المدينة الصغيرة، لم يعد هناك كثيرون يأتون أو يسافرون من هذه المدينة التي تموت ."([1])

ويبدو تركيز الكاتب في هذه المدينة على العناصر المادية في المكان، أما العناصر الروحية فلا تواجد لها.في إشارة من الكاتب إلى قسوة الحياة في هذا المكان.

يمكن أن يستشف المرء، في بعض القصص هذه ملامح ترمز إلى مدينة عربية، كما هو الحال في قصص:"أمنيات محمد العربي"و"وقائع التغريبة الثانية للهلالي" و"موت في صباح باكر".فالقصة الأولى ومن خلال العنوان يعرف المرء أن أحداثها تدور في مدينة عربية، وفي القصة الثانية هناك كثير من الإشارات التي تحيل على واقع المدينة العربية وعلاقة الفلسطيني فيها، كذلك، فالغريب _مثلا _ يلبس حطة وعقالا وهذا اللباس يميز الرجل الشرقي العربي عن غيره من رجال المجتمعات الأخرى، كما أن السيرة الشعبية التي استقاها تخص المجتمع العربي دون سواه من الأمم الأخرى. أما القصة الثالثة فطبيعة العلاقات الأسرية التي تسود جو العائلة من خلال علاقة الرجل بالمرأة وطبيعة عمل كل منهما داخل البيت وخارجه تفصح عن أجواء مدينة عربية محافظة.وكذلك فإن قيام المرأة بتدثير راس ابنها بالحطة هو دلالة أخرى على ذلك.وهنا نلحظ أيضا المطاردة والملاحقة والفقر. فأبو

[1] _ هنية ، أكرم، أسرار الدوري، ص114.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحمد في قصة"موت في صباح باكر"، يقتل في شوارع المدينة على يد أصحاب السيارات الفارهة، وهو يبحث عن لقمة عيش لأولاده، ولا يتقدم أحد لإنقاذه وإسعافه، ويكون آخر منظر في حياته تلك"الصور الشاحبة الضبابية لوجوه لا يعرفها والسيارات الفارهة ...والعمارات الضخمة التي تحجب الشمس عن المدينة..."([1])، ومحمد العربي لا تتحقق أبسط أمنياته في المأكل والمشرب والملبس بسب مطالبه السياسية، وهي التخلص من رجال المخابرات المنتشرين في الشوارع، والغريب يلاحق ويسجن ويعذب من الزناتي وعسسه.

ولكن لماذا هذا الموقف من كاتب فلسطيني، وما الأسباب التي تدعوه لأن يرسم هذه الصورة السلبية للمدينة ؟ سأقف عند قصة" وقائع التغريبة الثانية للهلالي"، لأنها تدور في مدينة غير محددة، ولكن ملامحها عربية، ولأن القصة _كما أشرنا في مكان سابق من هذه الدراسة_ تصور علاقة الثورة الفلسطينية بالأنظمة العربية لتكون شاهدا على الأسباب الحقيقة التي حذت بالكاتب أن يقف هذا الموقف.

تبدأ القصة بوجود الغريب الشخصية الرئيسة في مدينة لا يعرفها، وان كانت قريبة منه تجمعه مع أهلها صلات وثيقة "في بلدك ...بين اهلك..في ملك الزناتي خليفة."([2]) فيعود بذاكرته إلى الأسباب التي دفعت به إلى هذه البلاد، فيتذكر"انه جاء من مكان بعيد ...طرد منه ... أن شيئا رهيبا قد وقع." ([3])

تبدو صورة المدينة صورة مرعبة، لها أبواب، مقسمة جغرافيا إلى منطقتين، القصور والأبراج يسكنها الزناتي، والمناطق الوضيعة يسكنها "أصناف متعددة من الناس.. الغرباء والأقنان والعبيد والحرفيون والعمال والمزارعون والمتسولون والمغنون والمشعوذون والدراويش والسحرة والغوازي وذوو العاهات والباعة الصغار..والعسس.."([4])

تبدو ملامحها في جانب ملامح مدينة ثرية، وتبدو من جانب آخر وكأنها في عالم متخلف، تتفاوت علاقة الناس فيها بين الحاكم والمحكوم، وتحكم بقوة العسس والحاكم المتفرد.الناس فيها يعيشون حياة قاسية مرعبة، على الرغم من اتساع فضائها ووفرة خيراتها من ينابيع وحقول، إلا أن الجوع والفقر هو السمة المميزة لها.

لقد اختار الغريب الانحياز إلى جانب الفقراء ؛لهذا رفض عروض الزناتي في الإقامة في القصر، واختار العيش في غرفة صغيرة "نافذة صغيرة في الجانب الغربي..شقوق تتناثر

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص66.

[2] _السابق، ص67.

[3] _السابق، ص67.

[4] _السابق، ص72.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوق الحائط ...أرضية عارية باردة ... باب من الصفيح يترنح كلما هبت الريح في أحد زوايا الغرفة فراش وأغطية..في زاوية أخرى صندوق خشبي كبير قديم باهت اللون، وبداخله ملابس وخرق بالية... وعدا ذلك يسكن الغرفة الفراغ. " ([1])

"النافذة تستقبل الريح والشمس والمطر والغبار وأصوات أطفال الحي، ووقع أقدام العسس... ثمة قضيبان حديديان يتقاطعان في مركز النافذة...لكن أوراقا خضراء لشجرة الكرمة زرعها الغريب في الفناء الخلفي للغرفة كانت تصعد بنجاح نحو النافذة.."([2])

وهنا نجد السارد قد اهتم بحجم الغرفة وشكلها وأثاثها، فبدت بحجم زنزانة، ووقف أمام الألوان والأصوات من خلال استخدام مفردات:الريح، المطر، الخرق البالية، الفراغ قضيبان حديديان.بحيث أثثها لتتلاءم والواقع النفسي الذي يعيشه الغريب مما يدل على حالة عدم الانسجام مع المكان الجديد والمدينة الجديدة.وهذا واقع بعض الفلسطينيين في المنفى.

وإزاء حالة عدم الانسجام وعدم التكيف مع المكان الجديد، فقد شرع الغريب يبحث عن السبل، من أجل عودته إلى وطنه، من خلال العمل والتواصل مع الجماهير والفئات الشعبية المسحوقة، وكان الطليعة الثورية لهذه الجماهير وظهر أثره في المكان على النحو التالي :

ا_ كان أول عمل قام به زراعة شجرة الكرمة في فناء الساحة الغربي، في محاولة منه لجعل بيته ذي خصوصية فلسطينية، لأن هذا المشهد ينتشر في معظم القرى والمدن الفلسطينية، حيث يهتمون بزراعة شجرة الكرمة حول بيوتهم.([3])

2_إضفاء الحياة على المكان، وترك أثر إيجابي في حياة السكان، فكان"يحرث حقول، يكتشف عيون ماء وينابيع.يغير لون الأرض الصحراوية.ترتفع بين يديه البيوت والقصور والأسواق.يعلم جيرانه حرفا كثيرة ...يفد إليه الرجال لاستشارته في أشياء عديدة...للعلاج... لتلقي النصيحة حول مشكلة في الحقل أو السوق أو مع فرسان الزناتي لسؤاله عن أشياء كثيرة لا يعرفون أجوبتها. "([4])

3_تأليب الجماهير ضد الزناتي وعسسه والالتحام مع الجماهير، حيث كان رأس الحربة في المعركة "أنقذنا يا غريب"..يتقدم أحدهم يقدم سيفا للغريب "هيا يا غريب ... سنقاتل معا."([5])

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص69.

[2] _السابق، 69.

[3] _عندما سألت الكاتب: إلام ترمز شجرة الكرمة؟ أجابني: أن شجرة الكرمة من مميزات البيت الفلسطيني حتى في مدن الشتات يحفلون بزراعتها حول بيوتهم.

[4] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص70.

[5] _السابق، ص70.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعليه يستطيع المرء أن يستشف أسباب عدم الانتماء لواقع المدينة والذي يعود إلى عدة عوامل عكستها القصة، وهي:

1_أنه حضر إلى مدينة الزناتي مُكرها، ولم يحضر إليها باختياره، وهذا ظهر في بداية القصة.

2-أنه يشعر بالغربة، وعدم الانتماء لهذا المكان "أنا لا أنتمي إلى هذا المكان. "([1])

3_إن طموحاته تعارضت مع طموحات قادة هذا البلد، حيث أراد الزناتي أن يقولبه ويستوعبه من أجل أن ينسيه وطنه "أنت منا ...يمكنك من الآن أن تعمل لدي في القصر وان تكون من أبرز فرساني ...ويمكنك أن تسكن في أحد البيوت القريبة من هنا...وسأزوجك واحدة من كرام الفتيات. " ([2])في حين أراد الغريب "العودة لأرضي..أن أبحث عن اسمي ونفسي. "([3])

4_الأجواء السياسية والاجتماعية السلبية التي تسود المدينة وعلاقات الناس فيها، إذ طورد الغريب ولوحق، من الزناتي وعسسه، عندما انحاز لصالح الفقراء وانتشر فكره الثوري بينهم.

5_حضور صورة الوطن الدائم في ذاكرته، وحنينه الدائم إليه، وإلى أهله، ورغبته العودة إلى أرضه التي طرد منها ؛ مما كان يلهب نفسه بضرورة العودة للوطن.

6_اقتناعه التام بخيانة الزناتي وعسسه لقضايا وطنه وأمته، وعدم التعاطف مع قضية الغريب ورغباته في العودة إلى الوطن حيث اعتبرها هموما كاذبة.

ولعل هذه العوامل هي التي أدت إلى حالة عدم الانسجام مع واقع النفي في الدول العربية لدى كثير من الوطنيين الفلسطينيين، وهنا نفهم السبب الحقيقي وراء موقف أكرم هنية من واقع المدينة.

ب_المدينة العربية محددة الاسم:

أشرنا في مقدمة الدراسة إلى أن الكاتب أقام في ثلاث مدن عربية، هي: القاهرة وعمان وتونس. المدينة الأولى، درس فيها، وتخرج في جامعتها عام 1976.والثانية، عمل فيها موظفا، بين عامي1976_1978.أما المدينة الثالثة فخرج إليها مكرها، بعد قرار إبعاده عام

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص67.

[2] _السابق، ص68.

[3] _السابق، ص68.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1986، واستقر فيها حتى عام1994 م، بعد توقيع اتفاقيات (أوسلو).فكيف بدت ملامح هذه المدن في قصصه ؟وما هي أبرز القصص التي بدت فيها ؟

يعثر المرء على قصتين دارت أحداثهما في المدن العربية، هما:"وردتان للزميلة ندى " في المجموعة الثانية، و"فاصل طويل "، في المجموعة الأخيرة. في حين لا يعدم المرء الوقوف على ذكر بعض الأماكن الأخرى التي لم يقم الكاتب فيها، في قصص أخرى، لكن هذه الأمكنة لا تشكل حضورا مركزيا.

تبدو مدينة عمان و بعض مدن الخليج أمكنة تجذب الفلسطيني من أجل الحصول على المال والعمل، وهي أماكن، لا يشعر السارد أو الشخصية بالانتماء إليها، فتحضر ذكريات مدينة عمان في وعي السارد في قصة "فلاش باك"على النحو التالي:"ستمضي أيامي في هذه المدينة بطيئة وثقيلة ولزجة، وستجعلني جدران الحصن الذي أحطت نفسي به أشعر بالاختناق الشديد، سأرى عمري يتسرب مني ذرة ذرة، عندها سأغادر هذه المدينة، وسأحمل معي ذكريات رمادية ومذاقا مالحا يلتصق بلساني، وقدرا معقولا من النقود، وجسدا مثخنا بأحزان جديدة."([1]) في حين ظهرت المدن المصرية، القاهرة والإسكندرية، مراكز للعمل الثوري والتحصيل العلمي ونشوء الحركات السياسية وتكوين الصداقات، ولكن الأجواء السياسية قاتمة، والعلاقة مع نظام الحكم سلبية، كما هو الحال في قصتي "وردتان للزميلة منى "و"فلاش باك" على الرغم من أن الكاتب لم يهتم بالتفاصيل المكانية والوصفية كثيرا، بل جاءت ضمن الإطار العام في السرد ؛لأن هم الكاتب كان ينصب على الفكرة أكثر من الاهتمام بجزئيات المكان.

لكن مدينة تونس استحوذت على اهتمام الكاتب، وأفرد لذكرها قصة تؤرخ لجمال هذه المدينة، وهي قصة "فاصل طويل"، فما السبب في ذلك ؟ أ لأن علاقة الثورة الفلسطينية التي يعمل في إنجاحها وخدمتها لم تكن، في فترة كتابة القصص، على علاقة ودية مع أنظمة الأردن ومصر.كانت أحداث أيلول وأطماع النظام الأردني في حكم الضفة حاضرة بقوة في حينه، وكانت مصر، بقيادة السادات، قد وقعت اتفاقية (كامب ديفد) التي وقف منها هنية نفسه موقفا معارضا. كل هذه الأمور يمكن أن تكون خلف الموقف السلبي للكاتب من هذه المدن.في حين عاش الفلسطينيون في تونس بعد خروجهم من بيروت، بعد أن رفضتهم معظم العواصم العربية، فاحتضنتهم، وهي المدينة الوحيدة التي خرج منها الفلسطينيون طوعا لا كراهية ولم يطاردوا فيها ويطردوا منها، فلا غرو أن يمدحها الكاتب. فأتى على وصف شاطئها وفنادقها ومقاهيها ومنازلها وبحرها وبرها وأبرز لها صورة إيجابية :"ذهبت مرارا

---

[1] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص64.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى شاطئ البحر، وتجولت في حي سيدي بوسعيد حيث يجذبني معمار البيوت البيضاء بشبابيكها المطلية إطاراتها باللون الأزرق كبقية بيوت تونس، وجلست في مقهى يطل على الخليج أشرب شايا بالبندق، وذهبت إلى مركز الموسيقى الذي يديره الفنان أنور إبراهيم في قصر بهي في العاصمة، وتذكرت القدس القديمة.ودخلت مطعما يشغل بناية قديمة رائعة الجمال لأتناول طعاما تونسيا أصيلا. واشتريت أطواقا من الفل."([1])

وفي موضع آخر :"تونس تؤنس"..هكذا تقول لوحة إعلانية سياحية ضخمة في أحد الميادين، وهي تؤنس فعلا بناسها وتراثها وبيوتها وبحرها وبرها وخضرتها، ولكني اكتشفت أنني لم أعرف تونس، ولم أقترب منها، ولم أحاول أن أفك لغز تلك اللمسة السحرية للبساطة الوديعة الدافئة التي تغلفها."([2])

يلاحظ المرء من خلال الفقرتين السابقتين مدى الإعجاب والتقدير الذي يكنه السارد لهذه المدينة، من خلال اللغة التصويرية الإيحائية، بما تحمله من دلالات خاصة تتواءم وطبيعة الموصوف، فاللغة رقيقة رومانسية ذات إيقاع بطيء يشمل وقفات في إطار السرد لتقديم جماليات المكان، فكلمات مثل: يجذبني /مقهى بهي /بناية قديمة رائعة الجمال /المدينة تزهو ضاحكة في كرنفال صيفها الملون، ذات إيقاع طيب على النفس تشعر القارئ بإعجاب السارد بالمكان، وتشمل دعوة منه للقارئ ليتعاطف معه.والألوان الأبيض الأزرق الأخضر هي ألوان مريحة للنظر وللنفس، أما الأصوات فهي جذابة، أيضا، ذات إيقاع جميل: الموسيقى العذبة/ المدينة تزهو ضاحكة/ الحفلات الغنائية..

ويلاحظ المرء انفتاح المكان في المدينة وتفاعل الإنسان معه، إذ تبدو هناك علاقة حميمة بينهما، فالمكان يضفي جو الحيوية على مشاعر الإنسان، حيث الطبيعة الخضراء والحياة والعمل والصفاء والجمال والاستجمام، فهي "تؤنس ".يتجول المرء فيها بحرية، الشواطئ الجميلة والمقاهي التي يشرب فيها الشاي بالبندق والسهرات والحفلات، ويكون صداقات حميمة، وهي تشبه مدينته الحلم حيث هذه الأجواء تعيد عقارب الساعة إلى الوراء لتذكر السارد بأجواء مدينة القدس القديمة، وحتى هناك حالة تشابه في الأسماء، فحي القصبة اسم يطلق على اسم حي في مدينة تونس.فهي جذابة وجاذبة بكل ما فيها، لأن يستقر الإنسان فيها ولا يبرحها، والسارد يأسف للحظة الرحيل هذه، ويكرر إيقاع جملة "كنت أودع تونس" في بداية كل فقرة من فقرات القصة، لكن نداء الوطن والعودة كان يشده أكثر"كنت مشدودا للبيت الأول...والبيت الأخير ...كان القلب يشعر بالوحشة ويستعجل العودة، وكان ذهني

---

[1] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص126/127.

[2] _السابق، ص128.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحاول تشكيل صورة عن اللحظة العودة، عبر الجسور، عن لقاء الأهل والأصدقاء، وعن حياتي التي سأستأنفها هناك."([1])

وهكذا يلحظ المرء أن الكاتب لا يصف الأمكنة كلها بطريقة واحدة، إن موقفه من المدينة يتغير حسب علاقته بها، وحسب أثرها على نفسه.وتتطابق هذه الرؤية مع واقع المدينة في الرواية الفلسطينية كذلك حيث خلص علي محمد عودة عند دراسته لواقع المدينة العربية في الرواية الفلسطينية إلى أن"علاقة الإنسان بالمدينة هي علاقته بالمكان الموصل إلى الوطن، الذي يقرب الفلسطيني من وطنه.إن العلاقة _هنا _ تتغير تبعا لتغير موقع (المدينة)من نفس الإنسان الفلسطيني، أو تبعا لقرب هذه المدينة _ نفسيا_ من الوطن.أما إذا كانت المدينة جزءا من الوطن نفسه، فإن العلاقة تكون حميمة في أغلب الأحيان."([2])

ج_المدينة الفلسطينية:

يلحظ المرء أن القاص أولى المدينة الفلسطينية اهتماما لا بأس به، وقد كتب عن هذه تارة دون أن يذكر اسمها، وطورا بذكر اسمها ذكرا مباشرا.

سوف أتوقف، ابتداء، أمام المدينة الفلسطينية التي لم يرد اسمها معتمدا على اجتهادي في تحديد كونها مدينة فلسطينية، ثم سأنتقل بعد ذلك إلى المدينة الفلسطينية التي ذكر اسمها في القصة مباشرة.

1_غير محددة الاسم:

يمكن القول إن الكتابة عن المدينة الفلسطينية التي لم يحدد اسمها بدا في ثلاث قصص هي:"أبو القاسم يشارك في النهوض الجماهيري" و"يوم عادي"و"بوح سريري"، في حين لا يعدم المرء العثور على ملامح المدينة في بعض القصص الأخرى، وخاصة تلك القصص التي تناولت أجواء القرية الفلسطينية، حيث كانت الشخصيات في العادة تتوجه نحو المدينة لبيع منتجاتها الزراعية ، أو للعمل في مصانعها أو للتعليم في مدارسها، أو للتسوق في أسواقها أو للحصول على بعض المعاملات الرسمية أو تصديقها.وهذا يتطابق في كثير من الأحوال مع الواقع الموضوعي لعلاقة القرية الفلسطينية بالمدينة.

تبدو صورة المدينة في القصة الأولى، وهي من أوائل قصصه، سلبية، ويظهر ذلك من خلال عبارات الوصف في بداية القصة:"الشارع خال...تتطاير أوراق الشجر كلما هبت الريح ....يسبب الضباب صعوبة في الرؤية ...يضم أبو قاسم معطفه الثقيل حول جسده

---

[1] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص129.

[2] _ عودة، علي محمد، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية(1952_ 1982)، ط2، مكتبة دار المنارة، 1997، ص198.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

....يواصل مراقبة الشارع من نافذة الطابق الثاني في المدرسة ....والمدينة تغفو في ظل الليل والبرد وصوت الدوريات.([1])والغريب أن تظهر المدينة بهذه الصورة السلبية، خاصة وان الكاتب لم يرسم لها صورة سلبية في ظل الاحتلال، ولعل السبب في ذلك يعود إلى واقع الشخصية النفسي السلبي، لأنه يشعر بأنه يُقدِم على عمل غير إيجابي من خلال مراقبة الطلاب الذين سيكتبون الشعارات على جدران المدرسة، بعد أن كلفه المدير بهذه المهمة، خشية إغلاق الاحتلال للمدرسة.إضافة إلى حالة الرعب والخوف التي يشعر بها داخل الغرفة، حيث يوجد منفردا. بالإضافة إلى وجود دوريات الاحتلال فيها، مما يجسد السيطرة على المكان؛ لهذا بدت المدينة شاحبة.

صور المكان المقاوم في قصتي "يوم عادي "و"بوح سريري"، من المجموعة الأخيرة بصورة إيجابية، ويجد المرء حالة تفاعل وتلاحم بين الإنسان والمكان، ويتجسد هذا من خلال الدفاع المستميت عن المدينة والموتِ في سبيلها.

يلحظ المرء طريقة المقاومة في الدفاع عن المكان، في قصة "بوح سريري"، من خلال إشعال الإطارات وإلقاء الحجارة على جنود الاحتلال، وتشييع، جثامين الشهداء، و تعليق الصور والملصقات، للذين استشهدوا، على واجهات المحلات والمقاهي وبيوت العزاء.

أما قصة "يوم عادي"، فهي الأخرى تكشف عن جوانب أخرى لواقع المدينة، إذ تبرز محاولات الاحتلال في إبادة الشعب الفلسطيني وإقامة مكانه المعادي على أنقاض المكان الفلسطيني، وظهر ذلك، من خلال تقديم السارد لتجربة مماثلة في التاريخ البشري، وهي تجربة الهنود الحمر مع الأمريكان.

تبدو الأجواء المفتوحة الخارجية، هي المكان الذي تسير فيه أحداث القصة، وفيه يتحرك السارد. في حين تراوحت حركة السرد، بين الإيقاع السريع والإيقاع البطيء، فعندما كان يصور الواقع الفلسطيني، كان يلجأ إلى الإيقاع السريع، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الكاتب يريد أن يري ويعرض، من خلال السرد، المعاناة اليومية بكل تفاصيلها؛ لهذا نجد السارد يتحرك من مكان إلى آخر، فينتقي ما يخص إجراءات الإسرائيليين في المكان. فينتقل بسيارته من قريته التي يعيش فيها إلى المدينة التي يعمل فيها، وهناك يرينا حركة الناس في الشوارع والمقاهي وفي المستشفيات وبيوت العزاء وساحات المواجهة، يعرض كل ما يقع عليه بصره في أجواء تلك المدينة، ولا يستطيع ذلك إلا من خلال حركة السرد السريعة التي تمكنه من حرية الحركة. في حين كان يوقف حركة السرد

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص110.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليعود إلى الوراء بعقارب الساعة ليستحضر تجربة الهنود الحمر حينما يسمع صوت طائرة(الاباتشي) المحلقة في الفضاء الفلسطيني.

في قصة "فلاش باك"، يقدم أكرم هنية طريقة جديدة في تقديم المكان، إنه يعتمد على الذاكرة في استحضار مدن وأماكن تحرك فيها السارد، في أكثر من قطر عربي وأجنبي، يفعل ذلك وهو مقيم في رام الله، هكذا أخمن.

بدت المدينة شاحبة، والغريب أن السارد يقدم المدينة الفلسطينية بصورة ضاغطة على إنسانها، لا ينسجم معها، تتحطم فيها أحلامه وطموحاته، تنكره، تأكل ذكرياته وأحلامه القديمة وطفولته، ينظر إليه الناس فيها نظرة المتشكك المتسائل، ويشعر اتجاهها بالخيبة، بعد أن لاحظنا موجة الحنين العارمة التي قدمها في قصة "فاصل طويل"، وهو يستعجل العودة إليها.فما الأسباب الحقيقة التي غيرت مشاعره ومواقفه تجاه هذه المدينة طالما تاق للرجوع إليها؟ ربما يعود السبب في ذلك، إلى أن الإنسان حين يفتقد الأشياء يحن إليها.فحين يكون بعيدا عن الوطن يحن إليه، ولا يرى منه إلا صورا إيجابية، وبخاصة إذا كان في المنفى في حالة سيئة.وحين يعيش في الوطن ويرى التفاصيل قد يمل منه، ويكفر به. وحين يحصل على الأشياء التي يفتقدها لا يعود ينظر إليها كما كان ينظر إليها قبل امتلاكها..وربما أيضا، يرسم الإنسان في ذاكرته مدينة الحلم التي يتمنى أن تتحقق على أرض الواقع، وعندما يجد أن هذه الأحلام تبخرت، وأن الواقع غير الأحلام، سيشعر بالتأكيد بالخيبة، وتتبدد آماله وأحلامه في ظل الواقع الجديد، وخاصة إذا لم يكن يتصور أن الأمور تؤول به إلى هذا الحد. لهذا نجد أحد الشباب من الجيل الجديد، يصرخ في وجه السارد ليقول له: "ليس هذا الاستقلال الذي وعدنا به، ليس هذا السلام الذي تحدثوا عنه، ليست هذه الدولة التي كنا نحلم بها ونناضل من أجل قيامها. "([1])

وقد عزا السارد عدم تحقيق هذا الأحلام إلى العوامل التالية:

1_الابتعاد عن الوطن لمدة طويلة وعدم ملامسة أرض الواقع مما حدا برسم صورة خيالية للوطن الحلم بقيت في الذاكرة لا تبرحها.

2_الاحتلال الذي يقزم كل مشروع لقيام دولة فلسطينية بالمواصفات الفلسطينية.

3_تفكير بعض الفئات التي رأت في تحقيق الوطن النموذج حلما غير قابل للتحقيق، فبدأت تدافع عن الواقع الجديد، وكأنه كل طموحاتنا الوطنية.

4_عقلية الإسرائيلي التي لم تتغير في قبول الفلسطيني ومنحه حرية الحركة في مكانه الذي يعشقه.

---

[1] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص74.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2-المدينة الفلسطينية المحددة الاسم:

حين يمعن المرء النظر في المدن الفلسطينية التي وردت في قصص الكاتب، يلحظ أن المدن التي كان لها حضور هي القدس ورام الله ونابلس وغزة، وكان حضورها متفاوتا، فقد تبوأت القدس الصدارة، إذ كتب عنها في ست قصص هي :"بعد الحصار قبل الشمس بقليل " في مجموعته الأولى، و"ظهيرة يوم رجل حزين "و"عندما أضيء ليل القدس"و"يوم قتل إبراهيم الأقرع"و"شمال شرق دير اللطرون"و"صلاة في المرحلة السادسة"، في المجموعة الرابعة.أما مدينة رام الله فشكلت بعدا مكانيا لقصة واحدة، هي قصة "سحر الحب" في المجموعة الأخيرة، وذكر مدينة نابلس في قصة "القرار"، في مجموعته الثانية حيث كانت منطلقا لأحداث القصة، ولم يهتم كثيرا في ذكر أوصافها، واكتفى بالإشارة إلى بروز الإشاعة منها، وجاءت القصة لتمثل الحياة في الضفة الغربية، أما مدينة غزة فقد ذكرها مرة واحدة في قصة" أسرار الدوري"، أما بقية المدن الفلسطينية الأخرى فلم تجدلها مكانا في قصص الكاتب، وإن أشار لها، فتكون إشاراته إشارات عابرة، كما هو الحال مع مدينة يافا في قصة "فلاش باك".

وبهذا تكون مدينة القدس هي مدينة الكاتب، وقد التفت أحد الدارسين إلى هذا، فكتب: "برع الكاتب في التقاط كل صغيرة تزدحم بها أسواق القدس، تلك المدينة التي تشكل مساحتها وهمومها أكثر من ستين بالمائة من قصص هنية في مجموعاته الأربع، كما أن قلمه يسجل كل نأمة تصدر عن كل مخلوق في الأزقة والحواري والحقول."([1])

بدت القدس تتعرض للتهويد والتهديد والمصادرة من الاحتلال الذي يحاول طمس معالمها الفلسطينية.وقد أسهب الكاتب في إيراد التفصيلات المكانية والجزئيات الصغيرة وصور حياة الإنسان في هذه المدينة.

في قصة "بعد الحصار... قبل الشمس بقليل"، يصحو أهل القدس ليجدوا "الصخرة انسرقت" ([2])، فتصيبهم حالة من اليأس والذهول، وما أن يسمع الناس الخبر حتى يفدوا"من أبواب العامود والخليل وحطة الساهرة والسلسلة ومن خان الزيت وحارة النصارى والآرمن وخرجوا من عقبة التكية وعقبة المفتي وحارة السعدية وشارع الواد وقناطر خضير."([3]) وهنا يحتفي الكاتب بتصوير كل حارة وزقاق ومعلم من معالم المدينة، وكان باستطاعته أن

---

[1] _ينظر:المقدمة :في كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص6.

[2] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص153.

[3] _السابق، ص154.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول:وفدوا من جميع أنحاء المدينة دون الإسهاب في ذكر معالمها، فلا يشعر المرء نشازا في القصة، لكن الكاتب، إضافة إلى إضفاء الجو الواقعي على قصته أراد أن يبرز هذه المعالم التي تؤكد عروبة المدينة وتاريخها العريق بما يتركه كل معلم من بعد تاريخي في ذاكرة القارئ، وليصور كذلك هول الفاجعة التي ألمت بسكان المدينة مع اختلاف توجهاتهم ومشاربهم وليؤكد على ارتباط المقدسيين بمكانهم، فبدا التفاعل جدليا بين الإنسان والمكان، إذ أدى اختفاء قبة الصخرة إلى شقاء الناس وتوقف حياتهم :"في ذلك اليوم وبعد أن ذهبت ردة الفعل الأولى كان منظر البلدة القديمة غريبا، الريفيات اللواتي يفترشن الطرق ودرجات البوابات عادة لعرض الفواكه والخضار الطازجة كن يجلسن ساهمات وحزينات وعاجزات حتى عن العودة لقراهن، أما عمال المقاهي فقد اختفت صيحاتهم المستمرة وجلسوا على أبواب المقاهي التي ازدحمت برواد صامتين يدخنون السجائر دون أن ينبسوا ببنت شفة، وتوقف النشالون من مد أيديهم لجيوب السياح القليلين الذين نزلوا المدينة ذلك اليوم كما أن الشبان لم يجدوا أنفسهم في مزاج يسمح لهم بمحاولة اصطياد السائحات، وأقفل أصحاب السنتواري والبازارات محلاتهم وجلسوا أمامها وتساءل بعضهم أن كان الحادث سيؤثر على حركة السياحة ...ولم تعد صرخات الشياليين وعرباتهم تعرقل المرور في الأزقة الضيقة..واختفت روائح اللحم المشوي والكعك والفلافل والزعتر والبهارات والقهوة والكنافة وصمتت أجهزة التسجيل والراديو والباعة المتجولون."([1])

يلاحظ المرء قدرة الكاتب في نقل أجواء الحزن، وتصوير حركة الناس في المدينة حتى جعل الصمت والحزن والسكون يدب في كل شيء ليشمل الجمادات.

كما أن المقطع السابق، يعكس طبيعة حياة، وعمل معظم الشرائح الاجتماعية، ومزاج الناس وتطلعاتهم، وهواجسهم، ويكشف عن طبيعة الأجواء التي تسود المدينة، بروائحها وأصوات باعتها وحركة الناس فيها.

ويلمس المرء المفارقة والتحول الذي طرأ على المكان بفعل الاحتلال، من خلال موقفين: الموقف الأول، في بداية القصة حيث الحركة والحياة، وانصراف الناس إلى أعمالهم المتنوعة المختلفة منذ الصباح الباكر، مما يعكس نشاط الناس وحيويتهم في هذه المدينة.والموقف الثاني، بعد اختفاء قبة الصخرة، وواقعها حيث تعتمد كل شخصية من الشخصيات الأربع إلى ذاكرتها لتقارن واقعها بعد الاحتلال واختفاء قبة الصخرة، حيث بدا المكان سابقا، يشع بالحيوية والحياة والراحة النفسية ومكان عقد الصداقات والطقوس الدينية والاحتفال بالأعياد، والفخر والاعتزاز بسكن هذه المدينة.

---

[1] _ هنية، اكرم، طقوس ليوم آخر، ص155.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما تحت الاحتلال و بعد اختفاء قبة الصخرة، فقد تغيرت حياة الناس إلى الأسوأ، فآمنة القروية_مثلا_ سجن زوجها ابن عمها وألقت بها نوائب الدهر على أرصفة المدينة لتبيع الفواكه والخضار لتعيل أولادها الصغار، وتذكر تلك الأيام الجميلة، وهي صغيرة، حينما حضرت إلى مدينة القدس حين اصطحبها والدها إلى المدينة، فأكلت الكنافة، والمرة الأخرى حينما قدمت إلى المدينة، وهي عروس، مع أهلها وابن عمها ليؤثثا بيت الزوجية.أما بقية الشخصيات، فهي الأخرى تشعر بالمشاعر نفسها، إذ تغيرت طقوس بعضهم، فمنهم من يتذكر حريق الأقصى، ومنهم من يعرج على ماض اندثر، ومنظر المدينة تغير عن سابق عهده، فكل شيء فيها يئن. لقد أضحى بعضهم عاملا في المصانع الإسرائيلية أو في أماكن حقيرة، لا يستطيع الزواج ولا إكمال مشواره التعليمي، على الرغم من تفوقه في المدرسة.وعليه يخلص المرء بعد قراءة القصة إلى نزوع الشخصيات نحو القديم، فكل قديم مقدس في حياة الشخصيات وفي المكان. الماضي يحمل في طياته السعادة، أما الحاضر فيحمل البؤس والشقاء لأهل المدينة.بفعل التغيرات التي أحاطت بالسكان والمكان.

ويتكرر احتفاء الكاتب بوصف التفصيلات الدقيقة لطبيعة المكان وحياة الإنسان، في قصة "عندما أضيء ليل القدس"، والمقطع التالي يوضح ذلك:"كانت الساعة تقترب من العاشرة ليلا، ليلة يوم صيفي حار.يوم من رمضان.وفي الساحات والطرق الضيقة، والأدراج المؤدية لباب العامود، والحدائق الصغيرة الملتصقة بالسور والشوارع المجاورة داخل البلدة القديمة، وخارجها، احتشد آلاف الأشخاص يمارسون طقوسا جديدة ارتبطت بليالي رمضان في القدس.

جلسوا فوق المقاعد الحديدية في الحدائق الصغيرة، وعلى أطراف الأرصفة، وعلى العشب الأخضر، وفوق الدرجات الحجرية الهابطة نحو باب العامو، د وكان سيل لا ينقطع من البشر يتدفق خارجا أو داخلا من البوابة ...في كل مكان انتشروا، أمام المقاهي، والمحلات الأغذية، والملابس، والحلويات، والمحامص، التي تبقى مفتوحة حتى منتصف الليل، و.."([1])

ثم يسهب في مقاطع أخرى، في وصف المكان، وحركة الناس في شوارع مدينة القدس وأزقتها، والأصوات المنبعثة، والروائح المنتشرة، والألوان الساطعة وكأن الكاتب يوثق لواقع الحياة في هذه المدينة بكل معطياتها.

ويلاحظ في هذه القصة تجاور الأمكنة وتلاصقها وتلاحمها، وإضفاء الحيوية والحياة عليها، وذلك من خلال لغة إيحائية ذات طاقة حركية ولونية وصوتيه، يرسم لوحة فنية تمنح

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص40.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القارئ تعاطفا جديا مع المكان والإنسان. إضافة إلى إضفاء طابع القدسية على المكان وتلاحمه مع الزمان (شهر رمضان)، والاعتماد على الروح الشعبية التي تعتقد أن السماء في رمضان تفتح في إحدى الليالي، حيث يظهر ضوء ساطع لفترة من الزمن، وفي هذه الفترة يستجيب الله لمطالب أي إنسان، فأتى الكاتب على توظيف رجل الضوء الذي يظهر فجأة في ليل القدس ليضيئها، فتلتفت إليه العيون جميعها، وكأنه المخلص أو الناقوس الذي يشعل ذاكرتهم وذكرياتهم، ويذكرهم بماضيهم وحاضرهم، فأخذت كل شخصية تستحضر المفقود في حياتها، عبر امتداد الزمن، وتتمنى تحقيقه عبر رجل الضوء، ويذكر أن السارد وصف حياة الناس قبل ظهور رجل الضوء بطريقة تفصيلية واقعية، لكن عندما ظهر رجل الضوء ارتد الناس إلى ذواتهم.وفي خيط التواصل بين رجل الضوء والناس ولحظة المكاشفة والفرح يحضر حرس الحدود يطلقون النار على رجل الضوء لتذهب نسمة الفرح هذه. وفي هذا إشارة من الكاتب لما يشكله الاحتلال من عامل منغص في المكان.

وليس عجيبا، أن يحشد هنية في هذه القصة آلاف الناس من كل المدن والقرى ليشخصوا بعيونهم وأفئدتهم نحو المدينة المقدسة، وذلك لان القصة كتبت في مرحلة تاريخية صعبة، كانت إسرائيل تسعى إلى طمس معالم المدينة وتهويدها ومسح معالمها التاريخية والدينية من خلال تكثيف التواجد الصهيوني في المدينة القديمة من خلال الاستيطان، فأراد القاص أن ينبه الشعب الفلسطيني إلى تلك المؤامرة التي تحشد ضدها، والتأكيد على هويتها القومية والدينية لما تمثله من قداسة منذ الأزل.

وفي قصة"ظهيرة يوم رجل حزين "، رصد القاص حركة أبي كمال الذي انطلق من حي المصرارة في مدينة القدس في صبيحة أحد الأيام، ووصف حركة الناس فيها، حيث أضحى حي المصرارة موئلا للعمال الباحثين عن العمل في إسرائيل، ثم نتعرف من خلال السرد إلى النشاط الاستيطاني حول المدينة المقدسة من جهة مدينة رام الله، والى مكان عمل أبي كمال في إحدى المستوطنات المقامة على أنقاض إحدى القرى الفلسطينية هناك.

في حين ترصد قصة "يوم قتل إبراهيم الأقرع "، حركة السارد، وهو متجه نحو مدينة القدس مارا بشارع صلاح الدين، ثم حي المصرارة حتى لحظة وصوله إلى مقر عمله، في مكتبه الصحفي هناك، ويلاحظ في هذه القصة المرة الوحيدة التي يستحضر فيها صورة سلبية لشخصية مقدسية "وشتم تاجر في صلاح الدين في القدس الوطنيين لأنهم دعوا قبل أيام لإضراب في ذروة الموسم السياحي "([1]) ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الكاتب هنا، نقل واقع السكان المحليين تحت الاحتلال في تلك الفترة، إضافة إلى أن الكاتب لم يمدح طبقة

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص11.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التجار قط، في أية قصة من قصصه، وحين كان يأتي على وصف تاجر إيجابي يصفه بالتاجر الصغير، كما هو الحال في قصة "بعد الحصار قبل الشمس بقليل".

كشف القاص في قصة "شمال شرق دير اللطرون"عن سياسة إسرائيل في تدمير القرى الفلسطينية المحاذية لمدينة القدس، وتشريد أهلها، وكان قد خص هذا المكان في قصة أخرى لاحقة "أسرار الدوري "، حيث وصف المكان وصفا بدت فيه صورته جميلة خلابة "كان دير اللطرون يطل بكامل بهائه. "([1])

أظهر الكاتب بعض الأماكن المسيحية المقدسة في المدينة، وبالذات كنيسة القديسة (فيرونيكا)، وأتى على الواقع النفسي الذي يشعر به السارد في المكان بسبب تواجد اليهودي في القدس القديمة "مرت مجموعة من اليهود المتدينين بجانبنا.سأل الطفل عما يحدث فابلغه والده انهم يتوجهون للصلاة في كنيس أقاموه في بيت عربي صادروه قرب الشارع الذي كنا نقف عنده."([2])

وهنية في هذه القصة أطلق صرخة الاستنجاد والخلاص للإنسان والمكان مشفوعا بالدعاء:

"أيتها الأم القديسة

اجعلي جراحات وليدك

في قلبي منطبعة"([3])

لم تجد مدينة رام الله التي عاش فيها القاص جل سني عمره، في مجموعاته الأولى اهتماما بارزا، كما هو الحال في مجموعته الأخيرة، وان يعثر المرء على بعض الإشارات التي تحيل على المدينة، فكانت مكان الانطلاق نحو مدينة القدس، أو مكان الإياب منها غالبا.

واللافت أن أكرم هنية لم يقم في القدس.لقد ولد في رام الله وعاش فيها وما زال يقيم هناك.واللافت أيضا أنه لم يخص رام الله بما خص به القدس.فما السبب في ذلك ؟أيعود إلى أنه يرى في القدس عنوانا للوطن كله ؟أيعود إلى أن الاحتلال يركز على القدس التي تبدو في طريقها للضياع، خلافا لرام الله التي يمكن أن يتنازل عنها الاحتلال، وهو ما حدث بعد (أوسلو)(1993)، في حين أنه _ أي الاحتلال _ يصر على أن القدس هي عاصمة دولة إسرائيل إلى الأبد؟ أم يعود السبب في ذلك إلى أن هنية يحب المدن القديمة ذات العراقة، وهذا ما يميز القدس عن رام الله.الأولى مدينة تاريخية لها عبقها، والثانية مدينة حديثة النشأة.

---

[1] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص79.

[2] _ هنية ، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص26.

[3] _ السابق، ص24.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يسرف السارد في وصف مدينة رام الله كما هو الحال في مدينة القدس، بل ينعكس المكان وفق الرؤية الخاصة للشخصية حيث تبدو الأماكن وسيلة للتنقل والتجوال في فضاء المدينة، ولينصب الاهتمام بواقع الإنسان الجديد في الواقع الجديد، لكن الصراع على المكان يفرض نفسه، حيث يكون هذا الصراع هو السبب في موت الإنسان، حين يقتل بطل القصة المتخيل للواقع الجديد، وهو يحتج على سياسة الاستيطان في قرية النبي صالح، وكأن الكاتب يقول أن لا حياة طبيعة يمكن أن يعيشها الإنسان الفلسطيني إلا بخلاص المكان.

يلمس المرء بعض التغيرات الاجتماعية في حياة المدينة، مثل المكاتب والمباني العالية والوزارات ومقاهي الانترنت والبنوك والشركات، مما يؤشر على بعض التغيرات الاقتصادية في عهد السلطة.

أما مدينة غزة فقد أتى الكاتب على ذكرها في قصتي " شمال شرق دير اللطرون"و "أسرار الدوري ". في القصة الأولى كان السارد آيبا منها ، نحو مدينة القدس، في حين كان ذاهبا إليها، في القصة الثانية، من إحدى قرى رام الله. في القصة الأول لم يحفل بذكر ملامحها، في حين في القصة الثانية، ذكر ملامح الأمكنة الجديدة، ولم يركز على المعالم التاريخية والأثرية فيها، فلفت نظره منظر البنايات الجديدة الفخمة والفندق الذي أقام فيه، ومناطق الاستجمام على شاطئ غزة التي تحفل بالرواد، وشوارعها التي تغص بالمارة، والعربات العسكرية، ومبنى السرايا ومكاتب الوزارات والدوائر الحكومية والأجهزة و...

ولا يخفى فرح الكاتب باسترداد مدينة غزة وتحريرها من يد الاحتلال، ويظهر ذلك من خلال المقطع التالي :"كانت غزة تبدو كطائر خرج للتوّ من قفصه وأخذ يصفق بجناحيه كي يستعيد ذاكرة الطيران والحياة."([1]) لكن لحظة الفرح هذه كان ينغصها وجود الاحتلال، فعندما كان الدوري يصل إلى كل مكان يتواجد فيه الاحتلال، كان يصحو من شروده الذهني وأحلامه، وظهر ذلك في موقفين:الأول، عندما وصل إلى دير اللطرون. والثاني، عندما رأى، من نافذة الفندق الذي يقيم فيه، في مدينة غزة، منظر الزوارق الإسرائيلية وهي تجوب عباب البحر. ليقول الكاتب :ان الإسرائيليين ما زالوا يسيطرون على المكان.

ولا غرو بأن يجعل الكاتب الدوري الوحيد الذي يحتفظ بالسلاح، ويذكر العقيد بأن السلاح الذي بحوزته ما زال يحتفظ به في مدينة رام الله، لربما يحتاجون إليه في المستقبل.

أما مدينة نابلس فقد أتى الكاتب على ذكرها في قصة "القرار"، وخاصة البلدة القديمة، لكنه لم يقف على جمال هذه البلدة وتاريخها العريق، بل برز الحي القديم مركزا لانتشار الإشاعة والنبوءة، يسكنه العراف الذي تنبأ بحدوث زلزال في الضفة الغربية. واتفق مع ما ذهب إليه

[1] ــ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص88.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسطة عند دراسته المجموعة الثانية، في أن السبب في اختيار الكاتب"مدينة نابلس في الذات له دلالة هامة، كذلك اختيار حي القصبة _ حي فقير _ ومن هنا يكون هذا الحي بؤرة للجهل والفساد والثورة أيضا، كما أن اختيار المدينة ذاتها له دلالة إذ في هذه المدينة بالذات تنتشر مثل هذه الشائعات، ولكن لهذه المدينة دورها النضالي أيضا."([1])

2_ القرية :

يلحظ الدارس أن القاص أولى القرية اهتماما لافتا، فقد كانت مسرحا لقصص عديدة. واللافت أنه لم يذكر اسم قرية إلا في قصة واحدة، في حين أن القصص الأخرى، وهي سبعة، كانت القرية بلا اسم.

كانت القرية مسرحا للأحداث في المجموعة الأولى، في قصة "تلك القرية ذلك الصباح"، وفي المجموعة الثانية، ذكر قصتين، هما :"هزيمة الشاطر حسن " و "مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما"، في حين حظيت المجموعة الثالثة بقصة واحدة، هي قصة "وقت وشموس كثيرة"، أما المجموعة الرابعة فكانت القرية مسرحا لأحداث ثلاث قصص، هي:"يوم قتل إبراهيم الأقرع "و"كل شيء ...وهذه النظرة بالذات" و"أم محمود تشارك في اعتصام نسائي"، أما المجموعة الأخيرة، وإن لم يفرد لها قصة بعينها، لكن القرية كانت تحضر من خلال الشخصيات الإيجابية أو تحرك السارد نحو المدينة، وكانت الأحداث التي تتعرض لها، كما في قصة "سحر الحب"، هي السبب في عدم قدرة السارد في كتابة قصته وموت بطل القصة بسبب مشاركته في الاحتجاج على مصادرة أراضي قرية النبي صالح.

واللافت أيضا أن الكاتب لم يسكن القرية، ولم يعش فيها، فلماذا خص القرية بهذا الاهتمام في كل مجموعة من مجموعاته؟ربما، يعود السبب في ذلك إلى أن الكاتب، ومن خلال عمله الصحفي كانت ترد إليه الأحداث في مقر عمله فكان أكثر اطلاعا على ما تتعرض له القرى الفلسطينية؟ولكن كيف بدت القرية الفلسطينية في هذه القصص ؟ وهل استطاع الكاتب أن يعطي تصورا للواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي للقرية الفلسطينية في تلك المرحلة؟

بدت القرية الفلسطينية مسلوبة معرضة للتهديد والمصادرة ومدافعة عن وجودها في ظل الإجراءات الإسرائيلية التي تتربص بها من أجل الاستيلاء على أرضها وإقامة المستوطنات على أنقاضها.

وبرز هذا في قصة "يوم قتل إبراهيم الأقرع "، حيث كانت قرية بديا مسرحا لأحداث المصادرة والتجريف والقتل، لكن المرء يلحظ اهتمام الكاتب بالحدث القصصي أكثر من

[1] _ينظر :دراسة الأسطة، عادل، ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص82.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهتمامه بوصف المكان، وهو مقتل إبراهيم الأقرع على يد حرس الحدود، وهو يدافع عن أرضه أمام الجرافات الإسرائيلية.

وأتى الكاتب في قصة "تلك القرية..ذلك الصباح"، على أعمال التجريف والمصادرة والاستيلاء على المكان بهدف إقامة مستوطنة على أنقاضه.يخرج أبو محمود من قبره، ليحتج على هذه الإجراءات، عندما يحس بصوت الجرافات، وهي تنبش، وتقتلع شواهد القبور وعظام الموتى، ليجد أن معالم القرية دمرت، فيبحث عن بيته والمسجد والمقبرة، فلا يجدها، فيسرع نحو الأعداء الذين يعملون الخراب، ويؤكد لهم أحقيته في هذه القرية، وأن له تاريخا وماضيا، لكن يتم القبض عليه ويبعد عن أرضه إلى الجهة الشرقية من نهر الأردن، لكنه يأبى ذلك ويبقى متشبثا بأرضه.

ولكن التهديد الذي كان يداهم القرية الفلسطينية لا يقتصر على الإجراءات الصهيونية فقط، بل يعود إلى عوامل داخلية، وخاصة الفئة غير المنتمية للوطن من الشخصيات النفعية، وان بدت قليلة، وقد هاجر بعض هؤلاء وتواطأ قسم منهم مع الإسرائيليين في سبيل مصالح مادية، فباعوا الأرض لليهود.

تبرز عوامل التهديد هذه، في قصة "مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما"، من خلال ترك الوطن للعمل في دول الخليج، فيترتب عليه الخشية من انقطاع النسل، والخوف من الانقراض، فيشيع في القرية مظاهر الخوف بسب إضراب الأجنة الخروج للحياة، فيناقش المؤتمر العوامل التي تهدد القرية فيصلوا إلى استنتاجين :الأول داخلي، إهمال العمل في الأرض وعدم الاعتناء بها من خلال العمل في الخارج أو في المصانع الإسرائيلية، والآخر خارجي، بفعل تضيق الخناق على السكان من قبل الاحتلال وعدم توفير حياة كريمة مما يجبر بعض الفئات للهروب خارج الوطن.

وهنية أراد في هذه القصة أن يعالج واقع القرية الفلسطينية والتأكيد على ضرورة التشبث بالأرض، لأنه يقابل ذلك الاستيلاء على الأرض وإقامة المستوطنات على أنقاضها بحجة تركها بدون زراعة.وجعل العلاقة جدلية بين المكان والإنسان والحياة، فالمرأة والأرض لا تنتجان في ظل تركهما وعدم الاهتمام بهما ؛لذلك لم تستغرب أم محمود ما حدث "فالمرأة كالأرض بعد رجلها عنها يجعلها تصاب بالبور والعقم. "([1])

يلمس المرء بعض ملامح القرية الفلسطينية، وبعض العادات والتقاليد في هذه القصة، البيوت المنشرة بغير نظام، والحقول المزروعة والبيوت الطينية وبعض الأثاث :الطاولة الخشبية، إبريق الفخار. والتداوي بالأعشاب والاهتمام بطقوس الولادة حيث الداية تقوم

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص106.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإشراف على النساء الحوامل عند وضعهن، وهذا العادة انقرضت أو كادت تنقرض من القرية الفلسطينية.

وفي قصة "وقت وشموس كثيرة" تعكس بعض الملامح الاجتماعية الأخرى في القرية في ظل الاحتلال، حيث برز المختار السلبي كسلطة مرجعية للقرية، ومن خلاله ينفذ الاحتلال مآربه، في الإبلاغ عن الوطنيين وعرقلة كل ما هو وطني في واقع القرية، وأن التركيبة الاجتماعية في نظر المختار تقوم على الحمائل.

أما علاقة المرأة بالرجل فقد برزت بصورة تكاملية وإيجابية، وخاصة إذا ما كانت الشخصية إيجابية ومنتمية، حيث تساند زوجها في زراعة الأرض وفلاحتها والاعتناء بها، على الرغم أن الكاتب صور المرأة المتزوجة أو الكبيرة في العمر بصورة إيجابية، لكنها لم تخل من البساطة والسذاجة وبنفس الوقت الاقتدار والحنان والصبر على غوائل الدهر، فأم محمود في "قصة أم محمود تشارك في اعتصام نسائي "، كانت بسيطة لا تعرف الدور النضالي والوطني المنوط بها إلا أن حادثة سجن ولدها قد أيقظت فيها مشاعر التحول حيث بدت في النهاية داعية سياسية.أما البنت الشابة فكانت أما طالبة جامعية أو معلمة في كثير من قصصه.

صور ملامح اجتماعية إيجابية في واقع القرية الفلسطينية، وظهر ذلك، من خلال الحس الوطني والعمل الجماعي المتماسك، فالقرار الجماعي كان هو السبيل في حل مشكلة القرية بسب موسم الجفاف الذي أصابها حيث تفجرت الينابيع بين أيديهم في قصة "هزيمة الشاطر حسن"، ومقاومة الاحتلال والدفاع عن القرية ضد سياسة المصادرة هو العمل الذي قام به أهل القرية في قصة "وقت وشموس كثيرة " والحرمان الاجتماعي والمقاطعة العامة هي التي حاصرت السمسار وبائع الأرض في"قصة وقت وشموس كثيرة"، والقرار الجماعي بضرورة عدم الهجرة عن الأرض وضرورة التمسك بها هو نداء أهل القرية في قصة "مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما".

كما يلمس المرء انخراط المرأة في العمل النضالي والاهتمام بتعليم البنات وإقامة النوادي والمكتبات ورياض الأطفال والتجمعات الوطنية، والسماح بالاختلاط بين الجنسين في سبيل تحيق المصلحة الوطنية.

أما علاقة المدينة في القرية فقد بدت علاقة تكاملية، إذا ما تعلق الأمر بالمكان الفلسطيني، أما مكان الاحتلال فالأمر مختلف.

في كثير من القصص، نجد حركة الشخصيات تنطلق من القرية إلى المدينة عبر الحافلة "وهم خليط من عدة قرى يتوجهون كعادتهم كل يوم للمدينة ... بعض نساء القرية يحملن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلال الفواكه والخضار الموضوعة فوق الباص أو بين مقاعده لبيعها في سوق المدينة، مجموعة أخرى من الطلاب الذين يدرسون في المدرسة الثانوية في المدينة، عدد قليل من الذين يعملون كموظفين هناك... وبعض العمال الذين خلافا لغالبية عمال القرية يعملون في مصانع المدينة المجاورة وليس في مصانع إسرائيلية ومجموعة من رجال القرية الذاهبين لأغراض شتى..لشراء بعض الأشياء لعمل التصاريح أو هويات..لدائرة الأراضي..لدائرة الصحة أو للمستشفى و..."([1])

والكاتب يقدم صورة حقيقية لحركة السكان وطبيعة عملهم وعلاقتهم بالمدينة.والتي ما زالت حتى الآن تتواءم مع واقع حياة الناس في القرية.

أما الأماكن التي يسيطر عليها الاحتلال فقد بدت شاحبة، محاطة بالأسلاك، تحد من التواصل، وتسبب الهم والخوف لسكان القرية، إذ يتعرض السكان عند مداخل البنايات للتفتيش والإهانة، فأم محمود سجن ابنها في السجن المتواجد في المدينة، والرجل الثالث القروي سجن كذلك في المدينة، والمختار جاء بتعليمات ومصادرة أراضي سكان القرية من مقر الحاكم العسكري في المدينة، وكثيرا ما كان يبدو منظر المقاطعة التي تخص الاحتلال شاحبا وكئيبا في الوصف.

ويشكل المكان المفتوح حركة الناس وتفاعلهم في واقع القرية حيث نحس الحياة والعمل والحيوية وما أن تدخل الشخصيات تحت سقف مغلق حتى تبدأ مأساتها في كثير من القصص، لكن المكان المغلق لم يبرز بشكل واضح إلا في قصة "كل شيء وهذه النظرة بالذات" حيث يوظف اكرم هنية البيت القروي بصورة غير إيجابية ومألوفة، لهذا سأقف عند هذه القصة بشيء من التفصيل.

يرى (باشلار) أن البيت ركننا في العالم انه، كما قيل مرارا، كوننا الأول "([2])فالأمن والحماية مرتبطان به."([3]) لكن الغرفة عند أكرم هنية تتلون حسب الواقع النفسي للشخصية ؛أي يمكن أن تكون مكانا جميلا إذا ما شعرت الشخصية بالأمن والأمان، فتبدو الأوصاف جميلة واللغة نابضة بالحيوية والجمال، كما هو الحال في قصة "يوم رجل حزين"و"أسرار الدوري"، لكنها تكون عنصرا ضاغطا ومخيفا، كما في قصة "أبو القاسم يشارك في النهوض الجماهيري، وقصة "وقائع التغريبة الثانية للهلالي" و"أربع شرفات وأحلام زائدة "حيث رائحة العفن

---

[1] ــ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص54.

[2] ـ باشلار، غاستون :جماليات المكان، ترجمة :غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1982، ص36.

[3] ـ الحطيني، يوسف، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، ص86.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والإنسان يتحلل داخلها، والشيء نفسه بالنسبة لهذه القصة؛ لأن الشخصية سلبية، وقامت بفعلة مشينة، باعت أرضها للسماسرة، وبذلك تخلت عن المكان لصالح العدو لهذا يحاصرها المكان ويخيفها.وبدا الخارج ضاغطا على الداخل طوال القصة.

في الخارج نلمس حركة الناس ونشاطهم الدؤوب، وحرية الحركة والعمل، يستنشقون الهواء الطلق، يذهبون إلى الحقول، يركبون حميرهم، يساهمون في بناء القرية ومسجدها معا، يغنون، يهزجون الأهازيج، يتلاحم صوت الرجل والمرأة والطفل في حنان وحب وتواصل دائم مع الإنسان والأرض.

إما الداخل فالرعب والخوف والقلق، وجلد الذات وعدم الشعور بتقبل الآخرين، المقارنة بين واقع الشخصية قبل بيع الأرض وبعدها، والتوق والنزوع إلى لخارج من اجل الخروج من قمقم الذات وسجن المكان، ويظهر ذلك من خلال تأثيث البيت بكل وسائل الحماية، فالفأس معلقة على الحائط، والباب مغلق بمزلاج كبير، وما أن يسمع دقة على الباب حتى يلتفت إلى الفأس المعلقة، وتزداد دقات قلبه، ويسأل أكثر من مرة من الطارق، حتى يجده ابنه، فيتنفس الصعداء، إضافة إلى أنه مغلق بالمفتاح من أجل أخذ احتياطات الأمن.وأي صوت في الخارج مدعاة للخوف ورفع دقات القلب إلى أقصى حد. وهو دائم التدخين سهران لا يستطيع النوم، وحده، في غرفة منعزلة لا يبرحها، ويواكب هذا الخوف مقاطعة اجتماعية على مستوى الأسرة وعلى المستوى الخارجي حيث يتعامل الناس معه، كالأجرب، ما أن يدخل جلسة أو بيتا من البيوت في القرية، إلا وقدموا الاعتذارات بدعوى انشغالهم في بعض الأمور، ولم يعد يدعى إلى حفلات الخطوبة والزفاف.كما أن دكانه بعد أن كان يغص بالزوار أضحى بلا رواد، وحتى الصغار يلاحقونه ويسلقونه بالكلام.

كل هذه الأمور نطلع عليها من وعي الشخصية، وهو حبيس الغرفة، حيث لجأ أمام ضغط الخارج نحو الداخل ليكون الداخل أكثر إيلاما وضغطا، لكنه حاول مرارا النزوع نحو الخارج والعودة إلى توازنه الطبيعي، فلقي الإهانة والصد عندما حاول أن يتبرع للمدرسة في إحدى الاجتماعات، صرخ أحد الشبان وقال: لا نأخذ أموالا حراما.لذا أبقاه السارد حبيس البيت، يتجرع الحسرة داخله، فعندما يطل برأسه من نافذة البيت، حيث يرى الرجال والنساء ذاهبين إلى عملهم، يركبون حميرهم، تترد إلى ذهنه أهازيجهم، وكأنهم في عيد حقيقي، "كانوا يبدون له كعمالقة أطول من أشجار الزيتون..تطلع نحوه بحيرة.لم يدر ماذا يفعل ....هز رأسه حيرة ويأسا، ثم سار بخطوات ثقيلة ذليلة إلى الداخل، وأقفل باب بيته."([1])

[1] _ هنية ، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا إشارة من الكاتب أن لا توبة لبائع أرض، وأن مصيره الذل والموت بسبب عدم الانتماء الوطني للمكان.

نلاحظ هنا المقابلة في اللغة والزمان والمكان وواقع الشخصية والداخل والخارج والانفتاح والانغلاق والانتماء واللاإنتماء ضمن ثنائيات تقاطبية. فاستخدم الكاتب الطبيعة واللغة الرومانسية والحركة في السرد عندما تحدث عن أهالي القرية، في حين تحدث بمفردات قاتمة عن الشخصية، وظهر البطء في إيقاع السرد من خلال الإحالة على الذات أو الارتداد إلى الماضي من خلال الاسترجاعات ، فيظل وضع السرد سكوني وفي حالة توقف.أما زمانه القديم فهو إيجابي. أما بعد بيعه الأرض فهو سلبي ضاغط، لذلك كانت تسترجع ذاكرته تلك الأيام الجميلة عندما كان ذا مكانة اجتماعية واقتصادية وتقارنها بالزمن الحاضر السلبي حيث المقاطعة الشاملة، وإزاء هذه المفارقة تكمن التعاسة.أما الخارج فهو جميل ومنفتح في حين الداخل ضاغط فهو حبيس النفس وحبيس الغرفة.لهذا لجأ الكاتب إلى هذه الثنائيات ليقدمها للقارئ وليعمل عقله ومن المؤكد أنه سينحاز للجانب الإيجابي، ويبتعد عن السلبي. وهذه رسالة الكاتب التعبوية في تلك المرحلة.

قدم القاص القرية المحتلة التي دمرها الاحتلال عام 1948م، بصورة تقترب من ملامح القرية الرومانسية، أو المثال، حيث رغد العيش والحياة الكريمة والسعادة والتلاحم الاجتماعي. وتفصح عن ذلك قصة "فلاش باك"، عندما رسمت الجدة لحفيدها السارد ملامح القرية الفلسطينية قبل الهزيمة:"ستحدثني عن قريتنا البعيدة، عن بيوت صغيرة، عن أشجار متناثرة في طرق ترابية ضيقة، عن الجامع الصغير الذي كان جدي يتطوع لرفع الآذان فيه وليؤمّ الناس في الصلاة عن ساحة القرية، عن ديوانها الذي يجمع رجال القرية كل ليلة ويتحول مضافة لزوّار عابرين، ستحكي لي عن حقول تزحف نحو سفح جبل يبدو في نهاية الأفق، وستحكي عن بيتنا، عن شجرة تين في ساحته."([1])

ويبدو هنا توق الكاتب للمكان القديم من خلال اللغة، فاللغة "أحد أطوع تقنيات القص الفني تعبيرا عن رؤية الكاتب، فهي وعاء لأحاسيسه وأفكاره وأخيلته، سواء أقصد أن يحملها صفتي الوظيفية والجمالية أم لم يقصد.فاللغة وسيلة التعبير، وهي التعبير نفسه، فليس العمل الأدبي بوجه ما إلا مفردات وجملا. "([2])

---

[1] _ هنية، أكرم، أسرار الدوري، ص59.

[2] _ خليل، لؤي علي، المكان في قصص وليد إخلاصي (خان الورد)أنموذجا، عالم الفكر، العدد الرابع، المجلد الخامس والعشرون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب _دولة الكويت، أبريل /يونيو 1997، ص250.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبدو جمالية التوظيف اللغوي في كل المقاطع الذي كان يظهر فيه المكان الحميمي والقديم، كانت تبرز المقاطع الوصفية بصورة جميلة ومقدسة. واستخدام مفردات جميلة جذابة، وألوان براقة، إضافة إلى الإسهاب في وصف التفصيلات الخاصة بالمكان القديم، واتساع المكان الخارجي، حيث نشعر بالحركة والحيوية والحياة والدفء وتماسك العلاقات الاجتماعية، وهذا النموذج ينطبق على كل الأمكنة التي طرقها الكاتب سواء أكان في البيئة العربية أم في البيئة الفلسطينية.

فشكل البيوت المتناثر ووصف الحقول ومنظر أشجار التين وسط الساحة يعيدنا إلى بكارة الطبيعة القديمة وجمالها، فالأرض تعتبر مصدر رزق لسكان القرية. ووجود المسجد ورفع الآذان في القرية دلالة على قدسية المكان وطابعه الإسلامي، وحركة الناس وتجمعهم في الديوان يعبر عن التماسك الاجتماعي في القرية، وتناولهم اللحم المشوي والتين الطازج والحلويات يدل على المكانة الاقتصادية وحياة الرفاهية ورغد العيش التي يحياها أهل القرية حيث كل شئ في القرية له مذاق خاص، ووجود الديوان ورسم ملامح المكان ورفع الجد للآذان يعبر عن المكانة الاجتماعية التي كان يحظى به جده في القرية، وهي سمات الزعامة القروية، فهو إذ يحن إلى القديم يحن إلى كل ما هو مفقود في حياته من تلك اللمسات الشعورية والاجتماعية والاقتصادية والروحية التي فقدها ساكن المكان المفقود، فلا غرو أن يشعر بالضيق والحنق والعداء اتجاه من سلبه كل تلك السمات.

وبقي أن نشير أن هناك قصة يتسم المكان فيها بالغموض والإبهام، ولا يحيل إلى واقع القرية الفلسطينية بل يشمل قرية ما في مجتمع زراعي، وهي قصة "هزيمة الشاطر حسن"، ولا نعثر على ملامح مميزة للمكان، لأن هدف القصة، هو فكرتها، وتتبع حركة البطل فيها. نتابع رحلة البطل من قريته التي أصابها الجفاف حتى لحظة سجنه من قبل رجال السلطان. ويفسر عمر عبد الرحمن غموض المكان في الحكاية الشعبية "لأن الحكاية الشعبية هي حكاية بطل أولا وأخيرا، وحركة هذا البطل هي موضوع الحكاية، لم يأبه السارد ولا المتلقي بمسألة المكان إلا من تلك الزاوية التي يكون المكان فيها دخل في تحديد وتفاعل البطل."([1])

وعليه نجد أكرم هنية عكس واقع القرية الفلسطينية تحت الاحتلال والمخاطر التي تهددها، ونقل واقع السكان المحليين في هذه القرية، ولا يخفى تركيز الكاتب على الواقع السياسي للقرية الفلسطينية.

---

[1] _ نمر، عمر عبد الرحمن، الملحمة الشعبية الفلسطينية(منصور بن ناصر)ودراسات في الأدب الشعبي، نابلس، منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص59/60.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تبدو علاقة القرية بالمدينة علاقة تقترب من الواقع الموضوعي المألوف حيث تستقطب بعض العاملين، لكننا لم نجد شخصية قروية واحدة استقرت في المدينة بل كانت المدينة مكانا للعبور، بعكس المدينة العربية التي كانت تستقطب السكان ؛ولهذا نجد العلاقة تكاملية بين القرية والمدينة الفلسطينية، وليست علاقة تضاد وصراع.

ولا يخفى انحياز الكاتب لواقع القرية الفلسطينية حيث قدم واقعها بصورة مشرقة جذابة، وذلك لأن القرية ما زالت تشكل رمز الصمود ورمز التشبث بالأرض والأصالة وبساطة العيش، لهذا لم يركز على العلاقات السلبية في المجتمع الريفي.إضافة لما توفره القرية من مادة جذابة للقاص يستطيع أن يقنع القارئ ببساطة بعض الشخصيات وسذاجتها مما يضفي على جو القصة بعدا فنيا من خلال حالة الإدهاش والتعاطف التي تتركها في نفس القارئ.

وبقي أن نشير أن عدم التحديد والتعيين هو السمة العامة التي تطبع قصص أكرم هنية في محاولة من الكاتب لتعميم المكان ليشمل أي قرية فلسطينية تتمتع بهذه الميزات.

3_ السجن:

يعتبر السجن من أماكن الإقامة الإجبارية المغلقة، وقد حفل الأدب العربي والفلسطيني خصوصا بمعالجة هذا الموضوع، وقام يوسف حطيني عند دراسة الرواية الفلسطينية بتقسيم مراحل السجن السياسي إلى ثلاث مراحل:"

1_مرحلة الاستقبال :الطريق إلى الزنزانة والبقاء فيها مؤقتا.

2_مرحلة التحقيق :الذي يرافقه تعذيب من كل نوع.

3_مرحلة الاستقرار."([1])

شكل السجن بعدا مكانيا في قصتين من قصص الكاتب هما : "لماذا لم اذهب لمقابلة صديقتي؟"، في المجموعة الثالثة، و"تحولات الرجل الثالث"، في المجموعة الرابعة. في حين يعثر المرء على بعض الإشارات في قصص أخرى سابقة. نتعرف_أحيانا _على شخصية السجين الذي اعتقل فترة ما. ويذكر أن الكاتب ساوى بين واقع السجن في الدول العربية وإسرائيل، لهذا سأتناول واقع السجن ضمن هذين الواقعين معا.

تبدأ مرحلة الاعتقال عادة في منتصف الليل، وتقوم قوات الاحتلال أو القمع العربية باعتقال الوطنيين بسبب نشاطهم السياسي، وفي لحظة الاعتقال يتصرف الجند بطريقة مرعبة ومخيفة ولا إنسانية، يقومون بالتفتيش للبحث عن وسائل قتالية أو منشورات سياسية"انطلقوا في غرفة

[1] _ الحطيني، يوسف، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، ص86.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنزل فتشوا كل جزء منه..ركزوا على مكتبتي ومكتبي خرجوا بمجموعة من الكتب الاقتصادية والأدبية والسياسية وبأوراق كنت كتبت عليها محاولة شعرية فاشلة."([1])

والموقف نفسه نعثر عليه في قصة أخرى"طرقوا الباب بأعقاب البنادق وقبضات أياديهم استيقظت فزعة "الله يستر "...اندفعوا للداخل يحملون رشاشاتهم."أنت صبري؟"سأله ضابط كان يتقدمهم.رد بثقة "نعم..ماذا تريدون ؟" رد الضابط "معي أمر اعتقال لك" ...اندفعوا يفتشون كل ركن فيه.وبعد دقائق كانوا يحملون صبري، ومجموعة من كتبه وأوراقه، في دورية عسكرية."([2])

ويرافق عملية الاعتقال ضرب السجناء وتعذيبهم "ضربني أحد الجنود بحذائه الثقيل..ضربني آخر بعقب بندقيته...وانطلقت السيارة في الطريق إلى السجن."([3])

بعد هذه المرحلة تبدأ مرحلة التحقيق، وفي هذه المرحلة يتعرض السجين لكافة أنواع العذاب الجسدي والنفسي، حيث يوضع في غرفة صغيرة وينهال الضرب عليه "بتهمة التحريض على السلطات وعلى السلطان، ويصمد المعتقل في وجه هذا العذاب حتى يصبح جسده "موشوما بآثار الضربات."([4])

ثم يبتدعون طريقة أخرى من خلال التهديد بالقتل والموت "سننزع روحك من جسدك ...لن تفلت منا، صرخ المحقق وهو يهدد وينذر ويذكرني بآلاف الذين قتلوا "([5])

أما الطرق الأخرى المستخدمة فنلمسها في قصة "تحولات الرجل الثالث "، من خلال جلسات تحقيق طويلة ومضنية، يوضع السجين تحت أشعة الشمس اللاهبة أو تحت المطر "يقف الشبان المجبرون على الوقوف في ساحة الزنازين لساعات طويلة، وقد قيدت أيديهم من الخلف، ووضعت الأكياس على رؤوسهم."([6])

وعادة يمنع السجناء في هذه المرحلة من تناول الطعام من أجل الضغط عليهم لكي يدلوا باعترافاتهم "منذ ست ليال بالضبط لم أنم ولم أتناول طعاما."([7]) ومنع السجناء من النوم.

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص61.

[2] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص36.

[3] _السابق، ص62.

[4] _السابق، ص62.

[5] _السابق، ص63.

[6] _السابق، ص28.

[7] _السابق، ص29.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المرحلة الأخيرة، مرحلة الاستقرار في السجن، فلا تخلو هي الأخرى من الألم والعذاب للسجين حيث يبدأ الضغط النفسي، وفي هذه المرحلة نستطيع التعرف على واقع الزنزانة وأوصافها وطبيعة الحياة التي تدور بداخلها.

تقدم الزنزانة عادة بحجم صغير لا تتسع لعدد القاطنين فيها "زنزانة لا يتجاوز طولها ثلاثة أمتار، وعرضها متران، ويحتل معظم مساحتها فرشات النوم والمرحاض وسطل المياه ".([1]) وأبوابها من حديد سميك في الباب فتحة صغيرة، ويقفل الباب بقفل حديدي وسلاسل، ولا تصل لها أشعة الشمس و"لها كوة مرتفعة مغطاة بشبك حديدي في أعلى الجدار، وتحت السقف العالي بقليل."([2])

أما الإجراءات الإسرائيلية بحق النزلاء فتشمل الصراخ والشتم والعدد المتكرر خشية فرار السجناء، وبهدف إرهاقهم، ومنع التواصل بين أبناء البلد الواحد والمنطقة الواحدة، وزرع العملاء بينهم.

وبهذا تكون الزنزانة في نظر المحتل أداة عقاب وعذاب ومكانا مغلقا يمنع التواصل مع العالم الخارجي، من أجل إثناء المناضلين عن خطهم الوطني ومعاقبتهم على الأعمال الوطنية التي يمارسونها.

لكن هذا المكان المعادي يتحول إلى مكان آخر، لأن "السجن بالنسبة للسجين السياسي، وهذا أمر ينطبق على الرواية الفلسطينية والعربية مكان للعمل، لنشر الوعي، لذلك فهو ليس سجنا عقيما منعدم الفائدة "([3])على حد تعبير حطيني، بل صورة من صور الصمود والبطولة والرجولة والمقاومة حيث يقيم السجناء فيما بينهم علاقات اجتماعية متينة، وهذا ما يظهر في قصة" تحولات الرجل الثالث "، يجد المرء وليدا الطالب الجامعي وزميله السارد يستقبلان أبا سالم الراعي استقبالا حارا مع شيء من الحذر خشية أن يكون عميلا، وبعد أن يعرفا قصته، وعلى الرغم من الفارق الثقافي بين الطرفين إلا أنهما يقومان بدورهما الوطني والتعبوي في السجن من خلال تثقيف الرجل الثالث بواقع السجن والعملاء، وعدم الاعتراف أو التوقيع على أية ورقة تستغل ضده في المحاكم الإسرائيلية لإدانته وسجنه، وبعد فترة من الزمن، وبعد أن يتأكدا أن الرجل الثالث وصل إلى مرحلة الوعي السياسي، يخلدان للنوم، ولا يهتمان

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص28.

[2] _السابق، ص29.

[3] _ الحطيني، يوسف، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، ص90.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنازل الجديد ليقوم أبوسالم بدوره التعبوي، ويقول له :"ولا يهمك..لا تعترف بشيء.لا تقل شيئا.لا توقع على اية ورقة.احذر من العملاء".([1])

وفي قصة "لماذا لم أذهب لمقابلة صديقتي ؟" تصبح الزنزانة وسيلة للرؤيا والكشف واستدعاء العالم الخارجي الجميل "عندما ألقى بي داخل الزنزانة وأقفل الباب..جلست أحدق في الظلام ثم استغرقت في النوم.. عندما استيقظت واجهني الجدار..رأيت رسوما نقشها معتقلون قضوا وقتا هنا..شمس وطيور وانهار وخيول ونساء وأطفال..انتابني الفرح والحنين.."([2])

أما النظرة للسجين بعد خروجه من السجن فقد بدت نظرة احترام وإجلال، ويظهر صاحب خبرة ورؤية صائبة، فأم محمود في قصة "مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء هاما "، تفخر بابنها السجين "ابني رجل ...وتعلم الكثير من الدنيا ومن السجون، يجب أن أقول له."([3])وعندما تقول له يصبح رأيه الراجح والصحيح ؛لذا يتبناه أهل القرية. وفي قصة "وقت وشموس كثيرة" نجد سالم السجين يسمى في البلدة "أبو الأبطال"([4]) ويسهم بدور إيجابي على مستوى التنوير داخل قريته.

وهكذا نجد أن رؤية هنية للسجن والسجين والسجان جاءت في إطار الرؤية السياسية حيث السجن هو طريقة من طرق النضال ضد الأعداء من أجل الحرية ضمن رؤية واقعية غير رومانسية.

4_غياب المخيم :

عكست الرواية الفلسطينية، واقع المخيم بعد حرب 1948، وقد اختلفت صورة المخيم بين كاتب وآخر، كما خلص علي محمد عودة عند دراسته لواقع المخيم فـ"عندما كان المخيم مكانا للبؤس والمرض والذل، كان الفلسطيني يكرهه ويعاديه، وعندما تحول المخيم _ من الناحية النفسية_إلى مكان للكرامة والنضال بدأ الفلسطيني يتجول فيه ويشعر بنفسه _ رغم عدم تغير المخيم من الناحية المادية."([5])

لكن أكرم هنية لم يكتب عن حياة المخيم، ولم يصور الجماهير الفلسطينية التي عاشت فيه. ربما يظن المرء للوهلة الأولى، أن السبب في ذلك يعود إلى أن هنية لم يعش حياة المخيم،

---

[1] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص30.

[2] _ هنية، اكرم، طقوس ليوم آخر ، ص63.

[3] _السابق، ص104

[4] _السابق، ص55.

[5] _ عودة، علي محمد، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، ص192.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يلمسها ملامسة مباشرة.لكنه أيضا، يتذكر أن الكاتب، كذلك، لم يعش حياة القرية، ولكنه كتب عنها.فما السبب في ذلك؟

ربما لم يكن يرى الكاتب أن الاحتلال يشكل خطرا على المخيم والمدينة، بالقدر نفسه الذي كان يشكله على مدينة القدس والقرية، من خلال مصادرة الأراضي وسياسة الاستيطان.والدليل على ذلك أن القدس والقرية كانتا تظهران متلازمتين في قصصه، وبنفس الفكرة تقريبا.فأفرد في المجموعة الأولى، قصة لمدينة القدس، وهي تتعرض للتهويد، والشيء نفسه للقرية، وهي تتعرض للمصادرة.وفي المجموعة الرابعة، تساوى حضور المكانين في ثلاث قصص لكل منهما، في حين غاب حضور المكانين في المجموعة الأخيرة إلا من بعض الإشارات العابرة.لهذا لم يكن الكاتب يخشى على ضياع المخيم أو مصادرة أرضه، بالقدر نفسه الذي كان يخشاه على مدينة القدس والقرى الفلسطينية؛لهذا يمكن تفسير سبب غياب المخيم ليكون مسرحا لأحداث قصصه.

وفي النهاية، يجد المرء أن هنية نوع في أمكنته القصصية، وتباين موقفه من المكان حسب درجة الانتماء للمكان الفلسطيني، وتفاوتت نظرته إلى الأمكنة بين الإيجابية والسلبية، فإذا كان المكان ينتمي إليه ويشعر نحوه بالراحة ظهر بصورة إيجابية، وإذا كان لا ينتمي إليه، ولا يشعر فيه بالراحة قدمه بصورة سلبية.

ظهرت المدينة العربية بصورة سلبية عندما ناقش واقع الإنسان فيها، في حين ظهرت المدينة الفلسطينية في الأغلب الأعم بصورة إيجابية.

5_النهايات القصصية في قصص الكاتب:

للنهاية القصصية أهمية كبيرة في بناء القصة ؛"لأنها هي التي ستحدد الأثر الأخير في نفس القارئ فإما أن يعجب بالقصة ويقبل عليها وأما أن يندم على الوقت الذي ضيعه في قراءتها."([1])ولعل بعض القراء يتلمسون نهاية القصة قبل قراءتها لمعرفة النهاية التي يؤول إليها الحدث. ([2])

---

[1] – القباني، حسين، فن كتابة القصة، ط2، عمان، مكتبة المحتسب، 1974، ص53.

[2] _ ينظر : أمبرت، انريكي أندرسون، القصة القصيرة النظرية والتقنية، ص135. صنف الكاتب أشكال النهايات القصصية على النحو التالي:"

أ_نهاية واضحة:حيث يتم التوصل إلي حل للمشكلة التي طرحتها القصة.ب_إشكالية :المشكلة لا زالت بدون حل.

ج_المعضلة:المشكلة يمكن حلها من خلال واحد من اثنين:أن يكون القارئ مطلق الحرية في اختيار الحل الذي يريد لكن دون التأكد من أن هذا الحل للمعضلة هو الحل الحقيقي.د_واعدة: يتم التنويه بمخارج كثيرة دون ذكرها صراحة "مستشرفين المستقبل "...هـ المقلوبة يتخذ البطل موقفا يتعارض مع ما كان عليه في البداية. و _المفاجأة : يستخدم الراوي إحدى الحيل ليخدع القارئ وفي الفقرات الأخيرة يخرجه من هذا الخداع ويفاجئه بحل غير متوقع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"لقد صار من أعراف الكتابة، خاصة الكتابة الروائية والقصصية، أن حذق الكاتب في اختيار النهاية الواضحة، ربما بمقاييس منطقية صرفة أحيانا، هو الطريق الأمثل لنجاح العمل ولتوطيد أثره في ذهن المتلقي.أما النهاية التي تقوم على الصدفة أو المبتورة عن سياق الأحداث، أو غير متضحة الصلة مع العمل ككل، فان الذوق العام يرفضها أو يقلل من قيمتها." ([1])

والدارس لقصص أكرم هنية تستوقفه النهايات التي تراوحت بين تفاؤلية وتشاؤمية. ظهرت بعض النهايات المبتورة في مجموعتيه الأولى والثانية بشكل خاص، وبرزت النهايات المفتعلة عن طريق إنهاء القصة بفقرة أو عبارة يقحمها الكاتب في نهاية القصة، وقد التفت إلى ذلك عادل الأسطة إذ رأى أن سبب ذلك يعود إلى تعزيز ما هو إيجابي، حتى لو كانت النهاية غير نابعة من رحم الحدث القصصي."([2]) ويمكن التمثيل لذلك بقصة"النابغة الذبياني يهجو النعمان بن المنذر"، تقسم القصة إلى ست لوحات كل لوحة تحمل رقما من(1_6). في اللوحة الأولى، يطلعنا السارد، على عزم النابغة على التوجه إلى مدينة الحيرة من أجل استعادة مكانته التي فقدها عند النعمان بن المنذر بسب الوشاة.وفي اللوحة الثانية، يصل النابغة إلى المدينة، حيث يلتقي ببعض الناس الشامتين به، ويسألونه إذا ما كان النعمان قد أذن له بالدخول عليه في قصره.أما اللوحة الثالثة فتتناول حال النابغة عند وصوله باب القصر، إذ يمنعه الحراس من الدخول لمقابلة النعمان، ويلح عليهم ويتوسل إليهم، ويخبرهم بأنه نظم قصيدة استغرقت حولا في مدحه، وبعد فترة يأذن له الحراس بالدخول.أما اللوحة الرابعة فيعرف المرء من خلالها ما دار بين النابغة والنعمان، إذ أخبره الأخير بعدم جدوى القصائد في هذا الزمن، لأنها ما عادت تقنع العبيد والناس، لأن الناس يصغون إلى نداء بطونهم، ويصر النابغة طالبا من النعمان أن يمنحه فرصة إلقاء القصيدة، لكن النعمان يرفض ويشير إلى الحراس، فيسحبونه خارج القصر.أما اللوحة الخامسة فتصور حالة الذهول التي أصابت النابغة، بعد أن رفض النعمان الإنصات له.في حين جاءت اللوحة الأخيرة ، وهي نهاية القصة على النحو التالي :"بعد أيام... كان أبناء القبائل يتناقلون قصيدة جديدة للنابغة الذبياني في هجاء النعمان بن المنذر". ([3])

---

[1] _ خريس، أحمد، ثنائيات إدوار الخراط النصية:دراسة في السردية وتحولات المعنى، ط1، عمان، دارأزمنة، 1998، ص62.

[2] _ الأسطة، عادل:القصة القصيرة في الضفة وقطاع غزة، ص151.

[3] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم آخر، ص152.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يلحظ المرء، أن اللوحة الأخيرة مقحمة على القصة، والمرء يتساءل: ما أسباب هذا التحول الذي لم تخبرنا به القصة؟ولماذا تحول النابغة بهذه السرعة؟ ولماذا هذه النهاية التفاؤلية حيث انحاز النابغة إلى صالح أبناء القبائل ؟وكيف وثق أبناء القبائل بالنابغة في هذه السرعة؟ كل هذه الأسئلة لم تجب عنها القصة، وجاءت النهاية مقحمة على النص ؛لأن الكاتب أراد لها أن تنتهي هذه النهاية حتى يعلم تلك الفئة بضرورة الانحياز لصالح حركة الجماهير.

تبدو النهاية التشاؤمية، في قصة "أمنيات محمد العربي". تحكي القصة حال محمد العربي البائس، الذي لا يجد ما يأكله وأولاده، فيذهب إلى البحر ليصطاد بعض السمك، فيعلق بشبكته حمل ثقيل، فيشعر بالفرح، فيجد جرة، وما أن يكسرها حتى يخرج له المارد صاحب سليمان، فيهدئ الأخير من روعه، ويطلب منه أن يتمنى ما يشاء، فيطلب محمد العربي الطعام والثياب، فيستجيب المارد له، لكن محمد العربي في النهاية وبعد تردد، يقترب من المارد ليطلب طلبه الأخير: " أريد أن تخلصني من رجال المخابرات الذين ينتشرون في زوايا الشارع في مدينتنا يحصون على الناس همساتهم وكلماتهم ودموعهم وابتساماتهم و.... وقبل أن يتم العربي كلماته كان الذعر يرتسم واضحا على وجه المارد الذي أخذ يتلفت حوله في رعب.. وفي ثوان اختفت أكوام الخبز واللحم والملابس وقطع الجرة المتناثرة..."([1]) وهكذا تتبدد أحلام محمد العربي لتنتهي القصة هذه النهاية التي لا تبشر بخير.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم قصص الكاتب التي انتهت نهايات غير سعيدة، تناولت واقع القمع في العالم العربي.في حين تجاوز هذه النهايات في بعض قصص المجموعة الثالثة والرابعة والخامسة، ومال في أكثرها إلى النهايات التفاؤلية، وخاصة تلك القصص التي دارت أحداثها في الأرض المحتلة، وهو ما يبدو في قصص" يوم أضيء ليل القدس" و"يوم عادي" و"كل شيء وهذه النظرة بالذات".

وقد يظن المرء أن خطوة البدء لها أثر في الميل إلى الافتعال، إذ لا تكتمل أدوات الكاتب أحيانا، في بداية مشواره القصصي، لكن هذا الافتراض يبقى ناقصا، إذا ما عرف المرء أن الكاتب قدم نماذج جيدة في بداية مشواره الفني على صعيد البناء القصصي، وهذا يدفعنا إلى معرفة الأسباب التي تقف وراء هذا الافتعال وهذه النزعة التفاؤلية والتشاؤمية في آن واحد في قصصه.

---

[1] _ هنية، اكرم، طقوس ليوم آخر، ص139.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يخفى على الدارس أن الكاتب تبوأ مراكز قيادية، وشغل رئاسة للجنة التوجيه الوطني في الضفة الغربية في الثمانينات، أي كان قائدا في العمل الجماهيري، لذلك كان عليه أن يدعو إلى أفكار معينة وعليه أن يشجع غيره على ما يؤمن به، لذلك كانت مهمة الأدب والفن عنده "ليس في تفسير العالم، وإنما أيضا في تغييره.وهذا يتطلب من الكاتب أن يكون مسلحا بوعي ذاتي مستندا لخبرة وثقافة ليستا معزولتين عن حركة الواقع لكي يتسنى له تفسيره وفهم دور قوى التغيير فيه، وبالتالي استشراف آفاقه التي سيكون حتما حبلى بالنصر والفرح للمضطهدين والمظلومين." ([1])وهذه الرؤية تقترب مما أسماه(لوكاتش) بمبدأ الرومانسية الثورية "كأن يطالب لهذه الصورة الزائفة اللانمطية للواقع بحق تصويرها لواقع أرقى."([2])

ومن هذا الفهم لطبيعة الفن والأدب، نستطيع تفسير لجوء الكاتب إلى النهايات التفاؤلية في بعض قصصه ؛ لأن الأدب له رسالة يجب أن يؤديها، تؤمن بالتغير، وحتى وان كان الواقع متجهما وصعبا.

ويدعم هذا التوجه أن معظم قصصه هذه، كان يسند بطولتها للجماهير في كثير من الأحيان، وهذا ما تنبه له سمير شحادة عند دراسته لقصة "مؤتمر فعايات القرية يصدر نداء هاما "، ([3])ولكنه لم يلتفت إلى كثير من القصص الأخرى التي كانت فيها الجماهير تسهم بدور البطولة، كما هو حال قصة "القرار"و "هزيمة الشاطر حسن "و"بعد الحصار... قبل الشمس بقليل" و"وقت وشموس كثيرة "و"كل شيء وهذه النظرة بالذات ".وحتى البطل الفرد كان لا ينفك عن جماعته يعمل من أجلها، ولا يرى نفسه إلا في إطار الجماعة والعمل الجماعي، وإذا ماعمل لحسابه دون مراعاة مصلحة الجماعة، كانت نهايته في كثير من الأ حيان غير سعيدة، كما هو حال الشاطر حسن والمختار وبائع الأرض.

أما النهايات التشاؤمية، فقد لجأ إليها، من أجل تعرية الواقع السلبي، وليس من باب اليأس بإمكانية التغير وحركة الشعوب، والكاتب حين كان يعرض موقفا سلبيا، لا يعرضه من باب الإعجاب به، بل من أجل نقده، والتحريض عليه، وتغييره بواقع افضل.

ولم يقف التزام الكاتب عند هذا الحد، بل يلحظ المرء أن بعض عبارات نهايات قصصه كانت كالبيان السياسي، فعبارات :"اضراب ...الحرية للمعتقلين ... لا للاحتلال "([4]) و"الله

---

[1] _ينظر :اللقاء الذي أجرته البرغوثي، وداد مع الكاتب، ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص108.

[2] _ لوكاتش، جورج، معنى الواقعية المعاصرة، ترجمة أمين الفيوطي، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص175.

[3] _ ينظر :دراسته ضمن كتاب الدخول إلى حبر الروح، ص92/88.

[4] _ هنية، أكرم، طقوس ليوم أخر، ص111.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحميك...ولا يهمك..لازم ننتصر" ([1]) و"لا يهمك. لا تعترف بشيء. لا تقل شيئا. لا توقع على أية ورقة. احذر من العملاء"([2]) هي عبارات تعليمية و توجيهية وتعبوية وتحريضية للقارئ.من هنا نفهم أسباب هذه الرؤية.

وهذا لا يعني أن الكاتب اتبع طريقة واحدة في جميع قصصه بل نجده نوع فيها ووظف أشكال جديدة من خلال اللجوء إلى القصص ذات النهايات المفتوحة، وهذا من شأنه "إتاحة الفرصة لنا كي نستحضر قدرتنا على إقامة صلات خاصة نملأ بها تلك الفجوات التي تركها النص نفسه ...فكل قارئ قادر على ملء الفجوات بطريقته الخاصة." ([3])وهذا من شأنه "أن يحقق قدرا من تحرير الأدب من الترجمة الجمالية المبدعة لكل متغيرات الوعي بالحياة." ([4]) ويمكن تتبع هذا الانفتاح في كثير من قصص الكاتب، لأنه كان يؤمن بمشاركة القارئ ودوره الإيجابي في بلورة العمل الأدبي بحيث يكون دوره فاعلا وإيجابيا، وبذلك يحقق العمل الأدبي غايتين الجانب الفني الجمالي والجانب الثوري.

أما الشكل الأخر فهو ابتداء القصة بالنهاية ثم العودة إلى البداية، كما هو حال قصة "شهادات واقعية حول موت المواطنة منى "ل" و"فلاش باك" حيث بدا الحدث في القصة الأولى بانتحار منى "ل" ثم كشف الكاتب عن جوانب حياتها، وترك الفسحة للقارئ ليصل إلى الأسباب التي أدت إلى موتها.

يلحظ المرء كذلك اهتمام الكاتب بالشكل الدائري "فالكلمات الأخيرة في القصة يمكن أن تكرر الكلمات الأولى، وبذلك تتسم القصة بوجود حركة دائرية.وبين طرفي القصة _البداية والنهاية _يمكن أن تتوالى الأحداث." ([5])

ويمكن التمثيل لذلك بقصتي "ذات موت ذات مدينة"و "صلاة في المرحلة السادسة"، فقد تشابهت نهايتاهما مع البداية، ضمن بنية دائرية، حيث تحيل البداية على النهاية وبالعكس، فقد بدأت القصة الأولى البداية التالية:"شارع يموج بالحركة في مدينة كبيرة، ألوف الأشخاص يسيرون ذهابا وإيابا.لا شمس في السماء."([6])

---

[1] _ هنية، اكرم، طقوس ليوم آخر، ص39.

[2] _ السابق، ص30.

[3] _ خريس، أحمد، ثنائيات إدوار الخراط النصية، ص39.

[4] _ فضل، صلاح، أشكال التخيل من فتات الأدب والنقد، ط 1، الشركة المصرية للنشر _لونجمان، 1996، ص112.

[5] _ أمبرت، أنريكي اندرسون، القصة القصيرة النظرية والتقنية، ص137.

[6] _ هنية، اكرم، طقوس ليوم آخر، ص145.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانتهت القصة :" يمد يده... تمد يدها... يتصافحان...يحاول الابتسام ...تخفض عينيها ...يتحركان ببطء في اتجاهين متعاكسين في شارع يموج بالحركة في مدينة كبيرة...ألوف الأشخاص يسيرون ذهابا وإيابا...ولا شمس في السماء".([1])

والشيء نفسه يعثر عليه المرء في قصة "صلاة في المرحلة السادسة" حيث بدأت وانتهت بنداء القيامة:"أيتها الأم القديسة

اجعلي جراحات وليدك

في قلبي منطبعة"([2])

وعاد الكاتب إلى هذا في مجموعته الأخيرة، وهو ما يلحظه المرء في قصة "فلاش باك".بدأت القصة وانتهت بالعبارات التالية:

"هذا ليس زماني.

سأحمل جسدي عضوا عضوا، سنة سنة، خيبة خيبة، حزنا حزنا. وانتظر حزني القادم.

... هناك وجع في قلب كهل متعب ومرارة في الحلق هناك دخان أسود شديد السواد يشيد السماء.انه الاختناق...إنه الموت البطيء."([3])

---

[1] _هنية، اكرم، طقوس ليوم آخر، ص148.

[2] _السابق، ص24.

[3] _ هنية، أكرم، سرار الدوري، ص57.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

هذه الدراسة محاولة لإلقاء الضوء على جوانب من فن القاص الفلسطيني أكرم هنية، على اعتبار أنه أحد أهم كتاب القصة في فلسطين، وقد أسهم مع إخوانه القاصين الفلسطينيين في دفع الحركة القصصية إلى الأمام، وخاصة في مرحلة الثمانينات.

تناولت الدراسة أهم الدراسات والمقالات التي تناولت قصص الكاتب ، ووجدت معظمها تدور حول مغزى القصة، وقليلة هي الدراسات التي تناولت الشكل الفني بقدر من التفصيل. ووقفت أمام واقع القصة القصيرة وقفة سريعة حتى تبين مكانة هنية في الحركة القصصية.

وتناولت الدراسة عناوين المجموعات القصصية، باعتبار أن العنوان الواجهة الأولى التي تواجه المتلقي، ووجدت الكاتب يختار عنوان قصة من قصصه لتؤشر على المجموعة وفق اعتبارات خاصة به، أما عناوين قصصه، فقد تراوحت في سماتها بين طول العنوان وقصره، فأحيانا كان العنوان يلخص مضمون القصة، وأحيانا أخرى يكون تساؤلا تجيب القصة عنه، إلا أنه في أحيان أخرى يكون محيرا ورامزا. وبذلك تراوح العنوان بين الشكل التقليدي والشكل الحداثي.

كما وبينت الدراسة أهم الموضوعات التي برزت في قصص الكاتب، ووجدت أن الموضوع الوطني هو الطاغي عليها، وكان الهم الوطني شغله القاص الشاغل، فأبرز المخاطر والصعوبات التي يعاني منها الإنسان الفلسطيني ولجأ إلى التحريض على مجابهة الاحتلال وإفشال مخططاته على الأرض، وبرزت الأرض أحد الأقانيم المقدسة للكاتب، إذ ارتبطت معاناة شخصياته بفقد الأرض، ولم يتصور أو يتخيل أي تطور اجتماعي واقتصادي في ظل غيابها ووجود الاحتلال؛ لهذا قدم نماذج إيجابية مقاومة لأخذ العبرة منها والسير على نهجها، وظلت هذه النظرة تواكب نتاجه حتى مجموعته الأخيرة.

كما أن الكاتب أتى على تصوير واقع القمع والملاحقة في العالم العربي، وبين موقفه السلبي من تلك الأنظمة التي لا تقوم بمسؤولياتها الوطنية والاجتماعية، وهو حين كان يلجأ إلى ذلك، كان يتوخى تعرية هذه الأنظمة، وإبراز موقفها السلبي والتأكيد على أحقية الجماهير بالحرية والديمقراطية والحياة الكريمة.

وأبرز هنية لليهودي صورة سلبية، واقتصرت هذه على الجندي الذي يشهر سلاحه في وجه الفلسطيني ويدمر الأرض ويستولي عليها، و لم تتغير هذه الصورة في قصصه حتى بعد توقيع الاتفاقيات مع الجانب الإسرائيلي.

لقد أفاد هنية القصة القصيرة الفلسطينية ورفدها بعطاء جديد، فنوّع في أساليب القص، فلم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعتمد الشكل التقليدي في بناء قصصه وحسب بل بحث عن صيغ وطرق حداثية جديدة ؛لذا عمد إلى التجريب في سبيل بناء تجربة قصصية من خلال أسلوب القطع والإفادة من العمل الصحفي، ولجأ إلى الرمز فوظف التاريخ والتراث، واستخدم أسلوب غرائبي في التنبيه لما سيحدث، وبطريقة احتجاجية على مجمل الإجراءات الإسرائيلية التي تستهدف الأرض والإنسان الفلسطيني.

أما اللغة القصصية فقد راوح الكاتب في استخدامها بين اللغة الفصحى العادية، واللغة الشفافة الرومانسية التي تقترب من روح الشعر، في حين اقتربت لغة الحوار من لغة السرد في معظم الأحيان.

تناولت الدراسة كذلك المكان في قصص الكاتب، ووجدت أن المدينة حضرت أكثر من حضور القرية، في حين غاب فضاء المخيم، وبرز المكان الذي ينتمي إليه الكاتب بشكل حميمي إيجابي، في حين برز المكان الذي لا ينتمي إليه بشكل سلبي.ولفت انتباهي غموض المكان وعدم تسميته وتحديده في بعض القصص، في حين كان يسمي بعض الأماكن بأسمائها، وتميزت مدينة القدس بالحضور أكثر من أية مدينة أخرى واهتم بوصف المكان ووصف حياة الناس في هذه المدينة، ولعل خشية الكاتب على المدينة من الضياع وتركيز الاحتلال عليها هو أحد الأسباب التي جعلت الكاتب يركز عليها أكثر من المدن الفلسطينية الأخرى لأن الكاتب لا يرى أن الاحتلال يهدد المخيم والمدن الأخرى بالدرجة نفسها التي يهدد فيها مدينة القدس.

أما النهايات القصصية فقد وجدت أن بعضها كانت مفتعلة من خلال إبراز لازمة تبشر بالأمل والتحول حتى في القصص التي كانت أحداثها لا تشي بالتفاؤل، ولاحظت أن دوره القيادي وفهمه لوظيفة الفن والأدب الثوري كان يملي عليه مثل هذه النهايات السعيدة، لأن من سمات القائد السياسي أن يدعو إلى أفكار معينة، وعليه أيضا أن يشجع غيره على ما يؤمن به من أجل تغيير الواقع السلبي إلى واقع إيجابي.

وبقي أن نقول أن أكرم هنية واحد من الكتاب الذين أضافوا للقصة الفلسطينية الكثير، على صعيد الشكل والبناء القصصي، وأسهموا بجدية في دفع حركة القصة القصيرة الفلسطينية إلى الأمام.

وآمل أن تكون دراستي هذه أضافت شيئا إلى الأدب الفلسطيني وأن تكون فاتحة لإعادة الاهتمام بالقصة القصيرة الفلسطينية بعد التراجع الملحوظ من الكتاب والأدباء في الوقت الحاضر بعكس مرحلة الثمانينيات، وخاصة أنها أكثر قدرة واتساعا لمواكبة الأحداث الجسيمة التي تواكبها المنطقة العربية والفلسطينية بشكل خاص.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر والمراجع

أ-المصادر:

1. هنية، أكرم، **أسرار الدوري**، رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2001.
2. هنية، أكرم ، **طقوس ليوم آخر :قصص قصيرة من الأرض المحتلة**، ط1، نيقوسيا_قبرص، منشورات مؤسسة "بيسان برس" للصحافة والنشر والتوزيع، 1986.

ب-المراجع:

1. أ، م، فورستر، **أركان الرواية**، ترجمة كمال عياد، الناصرة، (د.ت).
2. أحمد، مرشد ، **المكان والمنظور الفني في روايات عبد الرحمن منيف**، ط1، حلب، دار القلم العربي، 1998.
3. الأسطة، عادل:**دراسات نقدية**، المثلث، مطبعة اليسار، ، 1987.
4. الأسطة، عادل، **القصة القصيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة (1967_1981)**، نابلس، 1993.
5. الأسطة، عادل، "**النص وصلته بالنصوص الأخرى**"، **تأملات نقدية في نماذج من الأدب الفلسطيني المعاصر**، إعداد وجمع :عزت الغزاوي، رام الله، منشورات أوغاريت، 2001.
6. إسماعيل، عز الدين، **الأدب وفنونه :دراسة ونقد**، ط6، دار الفكر العربي، 1976.
7. الأصفهاني، علي بن الحسين، **الأغاني**، القسم الأول، ط1، القاهرة، مطبعة التقدم، 1978م.
8. أمبرت، أنريكي أندرسون، **القصة القصيرة النظرية والتقنية** ، ترجمة إبراهيم علي منوفي، مراجعة صلاح فضل، ط1، المجلس الوطني الأعلى للثقافة، 2000.
9. أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ط2، (د.ت).
10. باشلار، غاستون ، **جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1982.
11. بنورة، جمال، **دراسات أدبية**، ط1، عكا، دار الأسوار، 1987.
12. تدودوروف، تزفتيان، **الأدب والدلالة**، ترجمة محمد نديم حشفة، ط1، حلب، مركز الانماء الحضاري، 1996.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

13. تيمور، محمود ، **القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى**، القاهرة، مكتبة الآداب، الحلمية الجديدة، (د.ت).

14. الجيوسي، سلمى الخضراء ، **موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر**، ج1، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997.

15. الحطيني، يوسف، **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

16. الخباص، عوض عبدالله، **القدس في الأدب العربي الحديث في فلسطين والأردن**، عمان، دار النفائس، 1995.

17. خريس، أحمد، **ثنائيات إدوار الخراط النصية:دراسة في السردية وتحولات المعنى**، ط1، عمان، أزمنة للنشر والتوزيع، 1998.

18. الخطيب حسام، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني (الدراسات الخاص)، ط1، المجلد الرابع، بيروت، 1990.

19. خليل، إبراهيم، **انطولوجيا القصة القصيرة الفلسطينية**، ط1، عمان، دارالكرمل، 1990.

20. خليل، إبراهيم ، **القصة القصيرة في الأردن**، ط1، عمان، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، 1994.

21. الزهراء، فاطمة، **العناصر التراثية في الأدب العربي حتى العصر الحديث**، القاهرة، دار الفكر العربي، 1996.

22. سالم، عفيف، **الجبهة الثانية :الأدب في المواجهة:دراسة لواقع الحركة الأدبية في المناطق المحتلة ما بين السنوات67-1979**، (د.مكان نشر)، (د.ت).

23. سلام، محمد زغلول ، **دراسات في القصة العربية الحديثة :أصولها اتجاهاتها أعلامها**، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ت).

24. السواحري، خليل، **زمن الاحتلال :قراءة في أدب الأرض المحتلة**، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العربي، 1979.

25. سوميخ، ساسون ، **لغة القصة في أدب يوسف إدريس**، عكا، مكتبة ومطبع السروجي، 1984.

26. الشاروني، يوسف، **دراسات في الرواية والقصة القصيرة**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1967.

27. شاهين، أحمد عمر، **موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين**، ج1، ط2، غزة،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلسطين، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق، 1999..
28. شريح، محمود ، **القصة الفلسطينية القصيرة (1948_1985)**، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني (الدراسات الخاصة)، المجلد الرابع، ط1، بيروت، 1990.
29. ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، مصر، دار المعارف، 1960.
30. طقوس، بسام موسى ، **سيمياء العنوان**، ط1، عمان، أربد، وزارة الثقافة، 2001.
31. عباس، نصر محمد إبراهيم، **الفن القصصي في فلسطين**، الرياض، دار العلوم، 1982.
32. عبد السلام، فاتح، **الحوار القصصي :تقنياته وعلاماته السردية**، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999.
33. عبد الوهاب، محمود، **ثريا النص: مدخل لدراسة العنوان القصصي**، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية، 1995.
34. عبيدالله محمد، **القوس والحنين**، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، (د.ت).
35. عزام، محمد، **فضاء النص الروائي**، ط1، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1996.
36. العلم، إبراهيم، **القصة القصيرة الفلسطينية داخل الوطن المحتل**، دار الكاتب، 1987.
37. عودة، علي محمود، **الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية (1952-1982)**، ط2، مكتبة دار المنارة، 1997.
38. غنايم، محمود، **تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة**، ط1، بيروت، دار الجيل، 1992.
39. فضل، صلاح، **أشكال التخيل :من فتات الأدب والنقد**، ط1، مصر، الشركة المصرية للنشر والتوزيع_لونجمان، 1996.
40. فضل، صلاح ، **مناهج النقد المعاصر**، ط1، القاهرة ، دار الآفاق العربية، 1997.
41. القاسم ، سيزا، **بناء الرواية :دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ**، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ، 1985.
42. القاسم، نبيه، **دراسات في القصة المحلية**، عكا القديمة، الأسوار للطباعة والنشر، 1979.
43. القاسم، نبيه ، **مراودة النص :دراسات في الأدب الفلسطيني**، ط1، شفا عمر، المشرق، 2001.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

44. القباني، حسين ، **فن كتابة القصة**، ط2، عمان، مكتبة المحتسب، 1974.
45. قطوس، بسام موسى، **سيمياء العنوان**، ط1، إربد، وزارة الثقافة، 2001.
46. لوكاتش، جورج، **معنى الواقعية المعاصرة**، ترجمة أمين الفيوطي، القاهرة، دار المعارف بمصر، (د.ت).
47. مبروك، مراد عبد الرحمن ، **العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر (1914_1986)**، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1991.
48. مرتاض، عبد الملك، **في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد**، عالم المعرفة، عدد240. الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988م.
49. النساج، حامد ، **اتجاهات القصة المصرية القصيرة**، مصر، دار المعارف، 1978.
50. نجم، محمد يوسف، **فن القصة**، ط7 نشر وتوزيع، بيروت، دار الثقافة، 1979.
51. نمر، سرحان، **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1974.
52. نمر، عمر عبد الرحمن، **الملحمة الشعبية الفلسطينية(منصور بن ناصر)ودراسات في الأدب الشعبي** ، نابلس، منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
53. الهمذاني، أحمد بن الحسين يحيى، **مقامات بديع الزمان الهمذاني**، تقديم وشرح فاروق سعد، ط1، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1982.
54. يارد، ايفلين، فريد جورج، **نجيب محفوظ والقصة القصيرة**، ط1، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع ، 1988.
55. ياغي، عبد الرحمن ، **حياة الأدب الفلسطيني :من أول النهضة ...حتى النكبة**، ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1981.
56. يحياوي، رشيد ، **الشعر العربي الحديث :دراسة في المنجز النصي**، بيروت، أفريقيا الشرق، 1988.

ب-مراجع بدون مؤلف:

1-**ألف ليلة وليلة**، ج4، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده، مصر، ميدان الأزهر، (د.ت).
2.**تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة**، تقديم: عمر أبو النصر، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998.
3.**الدخول إلى حبر الروح :دراسات في أدب أكرم هنية**، جمع وتقديم: المتوكل طه،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ط1، القدس، دار العودة للدراسات والنشر، (آب_1990).

ج-الدوريات

1. الأسطة، عادل : *تطور السرد في الرواية الفلسطينية*.**مجلة كنعان**.العدد 93/ (تشرين_1998)، مركز إحياء التراث العربي _رام الله، ص67.
2. الأسعد، سامية:*القصة القصيرة وقضية المكان*.**فصول**.المجلد الثاني.العدد4. القاهرة/1982، ص189.
3. أيوب، محمد: *ندوة القصة القصيرة في الأراضي المحتلة*. **الفجر الأدبي**. ع22/(تموز_1982)، ص132.
4. بنورة، جمال : *ملامح القصة المحلية من خلال مسيرة الكاتب في سنة*. **الكاتب**.ع3 السنة الثانية /(نيسان_1981)، ص3.
5. جميل، حملاوي: *السيموطيقا والعنونة* **عالم الفكر**.ع 3.مج 1997/25، ص104/103.
6. حجازي، سمير: *التفسير السوسيولوجي لشيوع القصة القصيرة* ".**فصول**.العدد 4 المجلد الثاني. القاهرة /1982، ص161.
7. حرب، أحمد : *قصص قصيرة من الوطن المحتل*.**الفجر الأدبي**، العدد23 /(آب_ 1982)، ص92/88.
8. حليفي، شعيب :*النص الموازي للرواية (استراتيجية العنوان)*.**مجلة الكرمل**.العدد 46 /1992، ص89/83.
9. خليل ، لؤي علي :*المكان في قصص وليد إخلاصي (خان الورد)أنموذجا*.**عالم الفكر**.العدد الرابع، المجلد الخامس والعشرون /(ابريل/يونيو 1997)، ص250.
10. الخليلي علي :*الأدب في المعركة*.**الفجر الأدبي**.العدد 23/(آب _1982)، ص7
11. صالح، فخري، **واقع القصة القصيرة الفلسطينية تحت الاحتلال**.**البيادر**. ع7، السنة الثالثة/(أيلول_1978)، ص3.
12. عبد الوهاب ، محمود : *بنية العنوان في قصيدة السياب الموقع والتحولات*.**الأقلام**. العدد6، السنة34 /1999.ص 23.
13. الغزاوي، عزت: *أساسيات القصة القصيرة*. **الفجر الأدبي**.العدد 34.السنة الثالثة/ (تموز_1983)، ص36_40.
14. محمود، حسني: *بناء المكان في سداسية الأيام الستة لأميل حبيبي*.**علامات في النقد**.ج3، مج، العاشر /(ديسمبر 1999)، ص196.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د_الصحف:

1. الأسطة، عادل : *اكرم هنية يضيء ليل القدس الطويل*، **جريدة الشعب**.القدس / (1986/12/9)، ص6.
2. الأسطة، عادل :*نحو إعادة الاعتبار لفن القصة القصيرة*.**الأيام**.رام الله، ع2073، السنة السادسة /(2001/9/25)، ص20.
3. دحبور، أحمد :*أكرم هنية يسرد قصص " أسرار الدوري"*، **الحياة الجديدة**، فلسطين، السنة الرابعة /(2001/10/3)، ص14.
4. الشرفا، وليد :*أكرم هنية في مجموعته أسرار الدوري*.**الحياة الجديدة**، ع2209/ (2001/10/1)، ص10.
5. الغزاوي، عزت:*حكمة الراوي في أسرار الدوري*.**الأيام**.ع2078.مج6/(2001/9/30)، ص21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

An- Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Akram Hanyah:A Study in his Short Stories

By

Abdullah Mohammad Mustafa Al-Awad

Supervised by

Prof Adel Mustafa Al- Osta

Submitted in Partia Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies, at An- Najah National University, Nablus, Palestine.

2003

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

This study aims at shedding light on the side of art pertaining to Palestinian nanator Akram Haniyeh, being considered as one of the most important story writers in Palestine; and the dissertation has been divided into four sections as follows: Section one includes three subjects: the first of them tackled with his life; whereas the second dealt with studying the reality of Palestinian short story until the publishing of his group; and the third of them was concerned with the most important studies of analysis in pertinence with the author's books. And I found out that most of them took place about the motif of the story since it is worth noting that the studies that tackled the title; or the technical form; or the language; or the place are actually few.

Concerning the second section, I have taken in it the study of the titles in groups of stories. I have saved a special space in it for the study of titles in groups of stories; and titles in his stories; as well as another side in which I have taken the ingredients of the titles and their features. Thus, I have found that the writer chooses a title of a story in his stories so as to influence on the whole group according to considerations special for him; whereas the title ranges between the traditional form and the modernized one.

In respect of the third section, it dealt with the most important subjects that appeared in the writer's stories. I have found that the national subject is the dominating on them. And I have divided it into four axes: I have tackled in the first axis of them the Arab subject; in the second, the Palestinian reality under the occupation; in the third, the woman in the stories of the writer; whereas the last axis has shown the image of the Jew.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

In fact, I have found that the author has depicted the reality of oppression and chasing in the Arab World. He showed his negative position in this reality; and he described the hardness of life and its harshness under occupation. He revealed the atrocities of occupation for the purpose of usurpation of the Palestinian land. For this purpose, he has emerged a negative image for the Jew, which was restricted on the soldier who pulls out his weapon in the face of the Palestinian and destroys the land or captures it. This type of imagery in the his stories never changed even until after the signing of agreements with the Israeli side.

The fourth section dealt with the study of the technical traits. It actually included two topics: The first of them, the ways of narrating. The second of them specialized with the study of technical phenomena in his stories. I have found that the writer has diversified in the methods of narration. He did not depend on the conventional pattern in the structure of his stories. He has in fact searched out for modern, good formulas and ways. Therefore, he has aimed for experimentation throughout the pattern of cutting and benefiting from his work in press. He has employed history and legacy. He used an austere style in directing attention for what might occur. Pertaining to the language of story-telling, the writer has varied in its implementation and usage between classical, ordinary language and the romantic, transparent one which comes closer and closer to the spirit of poetry.

Concerning the place in the stories of the writer, I have found that the city and urban life have come into existence more than that in the village and rural one. The space of the camp was absent; and the place, to which the author is affiliated to intimately and positively, has actually emerged; whereas the place, to which the writer is not affiliate with, has been shown in a negative shape.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

I hope that my study has added something to the Palestinian literature. I wish it might be an inception for a return to the interest in the Palestinian short story; i.e. the narrative in general after the apparent retreat by writers, literary people at present in contrary to the stage of the 1980's; especially it, I mean the narrative, is more capable to cope with the drastic events that the Arab & Palestinian region witnesses in specific.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit